# الموسوعة النفسانية

## أعلام العلوم النفسية

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية 2025

عبد الرحمان ابراهيم

# الموسوعة في الأعلام
## في العلـــوم النفسانيـــة

شـارك في المراجعـة

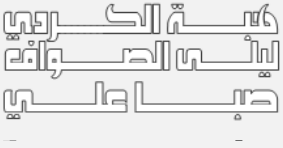

## الفهـــــــــرس


| | |
|---|---|
| حـــــرف الفـــــاء | 5 |
| الفارابيAlfarabius | 6 |
| تيودور فايتز (وايتز) Theodor Waitz | 12 |
| غوستافه تيودور فخنر Gustav Theodor Fechner | 16 |
| شيبارد آيفوري فرانز Shepard Ivory Franz | 22 |
| فريدريك وليام أوغست فروبل Friedrich Wilhelm August Fröbel | 24 |
| إيريك فروم Erich Fromm | 30 |
| آنّا فرويد Anna Freud | 36 |
| سيغموند فرويد Sigmund Freud | 46 |
| كرستيان فولفه Christian Wolf | 90 |
| فيلهلم فونت Wilhelm Wundt | 92 |
| إرنست هاينريش فيبر Ernst Heinrich Weber | 97 |
| ماكس فيرتايمر Max Wertheimer | 101 |
| بيير باولو فيرجيريو الأكبر Pier Paolo Vergerio the Elder | 106 |
| فيتورينو رامبالدوني دا فيلتر Vittorino da Feltre | 109 |

| | |
|---|---|
| جوان لويس فيفيسJuan Luis Vives | 112 |
| ساندور فيرينزيSandor Ferenczi | 116 |
| فيكتور إميل فرانكلViktor Emil Frankl | 121 |
| سوزان فيسكsusan fiske | 129 |
| ليون فيستينغرLeon Festinger | 140 |

حرف "الفاء"

## Alfarabius الفارابي

أبو نصر الفارابي Alfarabius (نحو 873– 953 م) المعلم الثاني بعد أرسطو، وثاني فلاسفة الإسلام بعد ابن سينا، وله في علم النفس رسالة في النفس، ورسالة في معاني العقل. ويقول في تحصيل العلم مقالة أرسطو أن الحواس مصدر العلم، وأن من فقد حسّاً فقد فقدَ علماً، ويذهب كذلك مذهب أفلاطون فيقول إن كل تعليم وكل تعلّم فإنما يكون عن معرفة سابقة، يقصد أن للأجسام عناصر وقوى تحكمها، وللعلوم مبادئ بحسب كل علم، مفطورة فيها، يكشف عنها ونتعلمها ونعلّمها، والعقل هو القوة التي يحصّل بها الإنسان اليقين بالفطرة والطبع في أمور، وبقضايا ومقدمات في أمور، وهو عند عامة الناس الروّية، وعند الفلاسفة هو الإدراك العام والفطنة الأخلاقية التي تمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر. والعقل فزيولوجياً مادة معدة لاستقبال المعقولات، فهو عقل بالقوة، فإذا أدرك وانفعل بالعلوم فهو العقل المنفعل، وإذا عقل المعقولات صار عقلاً بالفعل، وإذا كانت له نتائج على الأمور فهو العقل الفعّال. والعقل نظري وعملي، والعقل النظري هو الذي يحوز العلم بالأشياء، والعقل العملي هو الذي يُعرفه ما يعمله، ومنه عقل مهني تحاز به الصناعات والمهن، وعقل مروّي يكون به التفكير والتروّي فيما ينبغي أن يعمل أو لا يعمل.

أبو نصر الفارابي Alfarabius (نحو 873– 953 م) المعلم الثاني بعد أرسطو، وثاني فلاسفة الإسلام بعد ابن سينا، وله في علم النفس رسالة في النفس، ورسالة في معاني العقل. ويقول في تحصيل العلم مقالة أرسطو أن الحواس مصدر العلم، وأن من فقد حسّاً فقد فقدَ علماً

والنفس تتوزع إلى قوى، نزوعية، ومتخيلة، وحساسة، فالأولى هي التي يكون بها النزوع الإنساني، بطلب الشيء أو الهروب منه، اشتياقه أو كراهيته، وإيثاره أو اجتنابه، وبها يكون البغض والمحبة، والصداقة والعداوة، والخوف والأمن، والغضب والرضا، والقسوة والرحمة، وسائر عوارض النفس. والقوة الثانية للنفي وهي المتخيلة مهمتها تركيب صور الأشياء وتفصيلها في النوم واليقظة، وتركيب بعضها إلى بعض في تركيبات قد تكون صوراً صادقة أي عاكسة للواقع، أو تكون صوراً كاذبة وأوهاماً باطلة. والقوة الثالثة الحسّاسة تتأثر بالمحسوسات عن طريق الحواس الخمس.

ومذهب الفارابي إلى القول بأن أخلاق النفس عادات تتغير، ولا يمتنع شيء من الأخلاق على التغيير والتبدّل، غير أن من ينشأ على خلق من الأخلاق ويتفق له تقويته، فإن زوال ذلك يعسر عليه، فالطبع أحياناً يغلب العقل، ويعسر على الكهول الذين يُطبعون على خلق زواله منهم، والعسير غير الممتنع. وقصّ الفارابي عن نفسه تجربة صوفية فيقول إني ربما خلوت إلى نفسي، وخلعت بدني جانباً، وصرت كأني بلا بدن، وأدخل ذاتي وأرجع إليها، متخارجاً عن كل شيء فأكون العلم والعالم والعلوم جميعاً، فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء والضياء ما أبقى له متعجباً مهتماً، فأعلم أني جزء من عالم فاضل إلهي، فعندئذ أترقى بذاتي من عالمي الإنسي إلى العالم الإلهي، فأكون فوق العالم العقلي، فأرى هناك من النور والبهاء ما لا تقدر الألسن على وصفه ولا تعيه الأسماع.. وهذه التجربة النفسية للفارابي تدخله فيما يُسمى بعلم النفس الديني أو سيكولوجية التدين، وكأنه يحكي عن صلة النفس بالبدن أنها كصلة السجين بالسجّان، وأن النفس في سجنها تكون للبدن كنور الشمس للبصر تضيء طريقه وتبصره الأمور، ولكنها عندما تخلّف البدن يكون خلاصها وصلاحها وكمالها.

ذهب كذلك مذهب أفلاطون فيقول إن كل تعليم وكل تعلّم فإنما يكون عن معرفة سابقة، يقصد أن للأجسام عناصر وقوى تحكمها، وللعلوم مبادئ بحسب كل علم، مفطورة فيها، يكشف عنها ونتعلمها ونعلّمها

العقل فزيولوجياً مادة معدة لاستقبال المعقولات، فهو عقل بالقوة، فإذا أدرك وانفعل بالعلوم فهو العقل المنفعل، وإذا عقل المعقولات صار عقلاً بالفعل، وإذا كانت له نتائج على الأمور فهو العقل الفعّال

النفس تتوزع إلى قوى، نزوعية، ومتخيلة، وحساسة، فالأولى هي التي يكون بها النزوع الإنساني، بطلب الشيء أو الهروب منه، اشتياقه أو كراهيته، وإيثاره أو اجتنابه، وبها يكون البغض والمحبة، والصداقة والعداوة، والخوف والأمن، والغضب والرضا، والقسوة والرحمة، وسائر عوارض النفس

القوة الثانية للنفي وهي المتخيلة مهمتها تركيب صور الأشياء وتفصيلها في النوم واليقظة، وتركيب بعضها إلى بعض في تركيبات قد تكون صوراً صادقة أي عاكسة للواقع، أو تكون صوراً كاذبة وأوهاماً باطلة

وفي مجال علم النفس الاجتماعي يكتب الفارابي أن الاجتماع في الإنسان فطرة، وأن الإنسان في قوامه، فلكي يبلغ أفضل كمالاته يحتاج إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه، فلذلك لا يمكن أن ينال الإنسان الكمال الذي يسعى إليه بالفطرة إلا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه، ولهذا اجتمع الناس في شكل جماعات عمّروا الأرض، فمنها الكاملة، وغير الكاملة، والكمالة ثلاث: عظمي ووسطي وصغري، فالعظمي على مستوى المعمورة كلها، والوسطي اجتماع أمة في جزء من المعمورة، والصغري اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن الأمة. وغير الكاملة: كاجتماع أهل القرية وأهل المحلة، والاجتماع في السكة، والاجتماع في المنزل، وأصغرها المنزل. والقرية تخدم المدينة، والمحلة جزء من المدينة، والسكة جزء من المحلة، والمنزل جزء من السكة، والمدينة جزء من مسكن الأمة، والأمة جزء من جملة أهل المعمورة. وعلى هذا الأساس تتمايز أخلاق ونفسيات مكان كل منطقة، غير أن الشرور والفضائل تنال بالاختيار والإرادة. ولما كان مكان المدينة التعاون فيهم أكثر، فهم الأكثر سعياً طلباً للأحسن، وهو الخير والكمال اللذان تنال بهما السعادة، وهذه صفة أهل المدينة الفاضلة. والأمة التي تتعاون مدنها على ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة، وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة.

والمدينة الفاضلة كالبدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب، وأعضاء تتراتب، وكل واحد جُعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله، فكذلك المدينة. ورئيس المدينة هو أكمل أجزائها، قد كمل نفسياً وعقلياً

ومعرفياً فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل، فهو بالطبع جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ لما يفهم ويرى ويدرك، وجيد الفطنة ذكي، وحسن العبارة، محب للتعلّم والاستفادة، ومبغض للذات، محب للصدق، كبير النفس، محب للكرامة والعدل، قوي العزيمة، حكيم، حافظ للشرائع والسنن.

ويصنف الفارابي المدن بحسب الصفات العقلية والنفسية لأهلها، فهناك المدينة الجاهلة: التي يظن أهلها رضا النفس في سلامة البدن، وفي الثراء والاستمتاع بالملذات، وأن يخلوا وهواهم؛ والمدينة الضرورية: التي يقتصر أهلها على الضروري الذي به قوام الأبدان ويتعاونون فيه، والمدينة البدّالة: أي مدينة التجار، ويتعاون أهلها على جمع الثروة ويحبون الثراء حتى لو كان بغير الطرق المشروعة، ولا ينتفعون بثرائهم في شيء آخر، فالثراء هو غاية الحياة عندهم؛ ومدينة الخسة والسقوط: وأهلها يأتون الخسيس من الأعمال، ويتردون في حمأة الرذيلة، ويؤثرون الهزل واللعب، ومتعهم كلها حرام؛ ومدينة الكرامة: وأهلها كرام في خصالهم، ومحمودون في أفعالهم، يطلبون المكارم، وأن ينالوا الحظوة، وتنعقد لهم العظمة؛ ومدينة التغلب: وأهلها غزاة فاتحون، يخضعون البلدان، ويحبون السيطرة، ولذتهم في الغلبة؛ والمدينة الجماعية: وأهلها متساوون، وسنتهم لا فضل لإنسان على إنسان في شيء، وهم أحرار إلا أن يعمل الواحد منهم ما به تزول عنه حريته، ومن يرأسهم يرأسهم بإرادة المرؤوسين، ورؤساؤهم على هوى المرؤوسين، وإذا استقصي أمرهم فهم في الحقيقة لا رئيس ولا مرؤوس، وواضح أن الفارابي يقصد بهذه المدينة الجماعية الديمقراطية؛ والمدينة الفاسقة: وأهلها يعتقدون ويقولون ما لا يفعلون، وأفعالهم فيها جاهلية، أو أن سلوكهم سلوك أهل المدينة الجاهلة؛ والمدينة المتبادلة: التي بدّل أهلها معتقداتهم وسلوكهم وصاروا إلى النقيض؛ والمدينة الضالة: التي رسمت لها مبادئ وأفعال وآراء لا يمكن أن تنال بها السعادة، وهم مخدوعون عن الحق، يعيشون في الأوهام، مغترون بما هم فيه.

ومذهب الفارابي إلى القول بأن أخلاق النفس عادات تتغير، ولا يمتنع شيء من الأخلاق على التغيير والتبدّل، غير أن من ينشأ على خلق من الأخلاق ويتفق له تقويته، فإن زوال ذلك يعسر عليه، فالطبع أحياناً يغلب العقل

في مجال علم النفس الاجتماعي يكتب الفارابي أن الاجتماع في الإنسان فطرة، وأن الإنسان في قوامه، فلكي يبلغ أفضل كمالاته يحتاج إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه

وينتقد الفارابي مسلك كل أهل المدن إلا المدينة الفاضلة، وحتى المدينة الجماعية أو الديمقراطية لا تسلم من العيوب، ورئاساتها جميعاً جاهلة، لأنها لا تبغي غير الضروري، أو الجاه، أو اللذات أو الشهرة والذكر والمديح، أو السلطان والقهر والغلبة، أو الحرية، وكلها مطالب تُشترى بالمال، وخاصة أهل المدينة الجماعية (الديمقراطية) فإنهم إما يتساوون برئاساتهم بالتطاول على الرؤساء، وإما يُسلمون لهم القياد لأنهم أخذوا منهم الأموال، أو لمصلحة تنعقد لهم بمتابعتهم.

ومن الغريب أن هذا الفيلسوف الذي تحدث عنه الغرب قبل الشرق، والذي كشف بفكره الثاقب عن كثير من مؤلفات أرسطو وأخرجها للنور في لسان عربي سليم، والذي أثرت آراؤه على من جاء بعده من الفلاسفة والعلماء في كل علم وفن، والذي استمر التاريخ يتحدث عنه أكثر من ألف سنة، وسوف يتحدث عنه ما ظلت الفلسفة تدرس في معاهد العلم المختلفة، من الغريب أن حياة هذا الفيلسوف في طفولته وشبابه تكاد تكون شيئاً مجهولاً، أو هي مجهولة فعلاً، فلسنا نعرف عن الصورة التي قضى عليها الفارابي طفولته شيئاً، ولا على الطريقة التي درج عليها في الحياة حتى بلغ مبلغ الشباب، ثم الصورة التي قضى عليها شبابه، والأعمال التي قام بها، والطريقة التي تعلم بها، والمعلمين الذين تتلمذ عليهم حتى أحاط بمبادئ العلوم إلى الدرجة التي مكنته بعد ذلك من أن يبرع فيها، ويشرق اسمه، وينتشر ذكره.

ابن سينا كان يتمنى أن يجتمع بالفارابي ليأخذ عنه، لكن لم يتحقق له ذلك، يقول ابن سينا: ( لم أفهم كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو، رغم أني قرأته (40 مرة)، وحفظته عن ظهر غيب، إلى أن قرأت كتابات الفارابي حول الموضوع، ففهمت كتابات أرسطو وتوصلت إلى معانيها وأفكارها). والفارابي ترجم كتب أرسطو وفسّرها، ثم ضاعت كتب أرسطو في أوربا، فتُرجِمَت كتب أرسطو مما كتبه الفارابي، ويقولون" : لولا الفارابي لضاع أرسطو"، فاستحق لقب المُعَلِّم الثاني بعد أرسطو.

**لا يمكن أن ينال الإنسان الكمال الذي يسعى إليه بالفطرة إلا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه**

**المدينة الفاضلة كالبدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب، وأعضاء تتراتب، وكل واحد جُعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله، فكذلك المدينة**

يصنف الفارابي المدن بحسب الصفات العقلية والنفسية لأهلها، فهناك المدينة الجاهلة: التي يظن أهلها رضا النفس في سلامة البدن، وفي الثراء والاستمتاع بالملذات، وأن يخلوا وهواهم؛

المدينة الضرورية: التي يقتصر أهلها على الضروري الذي به قوام الأبدان ويتعاونون فيه، والمدينة البدّالة: أي مدينة التجار، ويتعاون أهلها على جمع الثروة ويحبون الثراء حتى لو كان بغير الطرق المشروعة، ولا ينتفعون بثرائهم في شيء آخر، فالثراء هو غاية الحياة عندهم

أشهر مؤلفات الفارابي:

– كتاب الموسيقى الكبير.

– آراء أهل المدينة الفاضلة.

– الجمع بين رأي الحكيمين — حاول فيه التوفيق بين أفلاطون وأرسطو.

–التوطئة في المنطق.

– السياسة المدنية.

– احصاء العلوم والتعريف بأغراضها.

– جوامع السياسة.

– فصوص الحكمة.

كان الفارابي وهو ابن (50 سنة) مولعاً بالأسفار في طلب العلم ونشره والإحاطة بشئون الجماعات، فانتقل من العراق إلى الشام حوالي سنة 330 هـ حيث اتصل بسيف الدولة الحمداني الذي عرف له فضله، وأكرم وفادته، وعاش في كنفه منقطعاً إلى التعليم والتأليف. وكان في أثناء إقامته بالشام يتنقل بين مدنها وخاصة بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت في حوزتهم تارة وتخرج أخرى.

ذكر معظم المؤرخين أن وفاة الفارابي كانت عن عمرٍ يناهز التسعة والسبعين أو الثمانين عام تقريباً في العام 339 هـ ودفن قي مقبرة الباب الصغير في دمشق، وصلى عليه سيف الدولة الحمداني في أربعة عشر أو خمسة عشر من خواصه ودلّ كلام المؤرخين على أن وفاته كانت طبيعية. وقد كتب على ضريح الفارابي: "هذا ضريح العالم والفيلسوف والأديب والموسيقي الإسلامي محمد بن طرخان بن أوزلغ المشهور بأبي نصر الفارابي".

شارك في المراجعة:

- أ. د. صبا علي – سوريا
- د. هبة الكردي – المانيا

## تيودور فايتز (وايتز) Theodor Waitz

تيودور فايتز ( وايتز) 1821–1864) Theodor Waitz)عالم نفس وأنثروبولوجيا ألماني، وُلد في غوتا في 17 مارس 1821. تلقى تعليمه في لايبزيغ Leipzig وجينا Jena، وجعل الفلسفة وعلم اللغة والرياضيات دراساته الرئيسية، وفي عام 1848 عُيّن أستاذًا للفلسفة في جامعة ماربورغ Universität Marburg. كان ناقدًا لاذعًا لفلسفة فيشته Johann Gottlieb Fichte وشيلينغ Friedrich Wilhelm Joseph Schelling وهيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel، واعتبر علم النفس أساس كل فلسفة.

من رواد سيكولوجية الشعوب، ومن خيرة علماء النفس الذين تناولوا التربية الدينية، ونقدوا نظريات التمايز العنصري، وبحثوا في الدوافع النفسية لها، ودحضوا مزاعم التفوق العرقي. وله كتاب "أنثربولوجيا الشعوب البدائية Anthropologie Naturvolker" (1859– 1872)، في ستة أجزاء، ويعتبر من الكتب المرجعية الهامة في علم نفس الأجناس وعلم الحضارات القديمة، وهدفه الذي قصد إليه من هذا الكتاب أن يؤسس لعلم في التربية، يقوم على دراسة واعية بالأصول السلالية وسيكولوجياتها وأفكارها وعاداتها وتقاليدها، وهي كما يقول أساس الحضارة الحالية. ويعتبر أول عمل شامل في الأنثروبولوجيا مكتوبًا باللغة الألمانية.

تيودور فايتز ( وايتز) Theodor Waitz (1821–1864)عالم نفس وأنثروبولوجيا ألماني، وُلد في غوتا في 17 مارس 1821. تلقى تعليمه في لايبزيغ Leipzig وجينا Jena، وجعل الفلسفة وعلم اللغة والرياضيات دراساته الرئيسية، وفي عام 1848 عُيّن أستاذًا للفلسفة في جامعة ماربورغ Universität Marburg

وفايتز من بيت ديني، وأبوه من المؤمنين المستنيرين، وكل كتب فايتز في الفلسفة وعلم النفس يبطنها الإيمان العميق بالله، وهي دعوة بطريقة أو بأخرى إلى احترام الديانات جميعها، باعتبارها أرفع وأسمى ما يمكن أن يبدع العقل في مجاله ويحظى باهتمامه.

ودرس فايتز في لايبتسغ Leipzig، وحصل على الدكتوراه في سن التاسعة عشرة ، وانضم إلى سلك التدريس بجامعة ماربورغ Universität Marburg ، ونشر كتابين تعليميين في علم النفس، وهما "أسس علم النفس 1846) "Grundlegung zur Psychologie)، و "علم النفس كعلم طبيعي 1946) "Lehrbuchder Psychologie) وقد حاول فيهما أن يمزج بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية. ومن رأي فايتز أن المعرفة بالعلم الطبيعي لا تبلغ بالإنسان إلى شيء وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى تأصيل معرفته بالعالم ليعلم أين هو منه. ولكي يتسنى لـ فايتز أن يعلم عن ذلك درس التشريح، وقرأ هيربرت Herbert Spencer وتأثر به، وأيقن أن العلم بأصول التربية هو الذي يمكن به تحصيل الفهم بالأفراد والجنس البشري ككل، وكتابه "التربية العامة 1852) "Allgemeine Padagogik) يطرح فيه كل تصوراته لعلم نفس تربوي بروح دينية.

وفايتز يؤمن بالوحدة السيكولوجية للجنس البشري، وهاجم بعنف فكرة ارتقاء أجناس على أجناس، التي قال بها كليم William Klemm. وغوبينو Arthur de Gobineau، وجورج غليدون George Robbins Gliddon، وأكد أن التمايز حدث فقط على مرّ التاريخ، وأن مراحل التاريخ يمر بها كل جنس، وأن التمايز تستحدثه البيئة وتفاعل الإنسان معها، وعلاقته مع الأفراد الآخرين في البيئة نفسها. وتفاعل الجماعات مع بعضها البعض. ولكي نعرف الإنسان في حقيقته بدون تأثيرات، لا بدّ أن ندرس الشعوب الأميّة. ويسميها فايتز الشعوب على الفطرة، ولن نخرج من هذه

من رواد سيكولوجية الشعوب، ومن خيرة علماء النفس الذين تناولوا التربية الدينية، ونقدوا نظريات التمايز العنصري، وبحثوا في الدوافع النفسية لها، ودحضوا مزاعم التفوق العرقي

وفايتز من بيت ديني، وأبوه من المؤمنين المستنيرين، وكل كتب فايتز في الفلسفة وعلم النفس يبطنها الإيمان العميق بالله، وهي دعوة بطريقة أو بأخرى إلى احترام الديانات جميعها، باعتبارها أرفع وأسمى ما يمكن أن يبدع العقل في مجاله ويحظى باهتمامه

الدراسة إلا بأن الأسس النفسية لها جميعاً واحدة، وكذلك قدراتها العقلية، طالما أنها تخضع لمؤثرات بيئية واحدة. ولم تحدث الإبادة لبعض هذه الشعوب إلا بسبب صغر حجمها، وللتأثير الضار للاحتكاك بالأوربيين الغزاة، ولم يكن السبب هو تفاوت في القدرات العقلية أو الخصائص النفسية. ويقول فايتز إنه من الأولى أن نتحدث عن شعوب وليس عن أجناس، فالأجناس لا وجود لها كوحدات دائمة لا تقبل التغيّر والتحول. والشعوب في ذلك، أو حتى الأجناس، مثل الأفراد في الجماعة الواحدة، فكما أن الأفراد بينهم فروق فردية واختلافات تشريحية وفزيولوجية وسلوكية، فكذلك الشعوب أو الأجناس، وإنما يتم ذلك كله في إطار وحدة الجماعة الإنسانية. وسخر فايتز من أن يكون أفراد الجنس الأسود مثلاً لهم جميعاً مقاسات واحدة في هيئة الجمجمة، أو أن الاختلاف بين الشعوب وعدم نقائها عرقياً هو المسؤول عن تدهورها، أو أن الحضارة موهبة وتقوم على المواهب العقلية لشعب دون شعب، أو أن المواهب عند شعب مسألة دائمة وثابتة.

وقال إن التطور الحضاري ورقي أي ثقافة يعتمدان على مستوى تعليم أفراد الشعب والمرحلة التاريخية التي يعيشونها. وكما أن النمو العرقي للشعب يمكن أن يتغير نتيجة التغير في المناخ والغذاء وأسلوب الحياة والظروف الاجتماعية، الخ، فكذلك تتغير مواهب الشعوب. وقال إنه حتى في الثقافة الواحدة تتباين المستويات الحضارية للأفراد، ومن الممكن لشعب من الشعوب أن يرتقي دون أن يستعير الوسائل الحضارية لشعب آخر. وكذلك يمكنه أن يتجنب أسباب انحطاط وتدهور شعب آخر. وعارض غوستاف فخنر Gustav Fechner في دعواه أن الانغماس في الملذات هو سبب انحطاط الشعوب، وقال إن اجتناب الملذات لا يصنع الحضارة، وإنما يصنعها العمل الدؤوب.

وقال إن الإنسان يحشد طاقاته النفسية ويعمل بجد عندما يتعرض

من رأي فايتز أن المعرفة بالعلم الطبيعي لا تبلغ بالإنسان إلى شيء وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى تأصيل معرفته بالعالم ليعلم أين هو منه

وفايتز يؤمن بالوحدة السيكولوجية للجنس البشري، وهاجم بعنف فكرة ارتقاء أجناس على أجناس

أن التمايز حدث فقط على مرّ التاريخ، وأن مراحل التاريخ يمر بها كل جنس، وأن التمايز تستحدثه البيئة وتفاعل الإنسان معها، وعلاقته مع الأفراد الآخرين في البيئة نفسها

يقول فايتز إنه من الأولى أن نتحدث عن شعوب وليس عن أجناس، فالأجناس لا وجود لها كوحدات دائمة لا تقبل التغيّر والتحول.

للضغوط،وليس الجهد الذهني إلا وسيلة نحو غاية ارتقائية وليس غاية في حد ذاته. ولعله لهذا كان اهتمام فايتز بعلم النفس والتربية لكي يدلل على أن التعليم هو وسيلة التحضر، وسبيل الإنسان إلى ظروف اجتماعية أفضل، ومن ثم تكون له المواصفات السيكولوجية المهيئة للإبداع والترقي.

لم يمنع توجه فايتز الأخلاقي والمثالي من القيام بأعمال تجريبية بحتة. في الواقع، وعلى عكس علم النفس في عصره، الذي هيمنت عليه مثالية هيجل ومراحل البناء الجدلي، كان عمله إعلانًا عن الأهمية القصوى للتجريبية في علم النفس. أكد فايتز على أن علم النفس، مثل العلوم الطبيعية، يجب أن يستكشف العلاقات السببية في عالم النفس. كما انتقد علم النفس التقليدي لفشله في دراسة التفاعلات بين الأفراد التي تشكل الحياة الداخلية والخارجية للمجتمع البشري. وبينما أكد على هذا الجانب الاجتماعي للبحث الأنثروبولوجي، إلا أنه اعتقد أن الجهد الإبداعي الفردي يزداد بروزًا في الجماعات البشرية مع تقدم الثقافة.

كما أن الأفراد بينهم فروق فردية واختلافات تشريحية وفزيولوجية وسلوكية، فكذلك الشعوب أو الأجناس، وإنما يتم ذلك كله في إطار وحدة الجماعة الإنسانية

قال إن التطور الحضاري ورقي أي ثقافة يعتمدان على مستوى تعليم أفراد الشعب والمرحلة التاريخية التي يعيشونها

قال إنه حتى في الثقافة الواحدة تتباين المستويات الحضارية للأفراد، ومن الممكن لشعب من الشعوب أن يرتقي دون أن يستعير الوسائل الحضارية لشعب آخر

شارك في المراجعة:

• د. هبة الكردي – المانيا

## Gustav Theodor Fechner غوستاف تيودور فخنر

جوستاف تيودور فخنر Gustav Theodor Fechner (1801–1878) فيلسوف وفيزيائي وعالم نفس ألماني، ولد في بلدة غروس سيرشن Gross–Sérchen بألمانيا، وتوفي في لايبزيغ Leipzig. درس الطب في جامعة لايبزيغ، Universität Leipzig وحصل على الدكتوراه وعمره 21 سنة. وبعد تخرجه بدأ يهتم بدراسة الفيزياء، والرياضيات، وترجم إلى الألمانية كثيراً من المراجع الفرنسية ذات العلاقة، كما قام بتدريس مادة الفيزياء ثم الفلسفة في جامعة لايبزيغ.وكان شديد الإقبال على القراءة في الفلسفة والعلوم، وانشغل فترة بالترجمة من الفرنسية للكتب العلمية والاستزادة بهذه الطريقة من العلم غير الألماني، وكانت به هواية أدبية ويكتب الهجائيات يسخر بها من الاتجاهات المادية للفلسفة الألمانية.

عُرف فخنر أولاً بمذهب فلسفي امتد تأثيره إلى بعض المفكرين الأمريكيين ومنهم وليم جيمس. فقد ذهب في كتابه «زندأفستا أو في أمور السماء وما بعد الموت» Zendavesta oder über die Dinge des Himmels und des Jenseits إلى أن الميتافيزيقيا (علم ما وراء الطبيعة) علم حق يقوم على حاجة فينا للإيمان بمبدأ العدل والخير، وأن الدليل الأقوى على وجود هذا المبدأ هو كوننا نبحث عنه ولا يسعنا إلا أن نبحث عنه. ومنهج الميتافيزيقيا هو تصور العالم على مثال وجداننا, فكما أن موضوع العلم الطبيعة المنظورة المعلومة بالملاحظة والاستقراء، فكذلك موضوع الميتافيزيقيا

جوستاف تيودور فخنر Gustav Theodor Fechner ((1801- 1878 فيلسوف وفيزيائي وعالم نفس ألماني، ولد في بلدة غروس سيرشن Gross- Sérchen بألمانيا، وتوفي في لايبزيغ Leipzig

درس الطب في جامعة لايبزيغ، Universität Leipzig وحصل على الدكتوراه وعمره 21 سنة. وبعد تخرجه بدأ يهتم بدراسة الفيزياء، والرياضيات، وترجم إلى الألمانية كثيراً من المراجع الفرنسية ذات العلاقة

باطن الطبيعة يدرك بالحدس الباطن.

هذا الحدس يظهر على أن الوجدان تقدم أفعال من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، وأنه كثرة أفعال في وحدة غير متجزئة، فالعالم من ثمة وحدة حاصلة على الخصائص نفسها، إلا أنه غير محدود. العالم وجدان واحد هو وجدان الله، وكل وجدان – مع تميزه من غيره في الظاهر، فهو مظهر من الوجدان الكلي. والكواكب ملائكة السماء والأرض متنفسة لأنها كل منظم بفصولها المطردة، وأجزاؤها نفوس الموجودات الأرضية من نبات وحيوان وإنسان، وهذه النفوس إضافة إلى الأرض كأفكارنا إضافة إلى أنفسنا.

لكن شهرة فخنر تقوم على أنه المؤسس لما يُسمى الفيزياء النفسية Psychophysics أو علم النفس الفيزيائي، وكتابه "مبادئ السايكو فيزيقا (Elemente der Psychophysik" 1860) علامة كبرى في تاريخ علم النفس.

علم النفس الفيزيقي «مذهب مضبوط في العلاقات بين النفس والجسم، وعموماً بين العالم الفيزيقي والعالم النفسي» فهو إذن علم تجريبي بحت يتناول الظواهر وقوانينها من دون أن يعرض لجوهر النفس ولا لجوهر الجسم.

ولما كانت الفرضية مشروعة في العلم الواقعي، افترض فخنر أن التقابل بين النفس والجسم يرجع إلى أن ما يبدو أنه النفس من الداخل يبدو أنه الجسم من الخارج، وهذا ما سمي «التوازي Parallelism النفسي الفيزيقي» من تأثير متبادل، وقد اتخذ فخنر من قياس الظواهر الخارجية وما تحدثه في الإنسان من ظواهر عصبية قياساً للظواهر النفسية التي لا تقاس مباشرة.

وفخنر من أسرة متوسطة، توفي أبوه وهو في الخامسة، وعانى فيما يبدو في حياته، ونشأ مضطرب النفس، ويبدو أن ظروفه، وإرهاق العمل، وكتاباته الكثيرة التي كانت تقارب سنوياً من الألفي صفحة فولسكاب، بالإضافة إلى بحوثه التي بلغ عددها نحو الثلاثة والعشرين، سارعت بتداعيه للمرض

أن الميتافيزيقيا (علم ما وراء الطبيعة) علم حق يقوم على حاجة فينا للإيمان بمبدأ العدل والخير، وأن الدليل الأقوى على وجود هذا المبدأ هو كوننا نبحث عنه ولا يسعنا إلا أن نبحث عنه

منهج الميتافيزيقيا هو تصور العالم على مثال وجداننا, فكما أن موضوع العلم الطبيعة المنظورة المعلومة بالملاحظة والاستقراء، فكذلك موضوع الميتافيزيقيا باطن الطبيعة يدرك بالحدس الباطن

هذا الحدس يظهر على أن الوجدان تقدم أفعال من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، وأنه كثرة أفعال في وحدة غير متجزئة، فالعالم من ثمة وحدة حاصلة على الخصائص نفسها، إلا أنه غير محدود

النفسي، وقيل إنه أصيب بالفصام Schizophrenia، وكانت لديه وساوس، وتأتيه هلاوس. وقيل أيضا انه عانى من الاكتئاب الشديد حتى فكر في الانتحار، وكان لا يأكل بالأسابيع، ولا يتكلم، وانقطع عن التدريس في الجامعة مدة أربع سنوات، وأصيبت عيناه بنوع من الكلل، ربما نتيجة تحديقه في الشمس في دراساته على الضوء.

وإسهامات فخنر في علم النفس الفيزيائي كثيرة، منها تنقيحه لمقولة فيبر المعروفة بالفروق الملحوظة تواً Just noticeable differences؛ ودراسته للألوان، وهي الظاهرة التي يقال لها ألوان فخنر Fechner's colours، والتي تحصل بمقتضاها ألوان جديدة بخلط الألوان الذاتية كالأبيض والأسود، فينتج الخلط درجات الرمادي المختلفة؛ واكتشافه للظاهرة البصرية التي يقال لها متوهمة فخنر Fechner's paradox، ومؤداها أن الشكل الذي يرى بكلتا العينين يزيد لمعانه برؤيته بعين واحدة مع إطباق العين الأخرى.

وكانت لـ فخنر اهتمامات فنية، ويعتبر في مجال الفن المؤسس لعلم الجمال التجريبي Experimental esthetics، وظهر أول بحث له فيه سنة 1865، ويدور على ما يسمى في علم الجمال القطع الذهبي Golden sector، وهو مناسبة الطول للعرض، أو تقسيم الشكل الفني هندسياً إلى قسمين، نسبتهما إلى بعضهما كنسبة ثلاثة إلى خمسة. فقد تبين بالتجربة أن العين ترتاح لأية مساحة، كأن تكون لوحة تصويرية مثلاً، تقسم هذا التقسيم بين الظلال والأضواء، أو بين الفراغ والإشغال. ومرة أخرى نجد أن فخنر يحاول أن يقيم الجماليات على التجريب، ويصنع لها القوانين، ويناسب بين الإحساس النفسي والتكوينات الفيزيائية. وظل فخنر، لكي يحدد هذه المناسيب تحديداً قياسياً، يقيس كل ما يقال له أعمالاً فنية ويوصف بالجمالية، وأصدر كتابه "المدخل لعلم الجمال 1876) "Vorschule der Aesthetik)، ضمّنه أفكاره هذه عن العلاقة بين علم النفس وعلم الفيزياء في الجماليات،

علم النفس الفيزيقي «مذهب مضبوط في العلاقات بين النفس والجسم، وعموماً بين العالم الفيزيقي والعالم النفسي» فهو إذن علم تجريبي يبحث يتناول الظواهر وقوانينها من دون أن يعرض لجوهر النفس ولا لجوهر الجسم

قيل إنه أصيب بالفصام Schizophrenia، وكانت لديه وساوس، وتأتيه هلاوس. وقيل أيضا انه عانى من الاكتئاب الشديد حتى فكر في الانتحار

إسهامات فخنر في علم النفس الفيزيائي كثيرة، منها تنقيحه لمقولة فيبر المعروفة بالفروق الملحوظة تواً Just noticeable differences؛ ودراسته للألوان

فكأن فخنر وهو يبحث في الفيزياء النفسية، أو في الجماليات، لم يتخل عن اهتمامه الأساسي، وهو بمصطلح الفلسفة العلاقة بين النفسي والمادي، وهو أيضاً موضوع فلسفته، إن السايكوفيزيقا هي علم نفس طبيعي، وكذلك فلسفته هي فلسفة نفسية طبيعية. ومذهب فخنر إذن، سواء في مجال علم النفس، أو في مجال علم الجمال، أو في مجال الفلسفة، يقوم في أساسه على الربط بين النفسي والمادي، وكان ذلك هو الدافع إلى تأليف كتاب "الحياة بعد الموت 1836) "(Das Buchlein vom leben nachdem Tode وكتاب "زندأفستا عن الأشياء في السماء وما بعدها Zend Avesta oder (uber die ding Himmels und des Jenseits" 1851)، وفيهما يجعل فخنر للأشياء نفوساً، ويقول إن العالم مظهر مادي، ومخبره نفسي، وإن الحقيقة الكلية مادية ونفسية معاً.

في عام 1850 أعلن فخنر القانون المعروف بقانون فخنر وهو: «إن الزيادة في قوة المنبه Stimulus الضرورية لإحداث أقل زيادة مدركة في الإحساس، تتعلق طرداً بنمو المنبه». وهذا القانون صحيح على وجه التقريب في الإحساسات متوسطة القوة، ولكنه لا يعني أن القياس واقع على الإحساسات بما هي ظواهر وجدانية. فشرع فخنر يجري التجارب، وكان كتابه «عناصر علم النفس الفيزيائي» Elemente der Psychophysik عام 1860 أول كتاب منظَّم في علم النفس مبني على الرياضيات.

ان إسهامه العلمي هذا له شق عملي، وشق فلسفي، والاثنان في الواقع متكاملان، وإنجازه في الشق الأول هو كتابه في علم النفس الفيزيائي أو السايكوفيزيقا، وتأسيسه لهذا العلم المبني على القياس الكمي للظواهر النفسية، والربط بين علم النفس وعلم الفيزياء. وقانونه المسمى بقانون فخنر أحياناً. وقانون فيبر فخنر أحياناً أخرى من أهم القوانين التي استطاع أن يصوغها رياضياً، وقيل فيه إنه فعلاً أول قانون رياضي في مجال علم

أصدر كتابه "المدخل لعلم الجمال Vorschule der Aesthetik" (1876)، ضمّنه أفكاره هذه عن العلاقة بين علم النفس وعلم الفيزياء في الجماليات، فكأن فخنر وهو يبحث في الفيزياء النفسية، أو في الجماليات، لم يتخل عن اهتمامه الأساسي، وهو بمصطلح الفلسفة العلاقة بين النفسي والمادي

مذهب فخنر إذن، سواء في مجال علم النفس، أو في مجال علم الجمال، أو في مجال الفلسفة، يقوم في أساسه على الربط بين النفسي والمادي

النفس، وطبقاً لهذا القانون فإن شدة الإحساس تتناسب تناسباً طردياً مع لوغاريتم شدة التنبيه. أو بعبارة أخرى شدة الإحساس تساوي مقداراً ثابتاً مضروباً في لوغاريتم شدة التنبيه، والمقدار الثابت المشار إليه هو المشهور بثابت فيبر Ernst Heinrich Weber (وبعني أن الأحداث الحسية قد ترتبط رياضيًا بالتغيرات النسبية القابلة للقياس في قيم التنبيه الفيزيائي).

ووضع بناء على ذلك جدولين للزيادات: أحدهما للمنبهات والآخر للإحساسات، ولما كانت زيادة المؤثرات مقيسة تبعاً لنسبة مطردة، اعتقد أنه يكفي الافتراض أن كل زيادة مدركة في الإحساس تمثل (وحدة هي هي دائماً)، مما يؤدي إلى سلسلتين متزايدتين يمكن المقارنة بينهما مقارنة رياضية، ووضع هذا القانون: «حين تزداد كثافة المنبه بنسبة هندسية يزداد الإحساس بنسبة حسابية فقط» أو «إن حساب الإحساس ينمو طرداً مع لوغاريتم كثافة المنبه».

وضع فخنر ثلاثة أساليب سيكوفيزيقية مستقلة لقياس العتبات الحسية وهي:

. طريقة التغيرات الصغرى (الحدود)، وفيها قدم عدداً من المنبهات (المثيرات) في سلسلة تتغير صعوداً وهبوطاً.

. طريقة الخطأ المتوسط، وفيها يعدل المفحوص من المنبهات المقدمة إليه وفقاً للتعليمات.

. طريقة حالات الخطأ والصواب، وفيها تقدم إلى المفحوص سلسلة من المنبهات من دون ترتيب.

أثارت أبحاث فخنر اهتماماً بالغاً ومناقشات حادة وحركة واسعة في ميدان علم النفس التجريبي وعلم النفس الفيزيقي والتحليل النفسي. وفي المرحلة الأخيرة من حياته تحول إلى دراسة علم الجمال، وأصدر عديداً من الكتب في هذا المجال ومن أهمها: «المدخل إلى علم الجمال» Vorschule der Ästhetik عام 1876.

**في عام 1850 أعلن فخنر القانون المعروف بقانون فخنر وهو: «إن الزيادة في قوة المنبه Stimulus الضرورية لإحداث أقل زيادة مدركة في الإحساس، تتعلق طرداً بنمو المنبه».**

**ان إسهامه العلمي هذا له شق عملي، وشق فلسفي، والاثنان في الواقع متكاملان، وإنجازه في الشق الأول هو كتابه في علم النفس الفيزيائي أو السايكوفيزيقا، وتأسيسه لهذا العلم المبني على القياس الكمي للظواهر النفسية، والربط بين علم النفس وعلم الفيزياء**

إضافة إلى ذلك نشر فخنر كثيراً من الكتابات الأدبية الساخرة، ولكن دائماً بالاسم المستعار الدكتور ميزِس Dr.Mises. ومن مؤلفاته المهمة الأخرى: «في مسألة الروح» Über die Seelenfrage عام (1861)، و«الدوافع أو الأسباب الثلاثة للإيمان» Die drei Motive oder Gründe des Glaubens عام (1863)، و«في علم الجمال التجريبي» Zur Experimentalen Ästhetik عام (1873)، و«قضايا علم النفس الفيزيقي» In Sachen der Psychophsik عام (1877).

وضع فخنر ثلاثة أساليب سيكوفيزيقية مستقلة لقياس العتبات الحسية وهي:
. طريقة التغيرات الصغرى (الحدود)، وفيها قدم عدداً من المنبهات (المثيرات) في سلسلة تتغير صعوداً وهبوطاً.
. طريقة الخطأ المتوسط، وفيها يعدل المفحوص من المنبهات المقدمة إليه وفقاً للتعليمات.
. طريقة حالات الخطأ والصواب، وفيها تقدم إلى المفحوص سلسلة من المنبهات من دون ترتيب

أثارت أبحاث فخنر اهتماماً بالغاً ومناقشات حادة وحركة واسعة في ميدان علم النفس التجريبي وعلم النفس الفيزيقي والتحليل النفسي

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

## Shepard Ivory Franz شيبارد آيفوري فرانز

شيبارد آيفوري فرانز Shepard Ivory Franz (1874–1933) من أعلام علم النفس الفزيولوجي، وبحوثه مستفيضة في وظائف المخ. وإعادة تأهيل المرضى المصابين بالشلل وغيره، على أساس نفسي فزيولوجي

يرجع الفضل لفرانز في كشفه بطلان الكثير من النظريات السائدة حول المخ ووظائفه مما كان يُعرف بفراسة الدماغ، وهي وجهة نظر تجعل للوظائف العقلية مواضع ثابتة في المخ

شيبارد آيفوري فرانز (Shepard Ivory Franz 1874– 1933) من أعلام علم النفس الفزيولوجي، وبحوثه مستفيضة في وظائف المخ. وإعادة تأهيل المرضى المصابين بالشلل وغيره، على أساس نفسي فزيولوجي، ببرامج معدة خصيصاً لهم، مع ملاحظة الفروق الفردية بين مختلف المرضى. له عشرات المقالات في ذلك، ومن مؤلفاته "الوجيز في طرق الفحص العقلي (1912 "Handbook of Mental Examination)، و "إعادة التعلم العصبي والعقلي (1923 "Nervous and Mental Re– education).

ويرجع الفضل لفرانز في كشف بطلان الكثير من النظريات السائدة حول المخ ووظائفه مما كان يُعرف بفراسة الدماغ، وهي وجهة نظر تجعل للوظائف العقلية مواضع ثابتة في المخ، وتقول بمنطقة صامتة Silence area مكانها الفصان الجبهيان لا عمل لها، وقد ذهب البعض إلى أن جعل وظيفة هذه المنطقة هي التدعيات associations طالما أنه لا توجد هذه الوظيفة في المناطق المعروفة الأخرى.

وكانت حالة أحد المرضى ويُدعى فينياس غيغ Phineas Gage مناسبة طيبة أن يُدلي المختصون كلّ بدلوه فيها، وكان فينياس قد أصيب في حادثة واخترق سيخ حديد فصّه الجبهي الأيسر، الأمر الذي دعا المشرفين على علاجه أن يقولوا إن هذه المنطقة هي منطقة نشاطات عقلية معقدة، ولهذا فإن فينياس لم يعد يأتي إلا البسيط من الأمور العقلية، وعجز عن المعقد

منها، إلا أن فرانز خالفهم أنه حتى مع استئصال الفصين الجبهيين في القطط والقرود فإن الحيوان لا ينسى عاداته السلوكية القديمة كالأكل في حالة القرود، والخربشة في حالة القطط، ولكنه ينسى تماماً العادات السلوكية المتعلمة حديثاً كالخروج من صندوق مشكل مثلاً. إلا أن الحيوان مع ذلك يمكن أن يخضع لبرنامج تدريبي يعود به إلى السلوك الذي كان قد نسيه. وقال فرانز إن استئصال أحد الفصين دون الآخر لا يعوق الحيوان تماماً عن إتيان السلوك القديم والسلوك المكتسب حديثاً، وإن كان أداؤه يتأثر بعض الشيء ولا يكون بالمهارة التي كان عليها قبل العملية.

وعارض فرانز الفراسة الجديدة New phrenology كما سمّاها، وهي التي تقول بمواضع في المخ للوظائف العقلية، وإن كان قولهم فيها يختلف كثيراً عن وجهة النظر القديمة في فراسة الدماغ. وأجرى فرانز تجاربه على القرود، وعلى موضع الحركة في مخ القرد، وأثبت أن استثارة اللحاء في هذا الموضع تختلف ردود فعل الحيوان عليها باختلاف القرود، وأدت به هذه التجارب إلى القول بأن الممرات الخاصة بردود الفعل ليست وحدات بسيطة كما يُظن ولكنها معقدة، ولا تتركز في موضع بعينه ولكنها منتشرة.

وكانت تجاربه في إعادة تعليم الحيوانات التي تصاب بتلف في المخ أو يُستأصل جزء منه، مدعاة له أن يُطالب بإعادة تأهيل العجزة بإصابات المخ. مما كان سبباً في استئناف الكثيرين لحياتهم واستردادهم القدرة على الحركة أو بعضها. وواصل تلميذه كارل لاشلي Karl Lashley عمله في هذا المجال وتوسع فيه.

قال فرانز إن استئصال أحد الفصين دون الآخر لا يعوق الحيوان تماماً عن إتيان السلوك القديم والسلوك المكتسب حديثاً، وإن كان أداؤه يتأثر بعض الشيء ولا يكون بالمهارة التي كان عليها قبل العملية

عارض فرانز الفراسة الجديدة New phrenology كما سمّاها، وهي التي تقول بمواضع في المخ للوظائف العقلية، وإن كان قولهم فيها يختلف كثيراً عن وجهة النظر القديمة في فراسة الدماغ. وأجرى فرانز تجاربه على القرود، وعلى موضع الحركة في مخ القرد، وأثبت أن استثارة اللحاء في هذا الموضع تختلف ردود فعل الحيوان عليها باختلاف القرود

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

## فريدريك وليام أوغست فروبل Friedrich Wilhelm August Fröbel

فريدريك فروبل Friedich Froebel ((1782- 1852 ألماني، مؤسس حركة رياض الأطفال، وصاحب نظريتي اللعب الإنشائي والنشاط الذاتي، كأساس نفسي تربوي لتعليم الأطفال.

لم يرسله والده ليتعلم حتى قارب عمره العاشرة، ووقتها تعلم القليل من التراتيل الإنجيلية والتعاليم الدينية. عندما تجاوز العاشرة ذهب للعيش مع خاله الذي أودعه مدرسة ليلحق بما فاته من تعليم

فريدريك فروبل (Friedich Froebel (1782– 1852 ألماني، مؤسس حركة رياض الأطفال، وصاحب نظريتي اللعب الإنشائي والنشاط الذاتي، كأساس نفسي تربوي لتعليم الأطفال.

فقد فروبل والدته باكرًا قبل أن يتم عامه الأول.كانت تلك الصدمة الأولى التي شهدها وما ترتب عليها من معاناة. فوالده لم يستطع التفرغ له ليرعاه بشكل صحيح، فتركه بين أيدي الخدم الذين أهملوا الاهتمام به، وقبل أن يبلغ عامه الخامس تزوج والده بسيدة كانت تعامله بلطف كبير في البداية ولكن عندما رُزقت بعد ذلك بأطفال غيره أهملته هي الأخرى وتركته لعبث إخوته الصغار.

لم يرسله والده ليتعلم حتى قارب عمره العاشرة، ووقتها تعلم القليل من التراتيل الإنجيلية والتعاليم الدينية. عندما تجاوز العاشرة ذهب للعيش مع خاله الذي أودعه مدرسة ليلحق بما فاته من تعليم. ولكن فروبل وجد صعوبة وتَعسرًا دراسيًا فسنوات الإهمال الطويلة التي عاناها، وعقم المناهج الدراسية لم تجعله يحصد أي نجاحات.كان يردد أنهم يحفظون المناهج مثل الببغاوات ولا ترتبط المواد التي يدرسونها بما هو موجود حوله في الواقع.

بعد خمس سنوات من الدراسة عاد إلى أبيه الذي لم يساعده على دخول الجامعة مثل إخوته، فلجأ إلى العمل وخلال فترة عمله مساعدًا متخصصًا في مجال الغابات – فقد كان يعشق الطبيعة– أظهر تفوقًا كبيرًا في حساب المساحات والاهتمام بأنواع النباتات. وبعد عامين من العمل عندما كان

بالسابعة عشر من عمره لجأ إلى الجامعة لدراسة الرياضيات، وعلوم الطبيعة، والجغرافيا. وعاد للعمل بعد ذلك بوظائف خاصة بالغابات، وذلك حتى عام 1805م. في هذا العام توفر لديه بعض المال، ولأن حب التعلم هو شغفه قرر أن يدرس الهندسة المعمارية في مدرسة Musterschule في فرانكفورت. لكنه بدلًا من تلك الدراسة يجد من يقنعه بالالتحاق بسلك التعليم ويهيئ له وظيفة مدرس في تلك المدرسة.

فيَدرس في البداية أسس وطرق بستالوتزي Pestalozzi ويتعرف على أسلوبه ومنهجه في التعليم والتربية؛ فيقرر أن يتتلمذ على يديه مباشرة، ويسافر إلى سويسرا، ليدرس في معهد بستالوتزي . كان لأسلوب بستالوتزي القائم على الملاحظة والمراقبة وتسجيل النتائج أثر كبير على أسلوب فروبل الذي سعى إلى الاستفادة وتطوير هذا المنهج مما جعله يتفوق على أقرانه من المعلمين.

كان للقاء فروبل مع بيستالوتسي Johann Heinrich Pestalozzi المربي المشهور (1808)، وتأثر به، إلا أن السيكولوجية التربوية عند فروبل أكبر مساحة، وأكبر في مجال تطبيقها. والفروبلية Froebelism هي النظرية التربوية بمنهج فروبل، وتقوم على أسس نفسية من علم نفس النمو أو علم نفس الطفل. واتجاه فروبل لامتهان التعليم كانت دوافعه نفسية بتأثير من حياته الخاصة. ونزعته النفسية في التربية لها أصول فلسفية، فقد كان من المؤمنين بعقيدة وحدة الوجود، وكان يرى أن الكون والطبيعة والإنسان شيء واحد، وأن النمو في الإنسان يتجه إلى تعزيز قانون الوحدة، أي الوحدة العضوية للإنسان، ووحدة النفس والعقل والبدن، ووحدة نشاطه، ووحدة الجنس البشري، وإن التعليم ينبغي أن يؤكد هذه الوحدة، ويسترشد بقانون الوحدة.

بدأ فروبل تجاربه التربوية بإنشاء مدرسة صغيرة قوامها خمسة أطفال في كوخ لأحد الفلاحين في غريزهايم Griesheim ، وأطلق عليها اسم المعهد التربوي الألماني العام، على طريقة بيستالوتسي وأهدافه نفسها، وانتقل بها

بعد خمس سنوات من الدراسة عاد إلى أبيه الذي لم يساعده على دخول الجامعة مثل إخوته، فلجأ إلى العمل وخلال فترة عمله مساعدًا متخصصًا في مجال الغابات – فقد كان يعشق الطبيعة– أظهر تفوقًا كبيرًا في حساب المساحات والاهتمام بأنواع النباتات

فقد كان من المؤمنين بعقيدة وحدة الوجود، وكان يرى أن الكون والطبيعة والإنسان شيء واحد، وأن النمو في الإنسان يتجه إلى تعزيز قانون الوحدة، أي الوحدة العضوية للإنسان، ووحدة النفس والعقل والبدن، ووحدة نشاطه، ووحدة الجنس البشري

في العام التالي إلى كيلهو Kailhau عام 1817م.، وافتتح مدرسة مماثلة في سويسرا، وملجأ، ومركزاً لتدريب المدرسين (1831) في باربلانكنبرج Blankenberge ، وفيها كانت أول مدرسة لرياض الأطفال، وحققت نجاحاً منقطع النظير، وعممت وانتشرت في ألمانيا وسويسرا وبلاد أخرى كثيرة.

طرح فروبل فلسفته في التربية والقوام السيكولوجي لهذه الفلسفة في كتابيه الرئيسيين "تربية الإنسان"و "التربية عن طريق النمو"، وهما الكتابان اللذان يؤسسان للتربية الحديثة التي تدين لـ فروبل أكثر مما تدين لـ بيستالوتسي Johann Heinrich Pestalozzi وهيربات Johann Friedrich Herbart.

طرح فروبل فلسفته في التربية والقوام السيكولوجي لهذه الفلسفة في كتابيه الرئيسيين "تربية الإنسان"و "التربية عن طريق النمو"، وهما الكتابان اللذان يؤسسان للتربية الحديثة التي تدين لـ فروبل أكثر مما تدين لـ بيستالوتسي Johann Heinrich Pestalozzi وهيربات Johann Friedrich Herbart

وتقوم فكرة روضة الأطفال Kindergarten على أساس سيكولوجي خالص، وهو مساعدة الطفل على أن يُعبر عن نفسه، وبذلك يحدث النمو. ولكي نصل إلى هذه النتيجة علينا أن نبدأ باكتشاف ميوله الطبيعية ونزعاته إلى العمل ونساعده على تنميتها بتوجيهاتنا، وأن يكون المبدأ الذي يسير عليه هذا التوجيه هو مبدأ "النشاط الذاتي Self– activity" الذي يهدف إلى مساعدة الطفل على التعبير عن الآراء والمعارف التي يكتسبها أثناء هذا النشاط، واستخدامها عملياً، على أن الهدف المبدئي ليس مجرد كسب المعلومات ولكنه تحقيق ذات الطفل ومساعدة عملية النمو. والمعرفة التي يكتسبها الطفل وسيلة إلى غاية، وهي مهمة إذا أردنا أن نحقق النمو.

وتقوم الفروبلية على الربط بين الذاتي والموضوعي، وبين المعرفة والوجدان، والنشاط والإدراك، والتفكير والحياة، وتؤسس للتلاؤم بين الفرد والمجتمع على معرفة الفرد بذاته وبالطبيعة والمجتمع. واعتنق فروبل نظرية التطور العضوي وطبقها في التربية، باعتبار كل لاحق لا بدّ أن ينشأ عن السابق، وأن التطور يُعلن عن نفسه في كل نشاط، وأن التربية مظهر من هذا التطور التقدمي، وهي عملية نمو تتسع بها حياة الفرد وترتبط بالطبيعة، وتتمكن من التكيّف مع المجتمع والاندماج فيه، والمشاركة الوجدانية في كل نواحي

تقوم الفروبلية على الربط بين الذاتي والموضوعي، وبين المعرفة والوجدان، والنشاط والإدراك، والتفكير والحياة، وتؤسس للتلاؤم بين الفرد والمجتمع على معرفة الفرد بذاته وبالطبيعة والمجتمع

نشاطه. والنشاط الذاتي هو الطريقة التي تتحقق بها التربية بمعنى النمو.

وليست النفس أو العقل جهازين مزودين بالنشاط ولكنهما النشاط ذاته، أحدهما نشاطه نفسي، والآخر نشاطه عقلي، كما أن الجسم نشاطه بدني، وليس ثمة انفصال بين هذه الأنشطة، ولكنها نشاط واحد جوانبه ثلاثية. وعن طريق هذا النشاط الموحد يحقق الفرد نفسه، ويشعر بذاته، ويقرر مصير نفسه. والنشاط الذاتي هو العنصر الأساسي المميز للحياة، والذي غرسته الطبيعة في كل فرد، وهو ميل طبعي في كل فرد أن يحقق طبيعته الخاصة، ويدرك الطبيعة والعالم الخارجي، ويدرك نفسه التي بها يعرف طبيعته، وبها يصبح جزءاً من الطبيعة ومن الإنسانية. ولا يتحقق ذلك لأيّ منا إلا إذا كانت مظاهر نشاطه بيده يسيطر عليها، ويعمل في حرية بدون ضغوط خارجية عليه. والنشاط الذاتي إذن هو النشاط الذي تسيطر عليه دوافع الفرد النابعة من ميوله الخاصة. وينبغي أن ترتكز جميع عمليات التعليم على ميول الطفل الإرادية، بدءاً من مظاهر نشاطه التلقائي، وتوجه نحو أهداف معينة. ولا يكون النشاط النابع من طبيعة الطفل كاملاً، أو ذا أثر تربوي، ما لم تكن المعرفة المتحصلة منه قد استخلصها عن طريق العمل، وما لم تكن هذه المعرفة لها أثر في تعديل السلوك إلى حدٍّ ما، وما لم يكن أثرها في التفكير له رد الفعل المادي أو العملي المناسب.

والطفل يحب أن يُنظر إليه على أنه كائن حي مبتكر أكثر من أن يكون كائناً حياً مستقلاً. وتظهر ابتكاريته وهو يجهد في أن يعبر عما يفهم من معاني الأشياء. وهذه النزعة فيه هي محاولة لإيجاد الانسجام بين عالم الفكر الداخلي، وعالم الحقيقة الخارجية. ومثل هذه المجهودات التلقائية من الطفل هي التي تكون نشاطه الذاتي، وهي التي تزود المدرس بالفرصة للقيام بعملية التعليم، بأن يصالح عالم الطفل الذاتي على العالم الخارجي، ويطلعه على حقائق هذا العالم الخارجي، ويحترم ذات الطفل، وينمي فيه شعوره بذاته.

اعتنق فروبل نظرية التطور العضوي وطبقها في التربية، باعتبار كل لاحق لا بدّ أن ينشأ عن السابق، وأن التطور يُعلن عن نفسه في كل نشاط، وأن التربية مظهر من هذا التطور التقدمي

ليست النفس أو العقل جهازين مزودين بالنشاط ولكنهما النشاط ذاته، أحدهما نشاطه نفسي، والآخر نشاطه عقلي، كما أن الجسم نشاطه بدني، وليس ثمة انفصال بين هذه الأنشطة، ولكنها نشاط واحد جوانبه ثلاثية

الطفل يحب أن يُنظر إليه على أنه كائن حي مبتكر أكثر من أن يكون كائناً حياً مستقلاً. وتظهر ابتكاريته وهو يجهد في أن يعبر عما يفهم من معاني الأشياء

والنشاط الذاتي في تربية فروبل هو رغبة الطفل في أن يندمج في حياة غيره، والحياة المحيطة به، وأن يساعد في مظاهر النشاط العام، وفي خلق الرابطة بين مظاهر نشاطه ومظاهر نشاط الغير. ومن الواجب على المدّرس أن يجعل هذه النقطة هي البداية لأي نوع من التعليم، فليست التربية إعداداً لحياة مستقلة، وليست الحياة التي يعمل الطفل على الاندماج بها هي حياة الكبار الراشدين، ولكنها الحياة المحيطة به. وعملية التربية عملية نمو وليست عملية دروس تلقى على الأطفال. وعندما يدخل الطفل بطبيعته كاملة في وحدة مع الحياة حوله يمكن تحقيق النمو في الحاضر وقياسه مستقبلاً. وليس هناك من أهداف خارجية لتربية فروبل، والغرض في هذه التربية هو أيضاً الوسيلة، ويتحقق الغرض بحصول النمو، ويتحقق الغرض والوسيلة في الطفل ذاته حينما يندمج بذاته في العالم المحيط به. والتربية عند فروبل هي بناء الأخلاق، لأنها توجه نشاط الطفل. والتربية أخلاقية لأنها تعمل على ربط الطفل بالحياة. وكما عند روسو Jean–Jacques Rousseau فإن فروبل يؤكد الاتجاه العملي في التربية، بتنمية القدرة على العمل بقدر ما تنمي قوة التحصيل والتفكير.

والمدرسة عند فروبل مؤسسة تساعد الطفل على اكتشاف ذاته وتنمية شخصيته وقدراته الابتكارية والتنفيذية. وروضة الأطفال في نظام التعلم الفروبلي عالم مصغر، يتعاون فيه الجميع ويتقاسمون المسؤولية، ويحترمون الفردية، وتنمو بينهم المشاركة الوجدانية.

واللعب من أبرز اهتمامات فروبل السيكولوجية، ويرجع له أفضل إظهار القيمة الأخلاقية والفكرية للعب، وإعلاء شأن هذه القيمة على قيمته البدنية.

واللعب عنده أساس لعملية التربية، ولأنه يصدر مباشرة من ميول الطفل الفطرية فإنه يزود المعلم بالأساس لبناء عادات عملية ووجدانية وفكرية عند الطفل. ومن خلال اللعب يتمثل العالم للطفل لأول مرة، وبه يستطيع المعلم أن يدمج الطفل في عالم العلاقات الاجماعية، وأن يدربه على

ليست التربية إعداداً لحياة مستقلة، وليست الحياة التي يعمل الطفل على الاندماج بها هي حياة الكبار الراشدين، ولكنها الحياة المحيطة به

عملية التربية عملية نمو وليست عملية دروس تلقى على الأطفال. وعندما يدخل الطفل بطبيعته كاملة في وحدة مع الحياة حوله يمكن تحقيق النمو في الحاضر وقياسه مستقبلاً

التربية عند فروبل هي بناء الأخلاق، لأنها توجه نشاط الطفل. والتربية أخلاقية لأنها تعمل على ربط الطفل بالحياة

المدرسة عند فروبل مؤسسة تساعد الطفل على اكتشاف ذاته وتنمية شخصيته وقدراته الابتكارية والتنفيذية

التعاون، وينمي فيه الاستقلالية والابتكارية.

وليس اللعب هو ما تعارفنا عليه، وإنما منه أيضاً العمل التكويني الصناعي، وهو استفادة عملية إنشائية من اللعب، وتطبيق عملي للابتكارية. والأشغال اليدوية صورة أرقى من اللعب، ومن التعبير عن النفس، لأنها تدل على سيطرة على البدن واليدين، وقدرة خاصة على التعامل معهما، وتدل أيضاً على رقي فكري وأخلاقي ونفسي في شكل عادات وسلوكيات.

والنشاط الحر دليل الذكاء النظري والعملي، والتوجيه لهذا النشاط يجعله في أول الأمر نشاطاً شعورياً. ثم يتحول إلى عادة ويصبح لا شعورياً أو تلقائياً ويرقى إلى مستوى الفن، وبذلك يصبح النشاط الحر في النسق التعليمي الفروبلي غرضاً أعظم وأعمق من مجرد التدريب الحسي، أو تنمية المهارات، أو اكتساب المهنة أو الحرفة.

ألهمت طريقة فروبل وأفادت أعمال ماريا مونتيسوري Maria Montessori ورودولف شتاينر Rudolf Steiner وآخرين، الذين تبنوا أفكاره وكيّفوا مواده وفقًا لعملهم الخاص. قبل فريدريش فروبل، لم يكن الأطفال الصغار جدًا يتلقون تعليمًا. كان فروبل أول من أدرك أن نمو الدماغ المهم يحدث بين الولادة وسن الثالثة. تجمع طريقته بين الوعي بعلم وظائف الأعضاء البشرية والاعتراف بأننا، في جوهرنا، كائنات مبدعة. بمجرد اعتماد تعليم الطفولة المبكرة على نطاق واسع، كان نقطة البداية الطبيعية للابتكارات التي تلت ذلك. أقر كل من مونتيسوري وشتاينر بديونهما لفربل، لكن تأثير رياض الأطفال أبلغ ريجيو إميليا Reggio Emilia approach وفيغوتسكي Lev Vygotsky والمناهج اللاحقة.

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

اللعب من أبرز اهتمامات فروبل السيكولوجية، ويرجع له أفضل إظهار القيمة الأخلاقية والفكرية للعب، وإعلاء شأن هذه القيمة على قيمته البدنية

النشاط الحر دليل الذكاء النظري والعملي، والتوجيه لهذا النشاط يجعله في أول الأمر نشاطاً شعورياً. ثم يتحول إلى عادة ويصبح لا شعورياً أو تلقائياً ويرقى إلى مستوى الفن

يصبح النشاط الحر في النسق التعليمي الفروبلي غرضاً أعظم وأعمق من مجرد التدريب الحسي، أو تنمية المهارات، أو اكتساب المهنة أو الحرفة

## Erich Fromm إيريك فروم

إيريك فروم (Erich Fromm 1900– 1980) عالِم نفس واجتماع وفيلسوف ألماني أمريكي، ويعدُّ أحد أشهر المفكرين الغربيين في القرن العشرين. ومن نوابغ التحليل النفس، وسيكولوجيته.. سيكولوجية إنسانية مدارها الحاجات الاجتماعية والعلاقات بين البشر. وفروم صاحب الاتجاه الإنساني في علم النفس، يحاول به التوفيق بين الدينامية السيكولوجية عند فرويد والتقدمية الاجتماعية عند كارل ماركس.

وُلِد فروم عام 1900م في مدينة هتلر الألمانية، وهو الابن الوحيد لوالدَين يهوديين. تخصص في دراسة القانون أولًا وقرر الانتقال إلى جامعة هايدلبيرغ من أجل دراسة علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة.

عانى أبواه من الأمراض النفسية، وعاش الأحوال المتردية في ألمانيا قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، وعاين بنفسه أزمة الإنسان المعاصر، واتجه لذلك لدراسة علمي النفس والاجتماع، نال الدكتوراه في علم النفس من جامعة هايدلبيرغ عام 1922م، وبعدها تدرب بمصحة نفسية تابعة للجامعة نفسها؛ على التحليل النفسي الفرويدي، وساعدته الطبيبة النفسية «فريدا رايخمان Frieda Reichmann » كثيرًا في هذا المجال، تم الانتهاء من التحليل النفسي في معهد الأبحاث للبحوث الاجتماعية 1926م. ثم انتقد مفهوم فرويد عن النفس الإنسانية، وانشغاله بالدوافع اللا شعورية، وإهماله للعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر في تفكير الناس وتصوغ أفكارهم على

إيريك فروم Erich Fromm (1900–1980) عالِم نفس واجتماع وفيلسوف ألماني أمريكي، ويعدُّ أحد أشهر المفكرين الغربيين في القرن العشرين. ومن نوابغ التحليل النفس، وسيكولوجيته.. سيكولوجية إنسانية مدارها الحاجات الاجتماعية والعلاقات بين البشر

مستوى الساحة الدولية كلها بعد سنوات، غادر ألمانيا هربًا من النازية، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

عمل «فروم» بتدريس علم النفس في عددٍ من الجامعات منها: جامعة كولومبيا، ونيويورك، وميتشيغان، وايل، وكلية بنينغتون، كما درَّس في الجمعية المكسيكية للتحليل النفسي، في عام 1942م ساهم في تأسيس فرع لمدرسة واشنطن للتحليل النفسي في نيويورك..

برز فروم كمحلل نفسي ونشر سنة 1930 بحثاً له عن التطور في العقيدة المسيحية ورموزها، وظهر الكتاب بترجمة إنكليزية بعنوان "عقيدة المسيح ومقالات أخرى في الدين وعلم النفس والثقافة The Dogma of Christ and Other Essays on Religion, Psychology and Culture". وغادر فروم ألمانيا النازية سنة 1934 ليقيم في الولايات المتحدة، ولكنه لم يجد هناك الترحيب من العاملين بالتحليل النفسي من أتباع فرويد، لخروجه عن الخط الفكري الأرثوذكسي للمدرسة الفرويدية، وزادت حدة الخلافات بينه وبين الفرويديين لما تضمنته محاضراته في جامعة كولومبيا من نقد شديد لـ فرويد.

وفي عام 1941 كتب "الهروب من الحرية Escape from Freedom"، وهو من مؤلفاته التي تذكر له والتي كان لها مردود هائل بين العاملين بعلم النفس والنظرية الفلسفية السياسية.

ثم كتب "الإنسان لنفسه 1947) "Man for Himself) طالب فيه كل إنسان أن يسعى لنفسه لتكون له معاييره الأخلاقية، وأن لا يخضع للسلطة أياً كانت دينية أو ثقافية أو سياسية.

وناقش نظريات فرويد وكارل يونغ كتابه "التحليل النفسي والدين 1950) "Psychoanalysis and Religion)، وشبه المحلل النفسي برجل الدين، واقترح أن يتفقا حول أسس عامة اجتماعية تجمع بين عمليهما وأهدافهما.

وُلِد فروم عام 1900م في مدينة هتلر الألمانية، وهو الابن الوحيد لوالدَين يهوديين. تخصص في دراسة القانون أولًا وقرر الانتقال إلى جامعة هايدلبيرغ من أجل دراسة علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة.

عانى أبواه من الأمراض النفسية، وعاش الأحوال المتردية في ألمانيا قبل وبعد الحرب العالمية الأولى، وعاين بنفسه أزمة الإنسان المعاصر، واتجه لذلك لدراسة علمي النفس والاجتماع

انتقد مفهوم فرويد عن النفس الإنسانية، وانشغاله بالدوافع اللا شعورية، وإهماله للعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر في تفكير الناس وتصوغ أفكارهم

اختير عام 1951 أستاذاً للتحليل النفسي بالجامعة الأهلية المكسيكية، وكتب "اللغة المنسية The Forgotten Language" يناقش فيه الحكايات الخرافية والأساطير والأحلام، ثم "المجتمع السليم The Sane Society" (1955) وهو من مؤلفاته ذات الأهمية الخاصة، يتحدث فيه عن الاغتراب Estrangement العصري للإنسان، وأنه انفصل عن منتجاته الصناعية، وبدلاً من أن تكون هذه المنتجات في خدمته، أصبح هو مستعبداً لها. وطالب بإعادة النظر في القيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبعصر تنوير جديد بقيم روحية جديدة.

واشترك مع آخرين في كتاب "بوذية الزن والتحليل النفسي Zen Buddhisim and Psychoanalysis" (1960)، وكتب "هل يكسب الإنسان؟ May Man Prevail" يبحث فيه أزمة الإنسان في عصر الحرب الباردة، ثم ناقش أفكار ماركس في "مفهوم ماركس عن الإنسان Marx's Concept of Man" (1961)، وقابل بين أفكار ماركس وأفكار فرويد في كتابه "بعيداً عن أغلال الوهم Beyond the Chains of Illusion" (1962).

وحاول تفسير التوراة تفسيراً علمانياً في كتابه "ستكون كالآلهة You Shall be as Gods" (1966)، ثم صدر له كتاب "ثورة الأمل The Revolution of Hope" (1968) يتهم فيه الطب النفسي بالعمل على الحطّ من شأن الإنسان وتجريده من إنسانيته، بدعوى أن الطب النفسي يقوم على العلاج بفكرة المواءمة بين الإنسان والمعايير الصناعية والبيروقراطية.

تنهض سيكولوجية فروم أساساً على فكرة أن الحياة الحديثة فقدت الكثير من معناها، لأن الناس ضحّوا بأنفسهم من أجل المكنة، واستعبدتهم الآلة وجهاز الدولة، وإنه يتوجب علينا لذلك أن نعمل على أن نتآخى ونتوادّ ونتواصل ونتراحم على أسس إنسانية، وأن تكون علاقاتنا ببعضنا لا هذه

عمل «فروم» بتدريس علم النفس في عددٍ من الجامعات منها: جامعة كولومبيا، ونيويورك، وميتشيغان، وايل، وكلية بنينغتون، كما درَّس في الجمعية المكسيكية للتحليل النفسي

غادر فروم ألمانيا النازية سنة 1934 ليقيم في الولايات المتحدة، ولكنه لم يجد هناك الترحيب من العاملين بالتحليل النفسي من أتباع فرويد، لخروجه عن الخط الفكري الأرثوذكسي للمدرسة الفرويدية، وزادت حدة الخلافات بينه وبين الفرويديين لما تضمنته محاضراته في جامعة كولومبيا من نقد شديد لـ فرويد.

العلاقات المادية والأواصر المتهرئة والصراعات المتبدية، وإنما تكون علاقاتنا ببعضنا فيها العنصر الشخصي والإلفة والمؤاخاة. والطبيعة الإنسانية تحكمها حاجات الإنسان، والعلاقات الاجتماعية الاقتصادية تحدد سلوكنا، ولا بدّ أن نفهم أن التفاعلات الاجتماعية لها مردودها على أخلاقنا، كما أن أخلاقياتنا لها مردودها على هذه التفاعلات.

ويناقش فروم المفهوم الأخلاقي كبديل لمفهوم الغريزة عند فرويد، ويقول فيه إنه بحسب أخلاقياتنا يكون انتسابنا للعالم. وتتشكل هذه الأخلاقيات في الطفولة بتأثير البيت والمدرسة ووسائل الإعلام، وفي الرشد بعلاقاتنا بالدولة والمؤسسة الدينية والقيم الثقافية في المجتمع، إلا أن العلاقات الاقتصادية هي أقوى العلاقات تأثيراً في الفرد، من خلال نوع الوظيفة التي يؤديها وتتطلب منه شخصية معينة متوافقة معها. وتتطلب الوظائف والمهن المختلفة أنماطاً من الشخصية، ونحن نتغير ونتكيف بنوع الوظيفة للوفاء بمتطلباتها. وكنا قديماً أيام العائلات والعشائر والقبائل نعيش معتمدين على بعضنا البعض، وقد أسلمنا قيادنا لعائلاتنا أو قبائلنا، وقد ضمنوا لنا وسائل العيش الكريم والحماية والأمن، إلا أننا حديثاً بدأنا نتباعد ونستقل بأنفسنا وتكون لنا شخصياتنا وفرديتنا، وبدأنا نستشعر الوحدة وعدم الأمان، وبدأنا نعاني الحيرة بين أن نختار الحرية مع القلق والتوتر والخوف من المستقبل، وبين أن نظل تابعين لغيرنا مع ضمان الأمن وعدم التفكير في الغد، وأن نستشعر الطمأنينة. غير أنه مع الدولة الحديثة والبيروقراطية عاد الاستعباد والتبعية، وأخلص الإنسان العصري للدولة هرباً من الحرية ومسؤولياتها.

ومع وجود الدكتاتوريات كان تفريط الإنسان الحديث في شخصيته وفرديته وإنسانيته وتكامله. ويتمثل دافع الهرب من الحرية في التوجهات العصرية للمواطن الحديث، وفي تمثله لقيم الدولة وتطبعه بالطابع الاجتماعي المتوائم مع الدولة. ونماذج هذا المواطن هي الشخصية الاستغلالية Exploitative

اختير عام 1951 أستاذاً للتحليل النفسي بالجامعة الأهلية المكسيكية، وكتب "اللغة المنسية The Forgotten Language" يناقش فيه الحكايات الخرافية والأساطير والأحلام، ثم "المجتمع السليم The Sane Society" ((1955

صدر له كتاب "ثورة الأمل The Revolution of Hope" (1968) يتهم فيه الطب النفسي بالعمل على الحطّ من شأن الإنسان وتجريده من إنسانيته، بدعوى أن الطب النفسي يقوم على العلاج بفكرة المواءمة بين الإنسان والمعايير الصناعية والبيروقراطية.

التي قوام علاقاتها استغلال الآخرين؛ والشخصية الآخذة Receptive التي تميل إلى التملك، وتجهد أن تعيش بأقل النفقات؛ ثم شخصية التاجر ابن السوق Marketing الانتهازي المتلون بكل لون، والذي يبيع نفسه لمن يدفع أكثر.

وهذه الشخصيات الأربع جميعها هي التي تسود مجتمعاتنا الحديثة، فمنذ أن غدت السلع تباع بأسعار تتحكم فيها عوامل السوق، ولم تعد تقوم على نظام المقايضة أو المبادلة بين أشخاص بأعينهم، صار المتحكم في كل شيء أفراد هذه هي شخصياتهم.

وينطبق الحال نفسه على سوق العمل كما ينطبق على سوق السلع، والنتيجة أن الناس صاروا ينظرون إلى أنفسهم كسلع تباع وتشترى، وصاروا يحاولون أن يكون لهم نمط الشخصية المتوائمة مع السوق التي يجدون أنفسهم فيها، وصار من يلعب اللعبة كما ينبغي هو سيد الموقف وليس الأكثر علماً أو الأكثر خبرة ومعرفة وثقافة. واصيحت العلاقات الاجتماعية بين الجميع لذلك علاقات سوق تتسم بالسطحية، وصار العامل جزءاً من الآلة الصناعية الضخمة، ولم يعد المنتج الذي يعمل فيه يخصه وينتمّ إليه، ومن ثم صارت اللا مبالاة وعدم الانتماء هما قانونا العصر. وإذا كان علينا أن نمنع التداعي النفسي بالمرض، والتردي بالمجتمع إلى حالة الاغتراب الحالية، وأن نقيم مجتمعاً صحياً سليماً، فعلينا أن نشجع على التفكير الحر المتعقل والعلمي، وأن نمارس التعامل مع بعضنا على أسس إنسانية بدلاً من علاقات السوق هذه، وأن نشجع نمط الشخصية المبدعة Productive على أن يكون هو النمط السائد، بأن نهيئ الفرصة للإبداع بالتعليم المناسب وفرص العمل الطيبة، وأن تسود المجتمع المحبة بدلاً من التنافس البغيض على الثروات والملكية والحيازة والمناصب. وليست المحبة مشاعر جنسية، ولكنها رباط اجتماعي فيه المسؤولية والاستقلالية والمؤاخاة، وهي فن إذا مارسناه كما ينبغي كمبدعين فإنه ضمان لنا بالصحة النفسية.

تنهض سيكولوجية فروم أساساً على فكرة أن الحياة الحديثة فقدت الكثير من معناها، لأن الناس ضحّوا بأنفسهم من أجل المكنة، واستعبدتهم الآلة وجهاز الدولة، وإنه يتوجب علينا لذلك أن نعمل على أن نتآخى ونتواحّ ونتواصل ونتراحم على أسس إنسانية

يناقش فروم المفهوم الأخلاقي كبديل لمفهوم الغريزة عند فرويد، ويقول فيه إنه بحسب أخلاقياتنا يكون انتسابنا للعالم

مع الدولة الحديثة والبيروقراطية عاد الاستعباد والتبعية، وأخلص الإنسان العصري للدولة هرباً من الحرية ومسؤولياتها

ينطبق الحال نفسه على سوق العمل كما ينطبق على سوق السلع، والنتيجة أن الناس صاروا ينظرون إلى أنفسهم كسلع تباع وتشترى، وصاروا يحاولون أن يكون لهم نمط الشخصية المتوائمة مع السوق التي يجدون أنفسهم فيها

أصبحت العلاقات الاجتماعية بين الجميع لذلك علاقات سوق تتسم بالسطحية، وصار العامل جزءاً من الآلة الصناعية الضخمة، ولم يعد المنتج الذي يعمل فيه يخصه ويمتّ إليه، ومن ثم صارت اللا مبالاة وعدم الانتماء هما قانونا العصر

ومن أشهر مؤلفاته: «الهروب من الحرية»، و«التحليل النفسي والدين»، و«اللغة المنسية»، و«أزمة الضغط النفسي»، و«رسالة سيغموند فرويد: تحليل وتحديده، و«فن الوجود»، وغيرها من المؤلفات والأبحاث العلمية القيمة.

توفي فروم عام ١٩٨٠م في مدينة مورالتو Muraltoالسويسرية.

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

## Anna Freud آنّا فرويد

آنّا فرويد Anna Freud (1895-1982) مؤسسة التحليل النفسي للطفل، هي صغرى كريمات سيغموند فرويد، وكانت شديدة الالتصاق به، وأخذت عنه اتجاهاته العلمية واهتماماته السيكولوجية، وظلت ترعاه في مرضه منذ إصابته بالسرطان سنة 1923 حتى موته في لندن عام 1939.

آنّا فرويد Anna Freud (1895- 1982) مؤسسة التحليل النفسي للطفل، هي صغرى كريمات سيغموند فرويد، وكانت شديدة الالتصاق به، وأخذت عنه اتجاهاته العلمية واهتماماته السيكولوجية، وظلت ترعاه في مرضه منذ إصابته بالسرطان سنة 1923 حتى موته في لندن عام 1939

هي آخر أبناء فرويد لم يكن الحمل بها متوقعا وبعد حدوث الحمل كان فرويد يرغب في ابن ذكر؛ تقول آنا فرويد عن ذلك "لو كان هناك موانع للحمل حينها لما ولدت"؛ يرى البعض أن ذلك أدى بها إلى الشعور بالرفض. أصبحت قريبة من والدها و لم تتزوج؛ بل كما تدعي نذرت نفسها للتحليل النفسي والبقاء بقربه.

كانت طفلة نابضة بالحياة، ذات خيال واسع، منغمسة في القصص أو تبتكرها. كانت تعشق أحلام اليقظة، وفي طفولتها اللاحقة، كانت تبتكر عوالم خيالية مستوحاة من كتبها المفضلة.

اشتهرت آنا أيضًا بالشقاوة. لم تكن طفولة آنا فرويد سعيدة على الإطلاق. نشأت في كنف إخوتها الخمسة الأكبر سنًا، وكثيرًا ما شعرت بالتهميش، وكانت علاقتها بوالدتها متوترة، فقد كانت صارمة ومتسلطة. كتبت آنا لاحقًا: "لم تلتزم والدتي بأي قواعد، بل كانت تضع قواعدها الخاصة". وكثيراً ما كانت آنا تلجأ إلى والدها طلباً للراحة. ويمكن تلخيص طفولتها في واحدة من أقوى ذكرياتها المبكرة، عن عطلة عائلية:

انطلق "الآخرون" جميعهم في قارب وتركوني في المنزل، إما لأن القارب كان ممتلئًا جدًا أو لأني "صغير جدًا". هذه المرة لم أشتكي، وأبي، الذي كان يشاهد المشهد، مدحني وواسيني. أسعدني ذلك كثيرًا لدرجة أن أي شيء آخر لم يعد يهم. ولعل هذه التجارب كانت بمثابة نذير لتفانيها طيلة حياتها في خدمة الأطفال المحرومين والتزامها بعمل والدها.

كانت علاقة آنا بأختها صوفي، التي كانت أكبر منها بسنتين ونصف، هي العلاقة المضطربة بشكل خاص، وكانت المفضلة لدى والدتها.كانت صوفي أكثر جاذبية، لكن آنا كانت أذكى. كان التنافس بينهما شرسًا لدرجة أن العائلة كافحت للحفاظ على السلام. استمر هذا التنافس حتى عام 1913، عندما تزوجت صوفي وانتقلت من الشقة.

أنهت آنا دراستها في مدرسة كوتيدج ليسيوم في فيينا عام 1912، وفي عام 1914 سافرت بمفردها إلى إنجلترا لتحسين لغتها الإنجليزية. كانت في إنجلترا عندما أُعلنت الحرب، واعتُبرت "عدوًا أجنبيًا" واضطرت للعودة إلى فيينا.

عام 1914، بدأت آنا فرويد التدريب على التدريس. ستقضي السنوات الست التالية تعمل كمعلمة مساعدة في مدرستها القديمة، مدرسة كوتيدج ليسيوم. لمكافأة نفسها على اجتياز امتحانات القبول للتدريب، سافرت إلى إنجلترا.

تدربت آنا فرويد كمعلمة خلال الحرب العالمية الأولى. عانت فيينا من نقص مستمر في الغذاء، وقلة في وقود التدفئة. مثّل تلاميذها الخيالات المعتادة عن آبائهم، ولكن من خلال الطعام. "من وجهة نظر طلابها الصغار، كانت آنا فرويد بمثابة واحة من الدفء والحماس وسط حياتهم القاسية والصعبة في زمن الحرب"سرعان ما اكتسبت سمعة طيبة كمعلمة موهوبة وعطوفة. أعجب زملاؤها ورؤساؤها بها بشدة، وسرعان ما أصبحت

هي آخر أبناء فرويد لم يكن الحمل بها متوقعا وبعد حدوث الحمل كان فرويد يرغب في ابن ذكر؛ تقول آنا فرويد عن ذلك "لو كان هناك موانع للحمل حينها لما ولدت"؛ يرى البعض أن ذلك أدى بها إلى الشعور بالرفض

كانت طفلة نابضة بالحياة، ذات خيال واسع، منغمسة في القصص أو تبتكرها. كانت تعشق أحلام اليقظة، وفي طفولتها اللاحقة، كانت تبتكر عوالم خيالية مستوحاة من كتبها المفضلة

رئيسة الصف الثاني.كانت محبوبة أيضًا بين تلاميذها. يصفها كاتب سيرتها بأنها "واحة من الدفء والحماس في خضم حياتهم الحربية القاسية".

عمل سيجموند فرويد مع البالغين، على النقيض من والدها، كان اهتمام آنا فرويد الرئيسي هو العمل مع الأطفال.قبل آنا فرويد، أجرى العديد من المحللين النفسيين تجارب على تحليل الأطفال. كانت هيرمين فون هوغ–هيلموث أول من مارس هذا المجال، ونشرت مقالًا عن "العلاج باللعب" عام 1913. كما عمل كل من كارل يونغ ولو أندرياس–سالومي وساندور فيرينزي مع الأطفال. ولكن آنا فرويد كانت أول من نظم وطور التحليل النفسي للأطفال في شكل مميز من أشكال العلاج.

اعتقدت آنا فرويد أن تحليل الطفل يجب أن يلتزم بالنظريات الأساسية للتحليل النفسي، ولكن يجب أن يكون متميزًا كأسلوب علاجي. ورأت أنه لا ينبغي تحليل الأطفال إلا عند بلوغهم مرحلة الكمون ، التي تبدأ في سن السادسة تقريبًا. قبل ذلك، رأت أنه من الأفضل التركيز على بيئة الطفل لدعم نموه النفسي والعاطفي، ومنع تجذر العصاب .

أكدت آنا فرويد على أهمية بناء تحالف علاجي قوي مع المرضى الأطفال. وأدركت أن هذا نادرًا ما يحدث مع الأطفال، على عكس البالغين الذين عادةً ما يطلبون التحليل طواعيةً. وقد قُصد بهذه المرحلة التمهيدية كسب انتباه الأطفال وثقتهم قبل إجراء أي علاج معهم.

من المبادئ الأساسية لعمل آنا فرويد أن يُعترف بكل طفل كشخصية مستقلة. وقد اهتمت ببناء تحالف علاجي يتوافق مع احتياجات كل طفل. في إحدى الحالات.

أدركت أن الأطفال يجدون صعوبة في الحفاظ على هدوئهم وتركيزهم، وأنه لا يُتوقع منهم الانخراط في التداعي الحر إلا في نطاق محدود للغاية. عوضًا عن ذلك، سمحت لمرضاها الأطفال بالتحرك بحرية تامة في غرفة

اشتهرت آنا أيضًا بالشقاوة. لم تكن طفولة آنا فرويد سعيدة على الإطلاق. نشأت في كنف إخوتها الخمسة الأكبر سنًا، وكثيرًا ما شعرت بالتهميش، وكانت علاقتها بوالدتها متوترة، فقد كانت صارمة ومتسلطة

كانت علاقة آنا بأختها صوفي، التي كانت أكبر منها بسنتين ونصف، هي العلاقة المضطربة بشكل خاص، وكانت المفضلة لدى والدتها.كانت صوفي أكثر جاذبية، لكن آنا كانت أذكى. كان التنافس بينهما شرسًا لدرجة أن العائلة كافحت للحفاظ على السلام

تدربت آنا فرويد كممرضة خلال الحرب العالمية الأولى. عانت فيينا من نقص مستمر في الغذاء، وقلة في وقود التدفئة

العلاج: فإذا تجول طفل على السجادة، كانت تفعل الشيء نفسه!.كما وفرت مواد الرسم بسهولة، وشجعت الأطفال على استخدامها. واعتُبرت هذه الرسومات وسيلة تعبير مهمة، لا تقل أهمية عن الكلمة المنطوقة.كما أرادت أيضًا تطبيق مبادئها لإنشاء بيئات يمكن للأطفال أن يزدهروا فيها عاطفيًا وإبداعيًا.

بينما كانت لا تزال متدربة كمعلمة عملت في مركز رعاية نهارية للأطفال المحرومين، وخلال تدريبها في مجال التحليل النفسي عملت في دار أطفال بومغارتن، وهو مشروع للأطفال الذين شردتهم الحرب العالمية الأولى، يديره المحلل النفسي سيغفريد بيرنفيلد. Siegfried Bernfeld

على مدار حياتها، عملت في العديد من المؤسسات والمشاريع المُخصصة لرعاية الأطفال، وكثيرًا ما كانت هي من أسستها. ومن بين هذه المؤسسات والمشاريع: مدرسة ماتش بوكس عام 1923، وحضانة جاكسون عام 1937، وعيادة هامبستيد عام 1941.كانت هذه المؤسسات مختلفة تمامًا عن بعضها البعض. بعضها كان أكثر اهتمامًا بالتدريس، والبعض الآخر بمساعدة الأطفال على التأقلم مع الانفصال والفقد والصدمة.لكنهم جميعا شاركوا في الهدف المشترك المتمثل في تطبيق الرؤى التحليلية النفسية لتوفير أفضل بيئة ممكنة للأطفال للتعلم والتطور والتغلب على الحرمان والشدة والازدهار كأفراد.

استقت كتاب "الأنا وآليات الدفاع" أفكارًا متناثرة في كتابات سيغموند فرويد، ونظّمتها في فهرس لـ"آليات الدفاع"، التي اعتبرتها آنا فرويد وظيفةً مهمةً للأنا. وتبع ذلك العديد من المساهمات البارزة، بما في ذلك:

- الأطفال الصغار في زمن الحرب (1942)
- أطفال بلا عائلات (1944)
- الطبيعية والأمراض في الطفولة (1965)

عمل سيجموند فرويد مع البالغين، على النقيض من والدها، كان اهتمام آنا فرويد الرئيسي هو العمل مع الأطفال.قبل آنا فرويد، أجرى العديد من المحللين النفسيين تجارب على تحليل الأطفال

آنا فرويد كانت أول من نظم وطور التحليل النفسي للأطفال في شكل مميز من أشكال العلاج

رأت أنه لا ينبغي تحليل الأطفال إلا عند بلوغهم مرحلة الكمون ، التي تبدأ في سن السادسة تقريبًا.

من المبادئ الأساسية لعمل آنا فرويد أن يُعترف بكل طفل كشخصية مستقلة. وقد اهتمت ببناء تحالف علاجي يتوافق مع احتياجات كل طفل. في إحدى الحالات

• عن الخسارة والضياع (1967)
• ما وراء المصلحة الفضلى للطفل (1973)
• أمام المصلحة الفضلى للطفل (1979)

بحلول نهاية حياتها، كانت آنا فرويد قد نشرت أعمالًا رئيسية في النظرية والتقنية، وأصبحت نقطة مرجعية رئيسية للمناقشات الكبرى داخل وخارج التحليل النفسي.

كانت تعتقد أنها لم تحل المركبات الأوديبية وفق النظرية الاوديبية. وما قدمته يعتبر نوع من الاستمرارية لما قدمه فرويد؛ وتكمن إسهاماتها في تطبيق التحليل النفسي على الأطفال؛ وما أثمرت عنه من أفكار جديدة ناتجة عن هذا التطبيق كان أهمها مسارات النمو. هذه الأفكار مهدت لدراسة الأنا و النظر إليه على أنه جزء ذو فاعلية أكبر مما قال به فرويد.

حياتها العملية مدرّسة أطفال، وخلال عملها كانت تدون الكثير من الملاحظات عنهم، وبدأ اهتمامها بعلم نفس الطفل، ومارست التحليل النفسي وأصبحت عضواً في الجماعة النمساوية للتحليل النفسي (1922)، وانتخبت رئيساً للجماعة من 1925 إلى 1928، ورئيساً لمعهد التدريب على التحليل النفسي في فيينا حيث مقرّها، وأصدرت سنة 1927 أول بحث لها عن اتجاهاتها في تحليل نفسية الأطفال والأسس للعلاج النفسي الخاص بالأطفال.

ويذكر أن فرويد كان أول من حاول تحليل الأطفال نفسياً في الحالة المشهورة التي عالجها باسم "حالة الصغير هانز (1906) " وكان هذا الطفل في الخامسة من عمره ويعاني من الخوف، ولم يجتمع به فرويد إلا مرة واحدة، اذ كانت اجتماعاته مع والد الطفل، وقد أخضعه فرويد للتحليل، ثم اخذ يعلمه كيف يتعامل مع ولده وحاول علاجه بنفسه، وكان فرويد يقول إنه لا يصلح للعمل كمحلل مع الطفل إلا أبوه، وهو الوحيد القادر على الاقتراب

أدركت أن الأطفال يجدون صعوبة في الحفاظ على هدوئهم وتركيزهم، وأنه لا يُتوقع منهم الانخراط في التداعي الحر إلا في نطاق محدود للغاية

على مدار حياتها، عملت في العديد من المؤسسات والمشاريع المُخصصة لرعاية الأطفال، وكثيرًا ما كانت هي من أسستها

استقت كتاب "الأنا وآليات الدفاع" أفكارًا متناثرة في كتابات سيغموند فرويد، ونظّمتها في فهرس لـ"آليات الدفاع"، التي اعتبرتها آنا فرويد وظيفةً مهمةً للأنا

منه والتحدث إليه، وأن يستمع إليه الطفل. ولم يحاول ما حاوله فرويد إلا هَغُ هيلموت (1913) فكان ينصح ويرشد الأبوين، ويساعدهما على فهم طفلهما وتحليل سلوكه. و كذلك محاولة أوغست إيكهورن مع الأطفال الجانحين، إلا أن المحاولة الجادة والمنسقة كانت محاولة آنّا فرويد وميلاني كلاين بدءاً من الثلاثينات في القرن العشرين. مع العلم ان سابينا سبيلرين Sabina Spielrein (1885–1942) سبقتهم جميعا فهي اول من اجرى التحليل النفسي للأطفال.. وجميعهم اخذوا عنها حتى فرويد ويونغ وتم تناسيها وعدم ذكر مساهماتها لأكثر من نصف قرن (بالطبع لم نكن لنعرف الكثير عنها لولا حادثة جرت عام 1977، حيث بدأت أعمال التجديد في قصر ويلسون في جنيف، الذي كان يضم في السابق معهد علم النفس. وفي قبو هذا المعهد، تم اكتشاف حقيبة تحتوي على مذكرات سابينا سبيلرين، بين 1908–1912، ومراسلات بين 1906–1923 بينها وبين فرويد ويونغ).

كان التحليل النفسي قد تأسس في إنجلترا عند وصول آنا فرويد. وكانت ميلاني كلاين شخصيةً بارزةً في التحليل النفسي البريطاني.كانت كلاين مهتمة بشكل خاص بتحليل الطفل، وكانت آراؤها معارضة بشدة لآراء آنا فرويد. على خلفية الحرب العالمية الثانية، تمت مناقشة الخلافات المتزايدة بين آنا فرويد وميلاني كلاين في سلسلة من اللقاءات العلمية، والتي أصبحت فيما بعد تعرف باسم "المناقشات المثيرة للجدل".

انتهت "المناقشات المثيرة للجدل" بانقسام رسمي داخل الجمعية البريطانية للتحليل النفسي، بين أتباع آنا فرويد، والكلاينيين، والمستقلين. ولا يزال هذا الانقسام قائمًا.

وتمثل آنّا المدرسة الأوربية، بينما تمثل ميلاني كلاين المدرسة البريطانية في التحليل النفسي للطفل، وتخصصت آنّا في الأطفال الكبار، بينما مارست ميلاني تحليل الأطفال الصغار واتجهت مدرستها وجهة بيولوجية متمشية مع مدرسة فرويد القديمة والمحافظة والتي قامت في إنكلترا.

بحلول نهاية حياتها، كانت آنا فرويد قد نشرت أعمالًا رئيسية في النظرية والتقنية، وأصبحت نقطة مرجعية رئيسية للمناقشات الكبرى داخل وخارج التحليل النفسي

تكمن إسهاماتها في تطبيق التحليل النفسي على الأطفال؛ وما أثمرت عنه من أفكار جديدة ناتجة عن هذا التطبيق كان أهمها مسارات النمو

كان التحليل النفسي قد تأسس في إنجلترا عند وصول آنا فرويد. وكانت ميلاني كلاين شخصيةً بارزةً في التحليل النفسي البريطاني

كانت كلاين مهتمة بشكل خاص بتحليل الطفل، وكانت آراؤها معارضة بشدة لآراء آنا فرويد

وعندما هاجرت آنّا نهائياً إلى لندن لتلحق بوالدها سنة 1938، شاركت في برنامج وعيادة هامبستيد Hampstead لعلاج الأطفال، وخلال الحرب أسست مع الأمريكية دوروثي برلنجهام Dorothy Burlingham عدداً من دور الحضانة للأطفال اليتامى والمنكوبين والمهجرين، وأصدرت ثلاثة كتب هي "الأطفال زمن الحرب 1942" (Children in Wartime) و "الأطفال بدون عائلات 1943"(Infant with out Families) و"الحرب والأطفال 1943" (War and Children). وبعد الحرب أعادت افتتاح برنامج وعيادة العلاج للأطفال سنة 1947، وظلت تشرف عليهما حتى وفاتها. وقدمت مؤسستها هذه الخدمة الطبية النفسية للطفل المضطرب عقلياً والسويّ على مستوى التشخيص والعلاج بالتحليل، وألحقت بها دار حضانة لحالات الاجتماعية، وأخرى للأطفال العميان، كما أنها كانت تدرب الأخصائيين على التحليل والنهوض بالبحوث التي يستلزمها. واتسع نشاطها ليشمل ميادين التربية، والإرشاد الاجتماعي، والطفلي، والعائلي، وطب الأطفال، والتشريع للأحوال الشخصية فيما يتعلق بالأطفال.

أكد كتابها "الأنا والميكانيزمات الدفاعية Das ich und (Abwehrmechanismen" 1936) على الاتجاه الجديد الذي أسسته في التحليل النفسي، بإعطاء اهتمام أكبر لدور الأنا في الحياة النفسية وفي العلاج النفسي لا يمكن أن يصدق عليه اسمه إلا إذا اتجه إلى البحث في الأنا وعدم الاقتصار على الهو.

وقالت فيما يتعلق بمنهج تحليل الأحلام إن ترجمة الرموز وتأويلها قد يكشف عن الكثير من محتويات اللا شعور بدون أن يحصل الفهم العميق بشخصية الحالم. وتحليل الميكانيزمات اللا شعورية التي يلجأ إليها الأنا يمكن أن يُطلعنا على التحولات التي طرأت على الغرائز عند المريض، وبدون معرفة ميكانيزمات الأنا اللا شعورية التي يستخدمها المريض فإننا نكون قد

انتهت "المناقشات المثيرة للجدل" بانقسام رسمي داخل الجمعية البريطانية للتحليل النفسي، بين أتباع آنا فرويد، والكلاينيين، والمستقلين. ولا يزال هذا الانقسام قائمًا

تمثل آنّا المدرسة الأوربية، بينما تمثل ميلاني كلاين المدرسة البريطانية في التحليل النفسي للطفل، وتخصصت آنّا في الأطفال الكبار، بينما مارست ميلاني تحليل الأطفال الصغار

عندما هاجرت آنّا نهائياً إلى لندن لتلحق بوالدها سنة 1938، شاركت في برنامج وعيادة هامبستيد Hampstead لعلاج الأطفال

عرفنا الكثير عن محتويات الرغبات والخيالات الغريزية المكبوتة، ولكننا لن نعلم إلا القليل، أو ربما لن نعلم شيئاً عن التغيرات التي ألمت بهذه الرغبات، والطرق المختلفة التي استطاعت بها أن تنفذ إلى نسيج الشخصية.

ويتلخص دور المحلل في إزعاج الأنا باستثارة المكبوت، وتدمير ما حاوله الأنا من تكوينات تصالحية، وتعتبر مرضية ولكنها تمثل من وجهة نظر الأنا أنساقاً دفاعية يحاول بها أن يسيطر على الحياة الغريزية. والأخطار التي يحاول الأنا أن يدفعها عن نفسه ثلاثة هي: احتجاجات الأنا الأعلى، والخشية من قوة الغرائز، والقلق الموضوعي من البيئة التي تتسيد على الطفل، ويخاف أنا الطفل من الغرائز لأنه يخاف العالم الخارجي، ودفاعه ضد الغرائز دافع إليه خوفه من العالم الخارجي، ويتمثل ذلك في قلقه الموضوعي. وما يخافه الطفل في هذه المرحلة هو العقاب أو أن يحرم من عطف الآخرين. وبالإضافة إلى هذه الدوافع الثلاثة التي تنشأ عنها الميكانيزمات الدفاعية، تذكر آنّا فرويد دافعاً رابعاً يذكرنا بالميول المتعارضة التي قال بها يونج. وهي تقول إن أنا الراشد يتطلب نوعاً من الانسجام بين مختلف الدوافع، ومن هنا يتولد عدد من الصراعات بين هذه الميول المتعارضة، مثل الميل إلى الجنس ذاته والميل إلى الجنس الآخر، والتعارض بين السلبية وبين الإيجابية،... الخ.

وتصف آنّا فرويد في كتابها خمسة أنواع من الميكانيزمات الدفاعية هي: الإنكار عن طريق التخيل، كأن يكره الطفل أباه المستبد، فيتخيله أسداً مثلاً، ويتوهم أنه صديقه، وأنه يأتيه يلاعبه ويتبعه ككلبه. والطفل بهذا التخيل أنكر واقعة أنه لا يحب أباه، وأن أباه لا يحبه، وحولها إلى صورة متخيلة محببة. وهذه الحيلة يلجأ إليها الأطفال كثيراً. وهناك الإنكار اللفظ والفعل، ويتمثل في سلوك الطفل عندما نراه يقول مثلاً "أنا كبير مثل بابا" أو "أنا ذكي مثل ماما" أو "أنا لا أكره الدواء. أنا أحبه جداً". وكل هذه العبارات هي أمثلة لإنكار

بعد الحرب أعادت افتتاح برنامج وعيادة العلاج للأطفال سنة 1947، وظلت تشرف عليهما حتى وفاتها

أكد كتابها "الأنا والميكانيزمات الدفاعية Das ich und Abwehrmechan (ismen" (1936 على الاتجاه الجديد الذي أسسته في التحليل النفسي، بإعطاء اهتمام أكبر لدور الأنا في الحياة النفسية وفي العلاج النفسي

قالت فيما يتعلق بمنهج تحليل الأحلام إن ترجمة الرموز وتأويلها قد يكشف عن الكثير من محتويات اللا شعور بدون أن يحصل الفهم العميق بشخصية الحالم

الواقع إنكاراً يحمي به الطفل نفسه ضد عجزه وقلة حيلته واعتماده على غيره. وهناك أيضاً تقييد الأنا، كحالة بنت في العاشرة ذهبت لحفلة راقصة لأول مرة، واستعدت لها بالملابس الجميلة، وفي الحفلة عثرت على طفل جميل استأثر باهتمامها، إلا أنه نهرها وانتقد طريقتها في الرقص، ومن هذا اليوم صارت تكره الحفلات ولا تتردد عليها، ولم تجهد نفسها بتقييد أناها بأن حرمت على نفسها المباهج الأنثوية، وصارت تنهج في سلوكها منهجاً تتحدى به الأولاد الذكور وتنافسهم على مجالاتهم.

وهناك أيضاً دفاع التمثل بالمعتدي، بالسيطرة على القلق بامتثال خصال المعتدي واستدماج صفاته، ومن ثم فقد نرى الولد الصغير الذي تألم من خلع إحدى أسنانه قد يلعب مع أخته بأن يمثل هو دور الطبيب ويجعلها تمثل دور المريضة. والدفاع الخامس هو شكل من أشكال الإيثار، وتروي عنه آنّا هذا المثال لمربية كانت في طفولتها تحب الملابس الجديدة، وكانت أيضاً تحب أن ترى لها أخوات من أبويها. فقالت لها أمها مداعبة "إننا لا نستطيع أن نأتي لك بأخوات وملابس في الوقت نفسه فهذا مكلف، فإما هذا وإما ذاك".وكبرت الطفلة ولم تتزوج وامتهنت تربية الأطفال، وصارت المدافعة عنهم أمام آبائهم كلما أرادوا ملابس جديدة. وتضرب آنّا المثل التاريخي عن الدفاع بالإيثار بحكاية إدمون روستان Edmond Rostand مؤلف سيرانو دي برجراك Hercule–Savinien de Cyrano de Bergerac ، فقد كان سيرانو قبيح الوجه بأنفه الكبير، ولكنه كان موهوباً كشاعر، ولما عرف الشاب الذي أحب محبوبته صادقه وآثره على نفسه، وكان يكتب له قصائد يهديها لمحبوبته وكأنه (أي هذا الشاب) هو كاتبها، بل صار يتحدى خصوم الشاب ويتعارك معهم نيابة عنه وليحميه منهم.

منذ خمسينيات القرن الماضي وحتى نهاية حياتها، سافرت آنا فرويد بانتظام إلى الولايات المتحدة لإلقاء المحاضرات والتدريس وزيارة الأصدقاء.

بدون معرفة ميكانيزمات الأنا اللا شعورية التي يستخدمها المريض فإننا نكون قد عرفنا الكثير عن محتويات الرغبات والخيالات الغريزية المكبوتة، ولكننا لن نعلم إلا القليل، أو ربما لن نعلم شيئاً عن التغيرات التي ألمت بهذه الرغبات

يتلخص دور المحلل في إزعاج الأنا باستثارة المكبوت، وتدمير ما حاوله الأنا من تكوينات تصالحية، وتعتبر مرضية ولكنها تمثل من وجهة نظر الأنا أنساقاً دفاعية يحاول بها أن يسيطر على الحياة الغريزية

يخاف أنا الطفل من الغرائز لأنه يخاف العالم الخارجي، ودفاعه ضد الغرائز دافع إليه خوفه من العالم الخارجي، ويتمثل ذلك في قلقه الموضوعي

وخلال سبعينيات القرن الماضي، اهتمت بمشاكل العمل مع الأطفال المحرومين عاطفيًا واجتماعيًا، ودرست الانحرافات والتأخر في النمو.

وفي كلية الحقوق بجامعة ييل، قامت بتدريس ندوات حول الجريمة والأسرة: وقد أدى هذا إلى تعاون عبر الأطلسي مع جوزيف جولدشتاين وألبرت سولنيت حول الأطفال والقانون، والذي نُشر تحت عنوان " ما وراء المصالح الفضلى للطفل" (1973).

وبدأت أيضًا في تلقي سلسلة طويلة من الدكتوراه الفخرية، بدءًا من عام 1950 مع جامعة كلارك (حيث ألقى والدها محاضرات في عام 1909) في عام 1950 وانتهاءً بجامعة هارفارد في عام 1980.

بدأ نشر أعمالها الكاملة في عام 1968، وظهر المجلد الأخير من المجلدات الثمانية في عام 1983، بعد عام من وفاتها.

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

تصف آنّا فرويد في كتابها خمسة أنواع من الميكانيزمات الدفاعية هي: الإنكار عن طريق التخيل، كأن يكره الطفل أباه المستبد، فيتخيله أسداً مثلاً، ويتوهم أنه صديقه، وأنه يأتيه يلاعبه ويتبعه ككلبه

منذ خمسينيات القرن الماضي وحتى نهاية حياتها، سافرت آنا فرويد بانتظام إلى الولايات المتحدة لإلقاء المحاضرات والتدريس وزيارة الأصدقاء

خلال سبعينيات القرن الماضي، اهتمت بمشاكل العمل مع الأطفال المحرومين عاطفيًا واجتماعيًا، ودرست الانحرافات والتأخر في النمو.

# Sigmund Freud سيغموند فرويد

**(1)**

سيغموند فرويد (Sigmund Freud ( 1856 – 1939 مكانة خاصة بين المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي، وشهرة واسعة بين المثقفين، ولربما كان فرويد أول من حاول أن يجعل من علم النفس أيديولوجية تقول برأي في كل موضوع، ولها حلولها لكل مشكلة، وتفسر كل نشاط يقوم به الإنسان. وفرويد من مواليد النمسا سنة 1856، ومات بلندن سنة 1939، ونشأ في أسرة برجوازية يهودية، فكانت له أخلاقه البرجوازية، وتراثه اليهودي الذي تصدر عنه ثقافته، وكان أبوه تاجر أصواف تدهور به الحال في بلدة صغيرة من إقليم مورافيا، فارتحل إلى لايبتسج وفرويد في الثالثة من عمره، وظل بها سنة،ثم انتقل إلى فيينا حيث عاش فرويد وتعلم وعلم حتى سنة 1938، عندما اضطر تحت ضغط الاضطهاد النازي أن يرحل إلى لندن. وفرويد ابن الزوجة الثانية، وله أخان غير شقيقين من أبيه، حتى أنه كان يلعب مع أولادهما، وكانت أمه صغيرة السن جداً بالنسبة للأب، وأنجبت ولداً آخر غير فرويد وأربع بنات. وفي هذا البيت المزدحم ترعرع فرويد وتنافس مع إخوته، وكانت له آماله العريضة، وأظهر تفوقاً في دراسته الثانوية، واستمع يوماً لقصيدة للشاعر الأشهر جوته حول الفلسفة الطبيعية فأحب أن يكون عالماً، ودرس فلسفة هيربرت فاتجه إلى دراسة الطب. وتخصص في طب العقول، وحصل على الدكتوراه في الخامسة والعشرين، ودفعته همته إلى مواصلة

**سيغموند فرويد**
Sigmund Freud
(( 1856 – 1939
**مكانة خاصة بين المشتغلين بعلم النفس والطب النفسي، وشهرة واسعة بين المثقفين**

كان فرويد أول من حاول أن يجعل من علم النفس أيديولوجية تقول برأي في كل موضوع، ولها حلولها لكل مشكلة، وتفسر كل نشاط يقوم به الإنسان

تعليمه في باريس، وتعرف إلى بروير وعرف منه طريقته في علاج الاضطرابات الهستيرية "بالكلام الحر" بأن يحكي المريض عن حياته وذكرياته وظروف مرضه.

وعاد من باريس بعزم متجدد، ومارس العلاج بطريقة التنفيس هذه. وكان قد اشترك مع بروير في تأليف كتاب دراسات في الهستيريا، واختلف معه من بعد في تقدير العامل الجنسي في الإصابة بالعصاب، وأبدى فرويد اتجاهات مبكرة إلى تفسير الاضطرابات النفسية بالجنس.

وبروير محافظ ومتدين، وفرويد يذهب إلى أن الأخلاق الدينية المسيحية بالذات فيها النفاق، وتتنكب الموضوعية. وعكف فرويد وحده يعدل في الطريقة ويتجنب استخدام التنويم المغناطيسي في العلاج أو الإيحاء بالشفاء. وانصرف يصنع طريقته هو التي أعلن عنها باسم التحليل النفسي Psychoanalysis ولم يكن يندم على شيء قدر ندمه على زواجه المبكر، إذ أنه كعادة أولاد العائلات اليهودية المتوسطة خطب في السادسة والعشرين، وتزوج في الثلاثين، وأنجب ثلاثة ذكور وثلاث إناث، منهن ابنته آنّا Anna المشهورة في مجال التحليل النفسي للأطفال، والتي شايعته على آرائه، وكانت ضمن تلاميذه الذين تحلقوا حوله، ومنهم يونغ Carl Jung وآدلر Alfred Adler وفيرينزي Ferenczi Sándor وجونز Ernest Jones وآخرون، صنعوا أول تجمع من علماء النفس كحركة دولية، تذكرنا بتأثيرات التوراة والتلمود عليه بما يسمى القبالة اليهودية، وهي أيضاً حلقات دراسية طقوسية سرية لها أهدافها البعيدة واستراتيجيتها، وكان هذا التجمع حول فرويد كله من علماء اليهود فيما عدا اثنين فقط هما يونغ وجونز. ولقد تمرد يونغ على آراء فرويد الجنسية وغير الجنسية، وعلى طريقته في إدارة الجمعية الدولية في علم النفس، وأهدافه منها، فتخرج عن فرويد والجمعية والجماعة كلها، وكوّن لنفسه طريقته الخاصة التي وإن كانت تدين في الكثير منها لـ فرويد. إلا أنها

تخصص في طب العقول، وحصل على الدكتوراه في الخامسة والعشرين، ودفعته همته إلى مواصلة تعليمه في باريس، وتعرف إلى بروير وعرف منه طريقته في علاج الاضطرابات الهستيرية "بالكلام الحر" بأن يحكي المريض عن حياته وذكرياته وظروف مرضه.

عاد من باريس بعزم متجدد، ومارس العلاج بطريقة التنفيس هذه. وكان قد اشترك مع بروير في تأليف كتاب دراسات في الهستيريا، واختلف معه من بعد في تقدير العامل الجنسي في الإصابة بالعصاب، وأبدى فرويد اتجاهات مبكرة إلى تفسير الاضطرابات النفسية بالجنس

طريقة أستاذ عظيم لا يقل عبقرية عن فرويد، وإن كان أدنى منه شهرة وأخفض منه أثراً على الثقافة العالمية.

وفرويد عندما يضع لبنات مذهبه لا يصنعها من فراغ، فالفكر العلمي والفلسفي قبله وفي زمنه يحفل بالأفكار التي استقى منها فرويد. ونحن إذ في وسعنا أن نحدد إسهامات فرويد السيكولوجية، في طريقته في العلاج النفسي، بالتحليل النفسي ورافديه التداعي الحر وتفسير الأحلام، وفي نظريته في الشخصية وديناميا تها، وفي قوله بالجنسية الشاملة، وبالصراع والقلق والكبت واللا شعور والتحويل، فإن ذلك كان موجوداً كتراث علمي تحدث فيه فلاسفة قدامى ابتداءً من أفلاطون وأرسطو والأكويني وكنط وسبينوزا، وانتهاء بهيربرت وهارتمان من المتحدثين، وغوته وشكسبير ودستويفسكي من المتأدبين، وكانت هناك مؤلفات صريحة في الجنس عند هيرشفيلد وكرافت إيبنج وهافلوك إليس. وكانت كتب تفسير الأحلامكثيرة، ونظرياته عديدة، وفرويد استفاد من كل ذلك، واجتمعت له من مقومات العبقرية ما جعله يخلص من ثقافة عصره بنظريته التي قلبت كل المفاهيم السابقة عليه.

وعلم النفس الذي سبق فرويد هو علم يدرس العمليات الشعورية، ويجعل للعقل كيمياء، ويعنى بالإدراك الحسي. وعلم النفس الذي يدعو إليه فرويد هو علم يهتم بالعمليات اللا شعورية. وفرويد يطور مثلاً مقالة فخنر Gustav Fechner بأن العقل كجبل الثلج، الطافي منه الظاهر الشعوري، والمخفي اللا شعوري، وفرويد يشبه العقل بهذا الجبل الطافي، أقله فوق سطح الماء وهو منطقة الشعور، وأكثره في الأعماق. والجبل لا تحركه الرياح التي تدفع الشعور دفعاً بقدر ما تؤثر فيه التيارات التحتية التي يضطرب بها الجبل اضطراباً. وإذا كان علماء النفس الذين توجهوا لدراسة الشعور علماء لهم عذرهم حيث كانوا يجرون تجاربهم في الإدراك وغيره في المعامل، فإن فرويد يتيه بأنه أول من يصدر في علمه عن الملاحظات الإكلينيكية، وهو مثلاً لم

لم يكن يندم على شيء قدر ندمه على زواجه المبكر، إذ أنه كعادة أولاد العائلات اليهودية المتوسطة خطب في السادسة والعشرين، وتزوج في الثلاثين، وأنجب ثلاثة ذكور وثلاث إناث، منهن ابنته آنّا Anna المشهورة في مجال التحليل النفسي للأطفال

كان هذا التجمع حول فرويد كله من علماء اليهود فيما عدا اثنين فقط هما يونغ وجونز. ولقد تمرد يونغ على آراء فرويد الجنسية وغير الجنسية، وعلى طريقته في إدارة الجمعية الدولية في علم النفس، وأهدافه منها، فتخرج عن فرويد والجمعية والجماعة كلها

يقل بالجنس إلا لأنه لمس بنفسه الأثر الهائل له على استحداث العصاب، وخاصة عند النساء، نتيجة التداعيات التي كان يستمع إليها والمرضى يقصون عليه أطرافاً من حياتهم وتجاربهم وماضيهم، وكلها تجارب تصطبغ بالصبغة الجنسية، وكانت سبباً أكيداً لإصابتهم بالاضطرابات النفسية، وربما كانت السبب الوحيد.

وفرويد كعادة علماء زمانه يميل إلى التقسيم الهرمي، ويغرم بإعطاء المسميات، ويذهب في نظريته في الشخصية إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنظمة أو أنساق تكوّن معاً الجهاز النفسي، وهذه الأنساق أو الأنظمة أو الأجزاء منفصلة ومتصلة، وهي مستقلة ذاتياً، وتعمل في تناغم وتعاون مع بعضها البعض، وبمقدار تناغمها وانسجامها يكون استواء السلوك، وإذا اضطرب تفاعلها اضطرب تبعاً لذلك السلوك.

وأول هذه الأنظمة الهو Id، واسمه كذلك لأن حديثنا عنه حديث عن غائب نعبر عنه بضمير الغائب، فهو هذا الغائب المجهول الذي نعلم عنه فقط من خلال تأثيراته. والهو يعني الماضي، ويمثل ميراث الأجداد، وما نولد به من مكونات نفسية وراثية. وفرويد من القائلين بالحتمية، إلا أن الحتمية منها ما هو فزيولوجي أو بيولوجي ومنها ما هو نفسي، وحتمية فرويد حتمية نفسية طالما نحن في مجال علم النفس، والهو نظام يقوم على الموروث، وهو أصل الشخصية، واتصاله بالجسم وثيق، لأن الطاقة الفزيولوجية التي تعبر إلى الهو تتحول فيه إلى طاقة نفسية، وكذلك فإن الطاقة النفسية التي تتركه تتحول خارجة إلى طاقة فزيولوجية. وخبرات الهو خبرات ذاتية داخلية، ولذلك فهو الواقع النفسي الحقيقي للشخصية، ولا علم له بالواقع الموضوعي، ولا يعرف عنه شيئاً، وهو مخزن الغرائز، فإذا استثيرت وتهيجت وحدث التوتر فإن الهو يعمل على خفض هذا التوتر ليعود إليه توازنه، وفرويد يسمي ذلك مبدأ اللذة Pleasure Principle، وبمقتضاه فإن خفض التوتر يعني تجنب

علم النفس الذي سبق فرويد هو علم يدرس العمليات الشعورية، ويجعل للعقل كيمياء، ويعنى بالإدراك الحسي. وعلم النفس الذي يدعو إليه فرويد هو علم يهتم بالعمليات اللا شعورية

فرويد يطور مثلاً مقالة فخنر Gustav Fechner بأن العقل كجبل الثلج، الطافي منه الظاهر الشعوري، والمخفي اللا شعوري، وفرويد يشبه العقل بهذا الجبل الطافي، أقله فوق سطح الماء وهو منطقة الشعور، وأكثره في الأعماق.

فرويد كعادة علماء زمانه يميل إلى التقسيم الهرمي، ويغرم بإعطاء المسميات، ويذهب في نظريته في الشخصية إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنظمة أو أنساق تكوّن معاً الجهاز النفسي

الألم وتحقيق اللذة، وينخفض التوتر بعمليتين فطريتين في الهو. الأولى هي الأفعال المنعكسة Reflex actions كالرمش مثلاً، أو العطس، فتلك فعال نأتيها تلقائياً ونصرف فيها توتراتنا، والثانية هي العمليات الأولية Primary processes، واسمها كذلك لأنها بدائية أو بسيطة وتحدث طبيعياً بلا اعتمال، وبمقتضاها فإن رغبات الهو يستحضرها الذهن صوراً، فتمثل كذلك لتكون ملاحقتها من قبل الأنا وتحققها، أو أنها تمثل كذلك فلا تتحقق، وكأنما مثولها صوراً يغني عن تحققها، وكأنه بالعمليات الأولية تتحقق الرغبات تحققاً صورياً، وإذن فهدف العمليات الأولية تحقيق الرغبات Wish fulfillment. وعمليات الأحلام من ذلك، ففي الأحلام تتحقق الرغبات، وليس الحلم عند فرويد إلا تحقق رغبة.

غير أننا لا نستطيع أن نعيش على الأحلام والصور الذهنية للطعام مثلاً، فلا بدّ أن نجد الطعام لنتغذى عليه ونواصل الحياة به، وذلك شأن الأنا ego النظام الثاني من الجهاز النفسي، واسمه كذلك لأن التعبير الذي نلجأ إليه عندما نكون بصدد طرح ما يخصنا أو أفكارنا، فنقول "أنا أظن وأنا أعتقد، الخ". والأنا هو الذي يواجه الناس والمجتمع، ويتدبر الأمور، ويخطط الخطط، وتتحقق به الصور الذهنية والأحلام. والأنا جزء من الهو يتخارج عنه ويعيش بطاقة الهو، وإذا كان الهو لا منطقياً فالأنا منطقي ومنظم، ولأن عمليات الأنا ليست أصلية أو أولية كعمليات الهو فإن فرويد يسميها عمليات ثانوية، أي تالية على العمليات الأولية. والأنا هو الذي يفرق بين الطعام كصورة ذهنية، وبينه كمدرك حسي، وذلك ما قلناه من قبل من أن الهو واقعه ذهني وذاتي، بينما الأنا واقعه موضوعي. ويميز الأنا بين الشيء كفكرة وبينه كعيان، ويدرك الأشياء بالحواس. ومبدأ الأنا الذي يسيطر على عملياته هو مبدأ الواقع Reality principle، لأن تعامله مع الواقع، وتعاملاته واقعية. وهو يجهد أن يؤجل تحقيق رغبات الهو وتحصيله للذة إلى أن يجد الموضوع

فرويد كعادة علماء زمانه يميل إلى التقسيم الرمزي، ويغرم بإعطاء المسميات، ويذهب في نظريته في الشخصية إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنظمة أو أنساق تكوّن معاً الجهاز النفسي

أول هذه الأنظمة الهو Id، واسمه كذلك لأن حديثنا عنه حديث عن غائب نعبر عنه بضمير الغائب، فهو هذا الغائب المجهول الذي نعلم عنه فقط من خلال تأثيراته. والهو يعني الماضي، ويمثل ميراث الأجداد، وما نولد به من مكونات نفسية وراثية

المناسب للرغبة. والخطة التي يتبعها الأنا في ذلك، والطريقة التي يحققها بها، يسميها فرويد اختبار الواقع Reality testing. ومن شأن الأنا دائماً أن يختبر الواقع ويمحصه، ويتحصّل له الإدراك الصحيح به ليكون له معه التعامل الأمثل الذي له المردود المكافئ. وطبيعي أن تكون للأنا كذلك كل السيطرة على الوظائف العقلية والمعرفية ليوظفها في خدمة هذا الهدف. والأنا هو متلقي مطالب الهو ومطالب الأنا الأعلى، وله هو نفسه مطالبه. ومن عمله أن يكون جهازاً إدارياً تنظيمياً فيدبر هذه المطالب جميعها، ويتدبرها وينظمها، وينسق بينها فلا تتعارض ولا تتواجه. وعمل الأنا بالنسبة للهو ضروري بالنسبة لأنا الأعلى، فما يطلبه منه هذا الأنا الأعلى قد يكون منه أذى للشخص، وقد يضر الجماعة، وقد يكون غير معقول وفوق طاقة البشر، والأنا يعقلنه ويجعله ممكناً ولا أذى منه لأحد.

والأنا الأعلى Super ego هو النظام الذي وظيفته الأخلاق، وهو يتخارج عن الأنا لأنه هذا الجزء منه الذي يتمثل الأوامر الوالدية والزواجر والنواهي، والقيم الاجتماعية والمثل الدينية، ويستدخلها فيه فينفصل بعمله.

وباستدخاله لكل ما سبق أو بتعبير فرويد باستدماجه Introjection يكون له كيانه واستقلاله الذاتي، وهو يسمى الضمير بشقه الذي استدمج ما نعاقب عليه والقيم التي تقوم على العقاب، فإذا فعلنا ما هو خطأ لا يرضاه الضمير ويمجُه المجتمع ويأباه الدين وتزدريه الأخلاق، لحقنا من ذلك عذاب الضمير ومشاعر الذنب التي تظل تفعل مفعولها. ولعل خير مثال يصور هذه المشاعر ما كانت تعاني منه لأدى ماكبث بعد أن حرضت زوجها على قتل الملك. ويسمى الأنا الأعلى باسم الأنا المثالي Edo– ideal بشقه الذي يستدمج ما نُثاب عليه والقيم التي يقوم عليها الثواب. والأنا الأعلى لذلك دائب الذّب عن الأنا أن يخضع لمطالب الهو الغريزية اللا أخلاقية، ودائب الحث للأنا على أن تكون له أهداف أخلاقية، وكأننا بهذه الأجهزة الثلاثة

الأنا ego النظام الثاني من الجهاز النفسي، واسمه كذلك لأن التعبير الذي نلجأ إليه عندما نكون بصدد طرح ما يخصنا أو أفكارنا، فنقول "أنا أظن وأنا أعتقد، الخ

الأنا هو الذي يواجه الناس والمجتمع، ويتدبر الأمور، ويخطط الخطط، وتتحقق به الصور الذهنية والأحلام. والأنا جزء من الهو يتخارج عنه ويعيش بطاقة الهو، وإذا كان الهو لا منطقياً فالأنا منطقي ومنظم

عمليات الأنا ليست أصلية أو أولية كعمليات الهو فإن فرويد يسميها عمليات ثانوية، أي تالية على العمليات الأولية.

التي منها قوام الشخصية: الهو منها بمثابة المكون البيولوجي الحيوي، والأنا هو المكون النفسي، والأنا الأعلى هو المكون الاجتماعي، والطاقة التي تشحن الأجهزة كلها تستمد أساساً من الهو، وكما سبق أن قلنا يسميها فرويد طاقة نفسية Psychic energy، وأصلها الطاقة الفزيولوجية التي تولدها عمليات الأيض في الجسم، إلا أنها لمناسبتها للأعمال النفسية، كالتفكير يكون وصفها بالنفسية، وتسري عليها كل قوانين الطاقة من قوانين الميكانيكا الحرارية، فهي قابلة للانتقال من نظام إلى نظام، ومن التحول من البدن إلى النفس، ومن النفس إلى البدن، وانتقالها بتأثير أنها طاقة ثابتة لا تفنى، وتستحدث ذاتياً، وقد تستولدها مؤثرات خارجية، والغرائز مستودع هذه الطاقة، والغريزة افتراض يمثل مصدراً بدنياً داخلياً يمكن تهييجه واستثارته فيولد رغبة، وتكون الاستثارة أو التهيج نفسه حاجة، والغريزة داخلية وهي نفسها منبه، وقد يجيء تنبيهها من الخارج، والتنبيه من الداخل أقوى وأشد من التنبيه من الخارج.

ومجموع الطاقات التي للغرائز مجتمعة هي الطاقة النفسية للشخص. وللغريزة هدف وموضوع وقوة ومصدر، لقد عرفنا المصدر بأنه الحالة البدنية أو الحاجة، فأما الهدف فهو أن يسلك الشخص بحيث يخص البدن من التوتر أو التهيج، وعلى ذلك فالغريزة دافع للسلوك. وموضوع الغريزة هو ما يكون به إشباع الحاجة التي تستولدها، وقوة الغريزة تتمثل في إلحاحها وشدة هذا الإلحاح. ومن شأن هذا الإلحاح أن يأتي السلوك الذي يحقق الإشباع، أي إزالة التوتر والنكوص إلى التوازن الذي كان قبل التهيج والمحافظة عليه.

وهذه الدورة من التهيج ثم الاستجابة بالسلوك المشبع يسميها فرويد إجبار التكرار Compulsion repetition، وهذا الإجبار الذي يتكرر دوماً ويكون به السلوك، أساس من الأسس الدينامية للشخصية. والغريزة عندما لا تجد الموضوع النفسي الذي يكون به إشباع حاجتها فإن طاقتها النفسية تتوجه إلى موضوعات أخرى لعل بها يكون الإشباع البديل.

مبدأ الأنا الذي يسيطر على عملياته هو مبدأ الواقع Reality principle، لأن تعامله مع الواقع، وتعاملاته واقعية. وهو يجهد أن يؤجل تحقيق رغبات الهو وتحصيله للذة إلى أن يجد الموضوع المناسب للرغبة

من شأن الأنا دائماً أن يختبر الواقع ويمحصه، ويتحصّل له الإدراك الصحيح به ليكون له معه التعامل الأمثل الذي له المردود المكافئ

والأنا الأعلى Super ego هو النظام الذي وظيفته الأخلاق، وهو يتخارج عن الأنا لأنه هذا الجزء منه الذي يتمثل الأوامر الوالدية والزواجر والنواهي، والقيم الاجتماعية والمثل الدينية، ويستدخلها فيه فينفصل بعمله

ويسمي فرويد ذلك مشتق الغريزة Instinct derivative. وسعي الطاقة النفسية وراء الموضوعات البديلة يفسر المرونة التي عليها الشخصية الإنسانية ويلقي الضوء على السبب الذي من أجله تتنوع اهتماماتنا واختياراتنا وأذواقنا وعاداتنا واتجاهاتنا، وهي جميعاً في مقام الموضوعات البديلة أو المشتقات للغرائز.

يسمى الأنا الأعلى باسم الأنا المثالي Edo-ideal بشقه الذي يستدمج ما نُثاب عليه والقيم التي يقوم عليها الثواب

ولم يحاول فرويد أن يعدد الغرائز باعتبار أن الحاجات المرتبطة بها كثيرة ولم نحط علماً بها جميعاً، بالإضافة إلى أن ذلك من عمل علماء الفزيولوجيا وليس من عمل علماء النفس. ويكفينا من الغرائز أن نعرف أنها صنفان، غرائز للحياة وغرائز للموت. وغرائز الحياة عملها المحافظة على الحياة وتكاثر النوع، ومنها الجوع والعطش والجنس، والطاقة التي تستخدمها هي الليبيدو Libido. واهتم فرويد بالجنس وأعطاه الأولوية باعتباره القوة المحركة الأولى للسلوك، والجنس ليس غريزة واحدة بل عدة غرائز، باعتبار أن الرغبة الشبقية تستحثها عدة حاجات بالبدن، وتستثيرها مناطق بالجسم متعددة يسميها فرويد المناطق الشبقية Erogenous zones، والمنطقة الشبقية تتميز بشدة الحساسية الجنسية واستحداثها للذة، ومنها المنطقة الفموية، وتتمثل في الشفتين والتجويف الفموي، والمنطقة الشرجية، والمنطقة التناسلية، فالمص له لذة فموية، بينما الإخراج لذته شرجية، وحك الأعضاء التناسلية لذته تناسلية. وهذه الغرائز تكون في الطفولة منفصلة، فإذا كان البلوغ اتصلت واندمجت في خدمة التكاثر.

كأننا بهذه الأجهزة الثلاثة التي منها تواءم الشخصية: الهو منها بمثابة المكون البيولوجي الحيوي، والأنا هو المكون النفسي، والأنا الأعلى هو المكون الاجتماعي، والطاقة التي تشحن الأجهزة كلها تستمد أساساً من الهو

وغرائز الموت Death instincts غرائز تدمير، ومعرفتنا بها أقل من معرفتنا بغرائز الحياة Life instincts، وتختص بالموت، والموت نهاية كل الكائنات، ولفرويد قول مأثور في الموت، وهو يقول عنه إنه الهدف الذي تترسمه كل حياة، ونحن مقدَّرون به، والموت حتمية بيولوجية ونفسية، وهو يعمل فينا من الميلاد وإن كان عمله غير ظاهر ويتمايز من مرحلة إلى

مرحلة، وهذا الهدم المستمر في خلايا الجسم الذي يسمى الأيض هو موت، والتفتيت في الطبيعة والتدمير الملاحظ في الكون هو موت، والعدوان مشتق من غريزة الموت، والحركة التي تضطرب بها الحياة مآلها إلى الثبات وهو موت، وكل ما في الوجود يهدف إلى الثبات ويشتاق أن يطرح عنه الحركة، وكل كائن عضوي جاء من لا عضويات يموت فيعود لا عضوياً كما بدأ، وهذه الرغبة في الموت عند الإنسان هي الطرح السيكولوجي لمبدأ الثبات الذي يحكم الحياة، والإنسان من أجل الموت يُقاتل فيَقتل (بفتح الياء)، وليست العدوانية في الإنسان إلا تمثيلاً لرغبة الموت.

وغرائز الحياة وغرائز الموت يعملان متواكبين، وقد يمتزجان، فالأكل فيه استمرار للحياة وهو قوة وطاقة، غير أننا لنأكل نمضغ ونقضم ونحطم، والأكل لذلك فيه تدمير وعدوانية وممارسة لغرائز الموت. وقد تعمل هاتان المجموعتان من الغرائز على تحييد أثر بعضهما البعض، فالحب غريزة جنسية، والمحب عندما يحب يستبعد الكراهية ويصفو قلبه للحب، والكراهية من غرائز الموت، والكراهية قد تنجح في استبعاد الحب وتحل محله وعندئذٍ يكون هذا المقت الذي نعرفه عند المحبين عندما يكرهون، ولربما يلجأون عندئذٍ إلى القتل.

والغرائز كما ذكرنا تختار موضوعاتها التي يكون بها إشباع رغباتها وحاجاتها. واختيار الغرائز غريزي، أي لا إعمال فكر فيه ولا تمييز ولا مفاضلة. والغريزة بتوجهها للموضوع وتعلقها به تشحنه شحناً نفسياً يسميه فرويد شحن الموضوع Object cathexis، أي أنها تضفي عليه من طاقتها ما يجعل ظهوره من بعد لأي سبب من الأسباب دافعاً للتحرك إليه. ولقد قلنا إن من عمل الأنا أن يكبح جماح الهو وأن يسيطر على اندفاع الغرائز وهو يمارس هذا العمل من خلال عملية الشحن المضاد Counter cathexis بأن يجعل الموضوع الذي هو جاذب للغرائز محل نفور. غير أن للأنا أيضاً

مجموع الطاقات التي للغرائز مجتمعة هي الطاقة النفسية للشخص. وللغريزة هدف وموضوع وقوة ومصدر، لقد عرفنا المصدر بأنه الحالة البدنية أو الحاجة، فأما الهدف فهو أن يسلك الشخص بحيث يخلص البدن من التوتر أو التهيج، وعلى ذلك فالغريزة دافع للسلوك

هذه الدورة من التهيج ثم الاستجابة بالسلوك المشبع يسميها فرويد إجبار التكرار Compulsion repetition، وهذا الإجبار الذي يتكرر دوماً ويكون به السلوك، أساس من الأسس الدينامية للشخصية

تعلقاته التي يشحنها شحناً نفسياً، ومن ذلك الأبوان في الطفولة، وتعلقنا بهما ييسر تكوين الضمير والأنا المثالي، وهذا التعلق يسميه فرويد التعين Identification، ونحن مدينون لهذا التعين بتطورنا، وأن تكون لنا أهداف كبرى، ونترسم غايات وتكون لنا آمال.

الغريزة عندما لا تجد الموضوع النفسي الذي يكون به إشباع حاجتها فإن طاقتها النفسية تتوجه إلى موضوعات أخرى لعل بها يكون الإشباع البديل.

وليس الأنا وحده هو الذي يقاوم تأثير الهو بالشحن المضاد، فالأنا الأعلى كذلك يشحن موضوعات الهو شحناً مضاداً. والطاقة النفسية التي مصدرها الهو تنتقل في سهولة من نظام إلى نظام، ومن شحن إلى شحن مضاد، وهذا اليسر في الانتقال من أهم ما يميز المرحلتين الأولى والثانية من العمر. وهذه التحولات في الطاقة تجعل الشخصية الإنسانية في حالة تغير مستمر، أو في صيرورة تجعل من المتعذر أن تتنبأ دائماً بما سيكون عليه سلوكها في كل الأحوال. وديناميات الشخصية عند فرويد تقوم على هذا التفاعل بين القوى الدافعة والقوى المقيدة، وبين الشحنات والشحنات المضادة. وترجع جميع الصراعات في الشخصية إلى تعارض هاتين المجموعتين، ومعنى وجود صراع أن التعارض بين المجموعتين قد طال.

يكفينا من الغرائز أن نعرف أنها صنفان، غرائز للحياة وغرائز للموت. وغرائز الحياة عملها المحافظة على الحياة وتكاثر النوع، ومنها الجوع والعطش والجنس، والطاقة التي تستخدمها هي الليبيدو Libido

والصراع لا يكون بين قوى النفس وحدها، وإنما الصراع يقوم أيضاً بيننا وبين البيئة، والبيئة فيها طعامنا وشرابنا، وفيها أيضاً ما يشكل تهديداً لحياتنا، وفي البيئة ما يشبع رغباتنا ويرضي حاجاتنا، وفيها من ثم لذة لنا، وفيها كذلك ما يتسبب لنا في القلق، وبه تكون مخاوفنا وتقوم توتراتنا، فكأن البيئة يمكن أن تزيد التوتر عندنا، ويمكن أن تخفضه. ومن شأن تهديدات البيئة المستمرة أن نستشعر الخوف مما تتوقعه من أخطار، وإذ يغلب الخوف على الأنا فإن قدرته على السيطرة على هذا الخوف تقل، فيغرق الأنا في طوفان من القلق، والقلق الذي يعانيه الأنا ليس هذا القلق العادي الذي نخبره جميعاً ونعرف أحواله، ولكنه قلق مرضي يستبد بنا ويحاصرنا، ويسميه علماء النفس العرب الحصر تمييزاً له عن القلق العادي الطارئ أو الوافد. ويصنف فرويد

للحصر ثلاثة أنواع، فهناك حصر الواقع Real anxiety، والحصر العصابي Neurotic anxiety، والحصر الخلقي Moral anxiety. والنمط الأساسي من الحصر هو الحصر الواقعي وهو خوف من الأخطار الواقعية في العالم الخارجي، ويشتق منه النمطان الآخران. والحصر العصابي هو الخوف من العجز عن السيطرة على الغرائز فتكون النتيجة أن نتعرض للعقاب، فكأن هذا الخوف هو خوف من الغرائز ذاتها، ومن العقاب الذي يترتب على الإشباع الغريزي، ولذلك أساس من الواقع، حيث أننا كثيراً ما نعاقب نتيجة ما نقوم به من أفعال اندفاعية. والحصر الأخلاقي هو خوف من الضمير، وكلما تطور لدينا الأنا الأعلى كنا أكثر تعرضاً للشعور بالذنب، وقامت بنا الشكوك نحو أخلاقية سلوكياتنا ودوافعنا. ولهذا الحصر أساس من الواقع كذلك، لأننا في الحياة نعاقب دائماً كلما خرجنا على قواعد الأخلاق ونهدد بالعقاب إن تنكبناها.

والحصر عموماً حالة من التوتر، وباعث كالجوع والجنس، ولكنه بدلاً من أن ينشأ داخلياً مثلهما فإن أسبابه خارجية، وهو يعمل كنذير للأنا حتى يكون على حذر أن يزيد من حوله الخطر فيغلبه على أمره، ومن ثم يكون على الشخص أن يقوم بعمل ما كأن يهرب، أو ينتهي عن غيّه، أو ينصاع للضمير.

والحصر الذي لا تجدي إزاءه أي من طرق الخلاص السابقة يوصف بأنه حصر صدمي Traumatic anxiety، وينتهي بالشخص إلى حالة من العجز الكامل يرتد بها إلى أن يكون كالأطفال. والنمط الأولي لكل أنواع الحصر هو الحصر الذي يترتب على صدمة الميلاد Birth trauma، فعندما نولد لا يكون الأنا بعد قد تشكل، ولا يكون لدينا الاستعداد لأن نتلقى منبهاته ونتكيف معها. ومن كل الجهات تفيض هذه المنبهات وتغرقنا في طوفانها، وهذه هي صدمة الميلاد. غير أننا نتجاوز ذلك بما نتلقاه من

اهتم فرويد بالجنس وأعطاه الأولوية باعتباره القوة المحركة الأولى للسلوك، والجنس ليس غريزة واحدة بل عدة غرائز، باعتبار أن الرغبة الشبقية تستحثها عدة حاجات بالبدن، وتستثيرها مناطق بالجسم متعددة يسميها فرويد المناطق الشبقية Erogenous zones

المنطقة الشبقية تتميز بشدة الحساسية الجنسية واستحداثها للذة، ومنها المنطقة الفموية، وتتمثل في الشفتين والتجويف الفموي، والمنطقة الشرجية، والمنطقة التناسلية، فالمص له لذة فموية، بينما الإخراج لذته شرجية، ولمك الأعضاء التناسلية لذته تناسلية

مساعدة ذوينا، من الحب والرعاية والحماية. وتتخلف فينا من صدمة الميلاد حالة القلق تظل بنا وتعمل من داخلنا كأساس لكل حالات القلق الأخرى. فعندما يعجز الأنا أمام أي من هذه الحالات الأخرى، وتطيش جهوده، فلا يعرف كيف يتعامل معها بالطرق المنطقية، فإنه لا يكون أمامه سوى أن ينكص إلى الطرق غير الواقعية التي تسمى ميكانيزمات الدفاع أو الحيل الدفاعية Defense mechanisms، وهي ميكانيزمات أو حيل، لأن الأنا يحتال بها على الخبرات غير السارة والموضوعات التي يأتيه منها الألم، فينكرها أو يزوّرها، أو يحرفها، ولا يتعامل معها مباشرة بالطرق المنطقية. وهذه الحيل يأتيها الأنا تلقائياً دون أن يدري كلما استشعر العجز، ويقال لذلك إنها لا شعورية أو تعمل لا شعورياً. والحيل الرئيسية هي الكبت والإسقاط وتكوين رد الفعل والتثبت والنكوص. فأما الكبت Repression فهو أن يُحال بين موضوع وأن يكون شعورياً بواسطة شحنه شحناً نفسياً مضاداً، كالذكرى المؤلمة، وقد نعجز عن رؤية شيء ظاهر للعيان لأن إدراكه قد كُبت، وحتى الوظائف العادية للجسم يمكن أن تكبت، كالذي يخاف من الجنس فتكبت الوظيفة الجنسية عنده ويصاب بالعنة، أو كالذي يكره مشاعر العدوان في نفسه فيكبتها، فيصاب من ذلك مثلاً بالتهاب المفاصل الذي يعجز معه أن يمارس العدوان بيديه.

وقد يأتي الكبت في صورة شحنات مضادة، أو في شكل إزاحة، بأن ينتقل الشخص الذي يستشعر مثلاً ميولاً عدوانية تجاه أبيه إلى رموز أخرى للسلطة. وعلاج الكبت والتخلص منه يكون بإدراك أسباب المخاوف التي دفعت إليه، وذلك يقضي باختبار الواقع لنعرف أن ما نخافه لا يستوجب الخوف. ولكي تكون لدينا القدرة على اختبار الواقع يلزم رفع الكبت والعلاج منه، فكأننا إذن في دور لا ينتهي، ولعله لذلك فإننا كثيراً ما تكون بنا مخاوف مخيفة من مرحلة الطفولة وتستمر معنا، بالنظر إلى أننا في الطفولة أعجز عن أن تكون لنا القدرة على مناقشة مخاوفنا والتخلص منها.

غرائز الموت Death instincts تدمير، ومعرفتنا بها أقل من معرفتنا بغرائز الحياة Life instincts، وتختص بالموت، والموت نهاية كل الكائنات

غرائز الحياة وغرائز الموت يعملان متواكبين، وقد يمتزجان، فالأكل فيه استمرار للحياة وهو قوة وطاقة، غير أننا لنأكل نمضغ ونقضم ونحطم، والأكل لذلك فيه تدمير وعدوانية وممارسة لغرائز الموت

ليس الأنا وحده هو الذي يقاوم تأثير الهو بالشحن المضاد، فالأنا الأعلى كذلك يشحن موضوعات الهو شحناً مضاداً

وأما الإسقاط Projection فهو أن يلجأ الأنا إلى إخراج الدفعات العدوانية مثلاً، أو تهديدات ضمير، بأن ينسبها للعالم الخارجي أو أشخاص منه، فبدلاً من أن نقر بأننا نكره فلاناً فإننا ننسب الكراهية لفلان هذا، وقد تعذبنا ضمائرنا فنتخفف من عذابات الضمير بأن نقول إننا مضطهدون. والإسقاط يفيد من حيث أنه يخفض التوتر نتيجة استبداله للخطر الأكبر بخطر أقل شأناً، كما أنه يتيح الفرصة لمن يلجأ إلى الإسقاط بأن يعبر عن دفعاته تحت ستار الدفاع عن النفس.

وتكوين رد الفعل Reaction formation عبارة عن إبدال المشاعر المسببة للحصر بمشاعر مناقضة لا تتسبب فيه، كالذي يخاف ولا يريد أن يطلع الناس على خوفه، فيظهر الشجاعة ويغالي فيها، أو كالذي يضمر الكراهية وتستبد به ميوله العدوانية فينجح في كبتها بأن يظهر الحب. ولكي نميز بين الحب الأصيل مثلاً والحب الذي هو من قبيل تكوين رد الفعل، علينا بملاحظة مظاهرهما. والحب الأول هادئ. بينما الحب الثاني له طابع السلوك القهري. ويُسرف صاحبه في إظهار شواهده. والصور المتطرفة في السلوك هي عادة من قبيل تكوين رد الفعل.

وأما التثبيت Fixation فهو التوقف في النمو النفسي نتيجة الإحباط والحصر، بحيث لا ينتقل المتثبت إلى المرحلة التالية من مراحل النمو، لأن الانتقال إليها يكون مشحوناً بالحصر، والمثال على ذلك الشخص الراشد الذي يعتمد على الآخرين، فالمفروض أنه وقد بلغ الرشد عليه أن يأتي سلوكاً ناضجاً يؤكد به استقلاليته، إلا أن هذا الاعتماد على الآخرين الذي يطبع سلوكه، دليل على أنه ما يزال في الطفولة النفسية، وما يزال يتصرف كالأطفال.

والنكوص Regression نمط آخر من أنماط الحيل الدفاعية، فعندما يعجز الأنا عن مواجهة موقف فإنه قد يرتد إلى مرحلة سابقة من مراحل

الصراع لا يكون بين قوى النفس وحدها، وإنما الصراع يقوم أيضاً بيننا وبين البيئة، والبيئة فيها طعامنا وشرابنا، وفيها أيضاً ما يشكل تهديداً لحياتنا، وفي البيئة ما يشبع رغباتنا ويرضي حاجاتنا، وفيها من ثم لذة لنا، وفيها كذلك ما يتسبب لنا في القلق، وبه تكون مخاوفنا وتقوم توتراتنا

من شأن تهديدات البيئة المستمرة أن نستشعر الخوف مما نتوقعه من أخطار، وإذ يغلب الخوف على الأنا فإن قدرته على السيطرة على هذا الخوف تقل، فيغرق الأنا في طوفان من القلق

النمو النفسي، كالصبي الذي يدخل المدرسة لأول مرة فيفزع من التجربة، فيلجأ إلى الصياح والبكاء، أو إلى مص إبهامه، وتلك ظواهر كان قد تخلص منها ولم تعد تناسب عمره الحالي. أو كالزوجة التي تبهرها مسؤولية الزواج فتترك بيت الزوجية إلى بيت أبيها تلتمس فيه الأمان الذي كانت تستشعره فيه في طفولتها. والنكوص يكون إلى ما تثبت في النفس من مراحل النمو السابقة، وهذا الذي تثبت هو الذي يحدد ما نكص إليه، فإذا كان الاعتماد مثلاً هو الذي تثبت؛ فإننا نتحول شديدي الاعتماد كلما تزايد بنا الحصر.

وتتمايز مراحل النمو التي يشير إليها فرويد من حيث الاستجابات التي نأتيها وتختص بها مناطق الجسم الشبقية، والمراحل الأولى تستغرق خمس سنوات، تليها خمس أو ست سنوات أخرى هي فترة كمون بمثابة الاستراحة، وتتميز بقدر من الاستقرار الدينامي. وأولى هذه المراحل المرحلة الفموية Oral stage، والفم فيها هو مركز النشاط، ويليها المرحلة الشرجية Anal stage حيث تشحن الوظيفة الإخراجية شحناً نفسياً. والمرحلة الفموية تستغرق السنة الأولى، بينما تستغرق المرحلة الشرجية السنة الثانية، ثم تأتي المرحلة القضيبية لتكون الأعضاء الجنسية هي المناطق الشهوية الأساسية. ويطلق فرويد على المراحل الثلاث السابقة اسم المراحل قبل التناسلية Pregenital stages، وتعقبها فترة الكمون Latency period، ويسميها سنوات الهدوء، فتميل الدفاعات الغريزية لأن تستمر في حالة كبت إلى البلوغ فتنشط من جديد، فإذا استطاع المراهق أن يزيحها إلى نشاطات أخرى ويتسامى بها عن منصرفاتها البدائية، فإنه ينتقل إلى مرحلة النضوج الأخيرة وهي المرحلة التناسلية Genital stage.

وفي المرحلة الفموية نمارس المص والبلع والعض، وهذه النشاطات هي أساس الكثير من السمات الشخصية التالية التي تتنامى فينا من بعد، فلذة الابتلاع كلذة تحصيل المعرفة أو الامتلاك. وتصديق كل ما يقال هو ابتلاع

يصنف فرويد للحصر ثلاثة أنواع، فهناك حصر الواقع Real anxiety، والحصر العصابي Neurotic anxiety، والحصر الخلقي Moral anxiety

الحصر عموماً حالة من التوتر، وباعث كالجوع والجنس، ولكنه بدلاً من أن ينشأ داخلياً مثلهما فإن أسبابه خارجية، وهو يعمل كنذير للأنا حتى يكون على حذر أن يزيد من حوله الخطر فيغلبه على أمره

الحصر الذي لا تجدي إزاءه أي من طرق الخلاص السابقة يوصف بأنه حصر صدمي Traumatic anxiety، وينتهي بالشخص إلى حالة من العجز الكامل يرتد بها إلى أن يكون كالأطفال

دون تمحيص. وقد يزاح العض إلى السخرية أو النقد أو النقاش. وتتربى لدينا نتيجة الاعتماد على الأم تماماً المشاعر الاعتمادية.

وفي المرحلة الشرجية تتحصل اللذة نتيجة طرد الفضلات وما يعقبه من راحة، ويتعين على الطفل أن يرجئ تبرزه ويتعلم النظافة. وتتوقف نتائج هذا التعلم على أسلوب الأم مع الطفل ومشاعرها أثناء تدريبه على التبرز، وقد تكون لدى الطفل اتجاهات وميول وسمات وقيم نوعية بناءً على ما سبق، فإذا كانت الأم شديدة وصارمة فقد يقبض الطفل على فضلاته ويصاب بالإمساك، وقد يعمم هذا الأسلوب في الاستجابة إلى مجالات أخرى من السلوك، ويتنامى به الخلق القابض فيصبح عنيداً وشحيحاً. وقد يحرن فلا يتبرز عندما تريد، بينما يأتيه التبرز في أوقات غير مناسبة بالمرة، ويعمم ذلك السلوك من بعد ويكون أساساً لكل سلوك طارد من بعد، فيميل إلى أن يأمر بقسوة ويطرد، وينغمس في الشهوات ويدمر، ويعيش في فوضى وبلا ضوابط. وقد تتودد الأم لطفلها كي يتبرز، وتشجعه فيتحصل له الانطباع بأهمية التبرز، ويتنامى ذلك فيه فيكون منتجاً ويتحلى بالخلق. وعلى كلٍ فالمرحلة الشرجية أساس الكثير من السمات.

وأما في المرحلة التناسلية فتكون مشاعر اللذة المرتبطة بالاستمناء، وبالتخيل عند الطفل، والتي تتواكب مع نشاطه الشهوي الذاتي، وتمهد لظهور عقدة أوديب، وهي التي يعتبرها فرويد من أهم اكتشافاته في مجال علم النفس، وهي بإيجاز شحنة نفسية جنسية تتجه إلى الوالد من الجنس المقابل، وشحنة عدوانية للوالد من الجنس نفسه، فالصبي يميل إلى أمه ويحبها، ويستبعد أباه الذي يزاحمه عليها، والبنت تميل إلى أبيها وتحبه، وتغار من أمها عليه، وهي مشاعر تستهدف تخيلات الطفل خلال الاستمناء، والمراوحة بين الحب لأبويه والتمرد عليهما.

النمط الأولي لكل أنواع الحصر هو الحصر الذي يترتب على صدمة الميلاد Birth trauma، فعندما نولد لا يكون الأنا بعد قد تشكل، ولا يكون لدينا الاستعداد لأن نتلقى منبهاته ونتكيف معها. ومن كل الجهات تفيض هذه المنبهات وتغرقنا في طوفانها، وهذه هي صدمة الميلاد

عندما يعجز الأنا أمام أي من هذه الحالات الأخرى، وتطيش جهوده، فلا يعرف كيف يتعامل معها بالطرق المنطقية، فإنه لا يكون أمامه سوى أن ينكص إلى الطرق غير الواقعية التي تسمى ميكانيزمات الدفاع أو الحيل الدفاعية Defense mechanisms

وتظهر عقدة أوديب في السن بين الثالثة والخامسة، غير أنها تكبت في الخامسة، وتظهر من بعد حيث تكون لها فعالية طوال العمر في اتجاهات الشخص نحو الجنس المقابل، ونحو رموز السلطة من مختلف الأفراد والمؤسسات. ويرتبط بعقدة أوديب عدد من المفاهيم، فالطفل الذكر الذي يميل لأمه يغار من أبيه، ويحصل له الخوف من الأب نتيجة إشرافه عليه وعقابه له يظن بهذا الأب سيؤذي أعضاءه التناسلية لأنها مصدر مشاعره الشهوية. وفرويد يصف هذا الخوف بتسميته بالخوف من الخصاء، ويُطلق على الحصر الذي يترتب عليه اسم حصر الخصاء Castration anxiety، ويؤدي به إلى أن يكبت رغبته الجنسية في الأم، وأن يكره الأب ولكنه لا يُظهر هذه الكراهية. وبدلاً من ذلك وبحسب تكوين رد الفعل يحاول أن يترضاه ليتّقي أذاه، ويغالي بحيث يتعين به، ويحول رغباته في الأم إلى مشاعر رقيقة تجاهها لا خطر منها. ويقول فرويد إن الأنا الأعلى هو وريث عقدة أوديب لدى الذكر، وهو الذي يحول بيننا وأن نعتدي على محارمنا.

وأما البنت فحبها يتحول إلى الأب، بالنظر إلى أنها ترى أن الأولاد الذكور يمتلكون قضيباً حُرمت منه، وذلك أساس مفهوم حسد القضيب Penis envy عند البنات. وتُعتبر الأم هي المسؤولة عن ذلك، لأنها مثلها لا تملك قضيباً، فتضعف شحنتها من الحب للأم، وتتحول بها للأب، لأنه يملك هذا القضيب. وحسد القضيب الذي تتحول بمقتضاه إلى حب الأب، هو المقابل لحصر الخصاء عند الذكور، ويطلق فرويد عليهما معاً اسم عقدة الخصاء Castration complex. وبينما تضعف عقدة أوديب عند الولد مع استمرار نموه، فإن عقدة الخصاء عند البنت تستمر معها ولا تتعرض للكبت القوي مثل عقدة أوديب، وذلك فرق جوهري بين الأنثى والذكر في التكوين النفسي ودوافع السلوك. ويساعد على هذا الاضطراب الذي تستحدثه هذه العقدة أننا جميعاً بنا الذكورة والأنوثة معاً، وهو مبدأ ازدواجية الجنس فينا،

الحيل الرئيسية هي الكبت والإسقاط وتكوين رد الفعل والتثبت والنكوص

أما الكبت Repression فهو أن يُحال بين موضوع وأن يكون شعورياً بواسطة شحنه شحناً نفسياً مضاداً، كالذكرى المؤلمة، وقد نعجز عن رؤية شيء ظاهر للعيان لأن إدراكه قد كُبت

قد يأتي الكبت في صورة شحنات مضادة، أو في شكل إزاحة، بأن ينتقل الشخص الذي يستشعر مثلاً ميولاً عدوانية تجاه أبيه إلى رموز أخرى للسلطة

وهذه الازدواجية تفاقم الموقف لأنها تجعلنا نحب الوالدين معاً، ونستشعر ميولاً عدوانية تجاههما معاً، فكأن الازدواجية الجنسية تصاحبها ازدواجية وجدانية. ويُعتبر ظهور عقدة أوديب وعقدة الخصاء أهم وقائع الفترة القضيبية من التطور النفسي الجنسي، وله نتائجه المستقبلية على تطور الشخصية.

وأما المرحلة التناسلية فأهم ما يميز المراحل السابقة عليها أنها مراحل نرجسية، أي أننا نولي اهتمامنا لذواتنا، ونستمد اللذة ذاتياً، فإذا استخدمنا الآخرين فإنما استخدامنا لهم كأدوات لتحقيق اللذة، وليس باعتبارهم كأشخاص. وفي المراهقة يتجه بعض هذا الحب النرجسي إلى الآخرين باعتبارهم آخرين، وحب المراهق لهم حب غيري وليس لأسباب نرجسية خالصة، وهو أساس كل الاتجاهات الغيرية التي تبدأ في الظهور، من أنشطة جماعية أو مهنية، أو ممارسات تخطيط للزواج وتكوين أسرة. فإذا قاربت المراهقة على النهاية كانت هذه الشحنات الغيرية المطوعة للأهداف الاجتماعية قد بلغت درجة من التثبت والاستقرار، في صورة أشكال مألوفة من الإزاحة والتسامي والتعيين، فيسهل علينا أن نتحول من النرجسية الطفلية ونشدان اللذة، إلى الرشد واستهداف الواقع وتمثل المجتمع. ويتكون التنظيم النهائي من إسهامات جميع المراحل الأربع.

علاج الكبت والتخلص منه يكون بإدراك أسباب المخاوف التي دفعت إليه، وذلك يقضي باختبار الواقع لنعرف أن ما نخافه لا يستوجب الخوف. ولكي تكون لدينا القدرة على اختبار الواقع يلزم رفع الكبت والعلاج منه

أما الإسقاط Projection فهو أن يلجأ الأنا إلى إخراج الدفعات العدوانية مثلاً، أو تهديدات ضمير، بأن ينسبها للعالم الخارجي أو أشخاص منه

**(2)**

ولعلنا نلاحظ أن فرويد فيما طرح لم يكن تجريبياً كأهل العلم في عصره، ولم يحدث أن استعان باختبار تشخيصي واحد أو أي صورة موضوعية من صور التقويم. وكانت المقومات الوحيدة لما ذهب إليه أقوال مرضاه تحت العلاج. وكان لفرويد منهج صارم اصطنعه في تحليل تداعيات المرضى، استخدم فيه طريقة الثبات الداخلي، بمقارنة ما يستخلص من نتائج بالدلائل الجزئية المؤيدة، بحيث تكون الاستنتاجات النهائية المستخلصة من حالة من

الحالات مبنية على شبكة متداخلة من الوقائع والاستنتاجات. واضطرته هذه الطريقة إلى أن يراجع نظرياته المرة تلو المرة، ولم يثنه النقد الشديد الذي وجّه إليه وتخلي زملائه عنه أن يغير موقفه النظري. ويبدو جلياً أن فرويد كان يفضل المنهج الاستقرائي غير الصوري على المنهج الاستدلالي الصوري. وهذا نفسه ما يطرحه عملياً كمنهج في العلاج النفسي يقوم على التداعي الحر وتفسير الأحلام .

وينهض التداعي الحر على أن يتحدث المريض كما يشاء بما يعن له وما يخطر على باله. ويختلف هذا المنهج عن منهج التفريغ، في أن التفريغ يبدأ من ظهور الأعراض، فالمريض مطلوب منه أن يتحدث في ظروف مرضه، وأما في التداعي الحر فالمطلوب منه أن يتحدث فيما يشاء دون قيود ولا شروط ولا حدود، ودور المعالج دور سلبي جداً، لأنه يجلس وينصت ويسجل، ويستحث المريض أحياناً إذا سكت، ولكنه لا يقاطعه أثناء حديثه وهو مستلق عادة على أريكة في حجرة هادئة حتى لا ينشغل بقدر الإمكان بأشياء أخرى يلتفت إليها بخلاف تداعياته. وقد لاحظ فرويد أن المريض بمجرد أن يبدأ في السرد تذهب ذاكرته إلى ماضيه في الطفولة، وجعله ذلك يبدأ في صياغة ماضي المريض من أقواله، ويستنتج أن كل ما يقوله مرتبط ببعضه في تسلسل يعطي تاريخاً للتطور النفسي للشخص. ويرتبط بالتداعي الحر تحليل الأحلام، فطالما أن المريض مطلوب منه أن يتحدث في كل شيء فلا أقل من أن يروي ما يحلم به، ثم يثني ذلك بما تستدعيه هذه الأحلام من معان وذكريات. وهذه المستدعيات هي التي نبهت فرويد إلى أن الأحلام تأتيها عقولنا البدائية جداً، وسمى هذه العملية التي تستولد الأحلام من عقولنا الموغلة في البدائية أثناء النوم: العملية الأولية، وهدف هذه العملية في الأحلام تحقيق الرغبات، أو تفريغ التوترات، باستيلاد صور حلمية للأهداف المرغوبة .

**تكوين رد الفعل Reaction formation** عبارة عن إبدال المشاعر المسببة للحصر بمشاعر مناقضة لا تتسبب فيه، كالذي يخاف ولا يريد أن يطلع الناس على خوفه، فيظهر الشجاعة ويغالي فيها، أو كالذي يضمر الكراهية وتستبد به ميوله العدوانية فينجح في كبتها بأن يظهر الحب.

لكي نميز بين الحب الأصيل مثلاً والحب الذي هو من قبيل تكوين رد الفعل، علينا بملاحظة مظاهرهما. والحب الأول هادئ، بينما الحب الثاني له طابع السلوك القهري

ولم يكن ما توصل إليه فرويد من مفاهيم إلا نتيجة دراسات مستفيضة لم ينشر منها إلا بعض الأمثلة التي ضربها وتشير إلى مقتطفات من هنا وهناك، وفيما عدا ذلك كتابه مع بروير "دراسات في الهستيريا"، ولم يكن قد صاغ بعد نظريته الخاصة به. وهناك أيضاً ست حالات انتقاها انتقاءً، وكل حالة تعرض لأهم المفاهيم التي أعلن عنها، وهي حالة شريبر، يدرس فيها حالة بارانويا كتبها كسيرة ذاتية قاض يدعى شريبر، وحالة فوبيا مصاب بها طفل في الخامسة اسمه "هانز الصغير". وهذه الدراسة نتيجة ما كان يشير به على والد الطفل وهو نفسه طبيب. والحالات الأربع الأخرى كان فيها فرويد هو المعالج وتعرف باسم "دورا"، و "الرجل الفأر" و "الرجل الذئب" و "حالة جنسية مثلية لأنثى". وأما حالة دورا فهي تحليل لحلمين لـ دورا، مع عرض لعمل التحليل النفسي في استخراج الجوانب الخفية والمكبوتة من العقل، وبيان لتأثير الدفعة الجنسية في الإصابة بالأعراض الهستيرية، وتركيز على دور الألفاظ، وما تقوم به الأحلام من كشف عن العوامل التي كان بسببها اضطراب الشخصية. وتظهر دقة فرويد الشديدة وملاحظاته في التفسيرات التي يقدمها، والتي يصنع تشابكها صورة للمريضة بماضيها وحاضرها. وهذه القدرة التي يتميز بها فرويد تظهر أيضاً جلية في كتابه الشعبي الحافل بالأمثلة من حياتنا اليومية عن زلات اللسان، وأخطاء الذاكرة وغيرها، والمسمى "علم النفس المرضي في الحياة اليومية ".

وأما حالة هانز الصغير فهي تحقيق في مدى صدق نظريته في الجنسية الطفلية، وكان هانز يخاف أن جواداً سيعضه لو خرج إلى الشارع، ومن ثم كان يخاف الخروج إلى الشارع. واستطاع فرويد بما دوّن والد الطفل من مذكرات دقيقة للغاية، أن يبين أثر عقدتي أوديب والخصاء في إصابة هانز بهذا الاضطراب .

**أما التثبيت Fixation فهو التوقف في النمو النفسي نتيجة الإحباط والحصر، بحيث لا ينتقل المتثبت إلى المرحلة التالية من مراحل النمو، لأن الانتقال إليها يكون مشحوناً بالحصر**

**النكوص Regression نمط آخر من أنماط الحيل الدفاعية، فعندما يعجز الأنا عن مواجهة موقف فإنه قد يرتد إلى مرحلة سابقة من مراحل النمو النفسي، كالصبي الذي يدخل المدرسة لأول مرة فيفزع من التجربة، فيلجأ إلى الصياح والبكاء، أو إلى مص إبهامه، وتلك ظواهر كان قد تخلص منها ولم تعد تناسب عمره الحالي**

وفي الرجل الفأر عرض فوردي لحاله حواز يلازم المريض، بأنه سيعلق لأبيه وصديقته وعاء به فئران جائعة. والحالة عرض للحواز وأسبابه ونمط الشخصية التي تصاب به، وفيها كان تدوين الملحوظات في مساء الجلسة وليس أثناءها، وكان يعتقد أن المعالج سيذكر المهم وينسى التافه طالما أنه سيكتب عنه بعد فترة من الاستماع .

وفي شريبر عرض لحالة جنون البارانويا، بدعوى أنه في البارانويا بالذات فإن ما يكتبه المريض من سيرة ذاتية كأنه تاريخ للحالة. والمثير في الحالة هو العرض المميز للهواجس فيها، حيث يعتقد المريض بأنه سيتحول إلى امرأة. والقوة الدافعة لهذه الهواجس تلفت النظر إليها لما تتضمنه من ميول جنسية مثلية، وينبه فرويد إلى الصلة بين البارانويا والجنسية المثلية .

وفي الرجل الذئب يحلل فرويد شاباً من خلال حادثة وقعت له منذ خمسة عشر عاماً. والعيب في تذكر الحوادث البعيدة أن الذاكرة لا تكون متنبهة تنبهها في حالة الحوادث القريبة. كما أن العيب في محاولة تحليل الأطفال نفسياً كحالة هانز أن الطفل لا يستطيع أن يعبر عن نفسه لغوياً. والرجل الذئب هو المقابل لـ هانز الصغير. وفي الحالة الأولى، أي الرجل الذئب، يحاول فرويد إتباع الطريقة الارتقائية بالرجوع إلى الماضي، بينما في حالة هانز يحاول طريقة إعادة التكوين والبناء، وبذلك يؤكد على الجانب التجريبي في التحليل النفسي. والرجل الذئب إذ يخرج عصاباً طفلياً إلى السطح أثناء تحليله، بتذكره لحلم الذئاب في طفولته الباكرة، يربط بين الاضطراب الذي يشكوه وتلك الخبرة التي يفسرها فرويد بأنها نتيجة استجابته لما يسميه المشهد الأولي Primary scene ، وهو الذي يشهد فيه لأول مرة أباه وأمه يتضاجعان كما يذكره أو يتخيله .

وأما آخر حالة يتناولها فرويد فهي لمريضة بالجنسية المثلية قاومت العلاج بشدة، غير أن فرويد كما يطرح الحالة يذكر أن الجنسية المثلية تعود

تتمايز مراحل النمو التي يشير إليها فرويد من حيث الاستجابات التي نأتيها وتختص بها مناطق الجسم الشبقية، والمراحل الأولى تستغرق خمس سنوات، تليها خمس أو ست سنوات أخرى هي فترة كمون بمثابة الاستراحة، وتتميز بقدر من الاستقرار الديناميي

يطلق فرويد على المراحل الثلاث السابقة اسم المراحل قبل التناسلية Pregenital stages، وتعقبها فترة الكمون Latency period، ويسميها سنوات الصدء، فتميل الدفاعات الغريزية لأن تستمر في حالة كبت إلى البلوغ فتنشط من جديد

إلى عاملين، أحدهما وراثي والآخر عقدة أوديب المقلوبة، فبدلاً من أن تحب هذه المرأة أباها وتتعين بأمها فإنها تعينت بالأب وشحنت الأم، ويحدث العكس مع الذكور فإن التعين يكون بالأم والشجن يكون للأب. ولقد تسنى لفرويد أن يدرس أحلامه وهو أن يقوم بتحليل نفسه، وكان ذلك مصدراً من المصادر الهامة التي أكدت نظرياته في الأحلام وفي الجنسية الطفلية، وظلّ يواظب على تحليل نفسه بقية حياته ابتداءً من 1897، معطياً لنفسه النصف ساعة الأخيرة قبل النوم، وبذلك لم يكن يجزم بصدق أي مما يذهب إليه إلا بعد تطبيقه على نفسه. وفرويد هو الذي يحرس نظرياته، وطالما أن أتباعه يشايعوه على ما يقول فهم منه، وإلا يتحلل منهم ويستبعدهم. ولما مات فرويد كان هؤلاء الأتباع أمناء على تراثه فكانوا يقدمون في كتبهم نظرياته، ثم يعرضون ما يرون أنه يُكملها. والفرويدية بعد فرويد تميزت باتجاهات، منها تطويرها للأنا، وتأكيدها على الحتميات غير الغريزية، والعناية بملاحظة الأطفال، والاختبار التجريبي لنظريات فرويد، وتزايد الروابط بين التحليل النفسي وعلم النفس .

وكان فرويد يقول إن أقدم أجزاء الجهاز النفسي هو الهو، ويظل أكثر الأجزاء أهمية طوال الحياة. وجاء من أتباعه من قال باستقلال الأنا ووظائفه، وأن الأنا لم يتخارج عن الهو تخارجاً محدثاً، ولكنه كان موجوداً وجوداً غير متمايز، ونما نمواً مستقلاً عن الهو، ويعمل بطاقة نفسية جنسية وعدوانية مستقلة لها أهدافها بخلاف الأهداف الغريزية. ومن هذه الاتجاهات عند علماء أمثال هارتمان وكريس ولوفنشتاين قامت سيكولوجية الأنا، وهي سيكولوجية تقول بأن الأنا نظام عقلي منطقي وأنه مسؤول عن الإنجازات العقلية والاجتماعية، وله مصادر طاقته الخاصة ودوافعه واهتماماته واتجاهاته، ولا يعتمد على الهو اعتماداً كلياً كالذي قال به فرود، ومن ثم تعتبر سيكولوجية الأنا خروجاً على المذهب الأرثوذكسي الفرويدي في التحليل النفسي .

تظهر عقدة أوديب في السن بين الثالثة والخامسة، غير أنها تكبت في الخامسة، وتظهر من بعد حيث تكون لها فعالية طوال العمر في اتجاهات الشخص نحو الجنس المقابل، ونحو رموز السلطة من مختلف الأفراد والمؤسسات

يرتبط بعقدة أوديب عدد من المفاهيم، فالطفل الذكر الذي يميل لأمه يغار من أبيه، ويحصل له الخوف من الأب نتيجة إشرافه عليه وعقابه له يظن بهذا الأب سيؤذي أعضاءه التناسلية لأنها مصدر مشاعره الشهوية

ومن المنظرين الجدد للتحليل النفسي من يميل إلى الإقلال من دور الغرائز، ويُبرز السمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً على تأثيرات الوراثة، وذلك سبب من أسباب استخدام الباعث بدلاً من الغريزة، ورفض غريزة الموت دون إنكار للعدوان .

ويذهب الكثيرون إلى مناهج في التحليل النفسي أكثر واقعية من حيث تجريبها، مثل طريقة دراسة تاريخ حياة المريض بدلاً من طريقة فرويد باستعادة الخبرات الماضية عن طريق تذكرها، وكذلك إضافة إمكان تطبيق الملاحظة على الأطفال، حتى الرضع، لاختبار صدق فروض نظرية التحليل النفسي. ولعل أمثال هذه الاتجاهات تؤكد عودة التحليل النفسي إلى رحاب علم النفس، مع أن فرويد نفسه لم يكن يرى أنهما متعارضان، إلا أن الكثيرين رأوا تعارضهما، نتيجة لأن نظريات التحليل النفسي لم تكن نظريات تجريبية كنظريات علم النفس. وتوفر على اختبار نظريات التحليل النفسي علماء نابهون منهم كيرت ليفن، ومورای، وبرونشفيك، وهيلجاود، وإريكسون. ومن جهة أخرى، تزايد اهتمام علم النفس بالدافعية، وأدى ذلك إلى إعادة التقويم لنظريات فرويد. وأيضاً فقد تفرع عن التحليل النفسي علم للنفس جديد أثناء الحرب العالمية هو علم النفس الإكلينيكي، يجمع بين مفاهيم فرويد والاختبارات والتجارب النفسية. ولم يكن من اليسير على علم النفس أن يتجاهل ذيوع مفاهيم فرويد وتطبيقاتها في مجالي الأدب والفن، وإن استمر يأخذ على فرويد قصوره في الخطوات التجريبية التي استخدمها في إثبات صدق فروضه، وقبوله لما يقوله له مرضاه كما هو، وطريقته المبهمة في الاستدلال والتي تخلص إلى النتيجة بدون ذكر للمادة الأصلية التي يعتمد عليها وعزوفه عن إتباع التقاليد العلمية في تسجيل تقاريره، الأمر الذي يجعل من المستحيل إقامة الدلائل الإحصائية لملاحظاته، وافتقار نظرياته للقواعد العلائقية، فلا تدري لماذا ترتبط الخبرات الصادقة بمشاعر الإثم أو الكبت

أما البنت فحبها يتحول إلى الأب، بالنظر إلى أنها ترى أن الأولاد الذكور يمتلكون قضيباً حُرمت منه، وذلك أساس مفهوم حسد القضيب Penis envy عند البنات. وتُعتبر الأم هي المسؤولة عن ذلك، لأنها مثلها لا تملك قضيباً

حسد القضيب الذي تتحول بمقتضاه إلى حب الأب، هو المقابل لحصر الخصاء عند الذكور، ويطلق فرويد عليهما معاً اسم عقدة الخصاء Castration complex.

بتكوين الرمز والحلم، واستحالة قياس التفاعل بين الشحنات المضادة كمياً. فلا نعرف إلى أي حد ينبغي أن تكون الخبرة شديدة لكي يكون لها أثر الصدمة. ومع ذلك كانت لمفاهيم فرويد شعبية ثقافية، بسبب أسلوبه الأدبي المتميز، وطريقته في السرد والإقناع، وأيضاً بسبب أفكاره الجريئة، وخاصة في الجنس والعدوان. فمثلاً فرضيته عن غريزة الموت التي تقوم على رغبة للموت لا يمكن أن نعلق عليها أية فروض تجريبية، وهي من الناحية العلمية بلا معنى، إلا أنها تظل مع ذلك تشد المفكرين إليها بما لها من بريق يغري دائماً باستخدامها كمفهوم سيكولوجي. ولعل أمثال هذه الفكرة الجريئة المتحدية، ونظرة فرويد الشاملة للإنسان، واقترانها بنظرة كونية عامة، هي ما يجعل كثيرون يرون فرويد كواحد من علماء النفس المنظرين الكبار .

أما المرحلة التناسلية فأهم ما يميز المراحل السابقة عليها أنها مراحل نرجسية، أي أننا نولي اهتمامنا لذواتنا، ونستمد اللذة ذاتياً، فإذا استخدمنا الآخرين فإنما استخدامنا لهم كأدوات لتحقيق اللذة، وليس باعتبارهم كأشخاص

في المراهقة يتجه بعض هذا الحب النرجسي إلى الآخرين باعتبارهم آخرين، وحب المراهق لهم حب غيري وليس لأسباب نرجسية خالصة، وهو أساس كل الاتجاهات الغيرية التي تبدأ في الظهور، من أنشطة جماعية أو مهنية، أو ممارسات تخطيط للزواج وتكوين أسرة

**(3)**

غيض من فيض عن راسبوتين الطب النفسي .. فرويد

(ضمن حوار هاتفي مع عميد الطب النفسي العربي البروفيسور يحيى الرخاوي عام 2011 قال لي "لا اخفيك سرا انني لا احب فرويد لكنني احترمه.. وأرى معظم مؤلفاته لا قيمة علمية حقيقية لها".. قلت لأستاذنا الكبير .. اما انا فلا احبه ولا استطيع احترامه..).

وفي حوار مطول لي مع حفيدة فرويد د. صوفي فرويد عام 2003، قالت: "في نظري، كان أدولف هتلر وجدي من أنبياء القرن العشرين الكاذبين "... أذنتها في نشر ما قالته فلم تمانع .. توفيت د. صوفي عام 2022 عن عمر 98 عاما، وهي عالمة اجتماع رفضت جميع ما جاء به جدها ..وأمضت معظم حياتها العلمية في معارضة نظريات جدها علنًا في جميع المحافل العلمية وعبر الوسائل الاعلامية.

أسوأ ما بثه فرويد هو تعظيم شأن الجنس وتحويله إلى محور أساسي لكل شيء في السلوك البشري؛ فكل طاقة إبداعية هي عنده تصعيدٌ للطاقة الجنسية المكبوتة، وكل اضطراب نفسي في الكِبر هو عنده نتاج تحرش جنسي. وبذلك تلوثت الدنيا باكملها.

جهات متعددة في علم النفس واجهت تُرَّهات فرويد، وأعلن أنها ليست علمية وإنما هي ترهات وتفسيرات متعسفة؛ فأصدر عالم النفس الأمريكي هانز أيزينك Hans Jürgen Eysenck كتابًا بعنوان: (تدهور إمبراطورية فرويد وسقوطها)، ورغم أن الفلاسفة والعلماء انبروا لمواجهة التيار الفرويدي الجارف امثال كارل بوبر Karl Raimund Popper فإن الفرويدية قد انتشرت في كل العالم ودخلت مفرداتها ومفاهيمها ومصطلحاتها ليس فقط في لغة علم النفس، وإنما شاعت في الأدب وفي الفنون وفي اللغة العامة فصارت من العبارات المتداولة بين العموم.

من آخر ما صدر ضد تُرَّهات فرويد في التحليل النفسي كتاب ضخم بعنوان: (أفول صنم: الكذبة الفرويدية) تأليف: ميشيل أونفري. أما كارول تافريس Carol Anne Tavris وإليوت أرونسون Elliot Aronson فإنهما في كتابهما (أخطاء ارتُكِبت) قد أوضحا المشكلات الاجتماعية والأُسرية التي نتجت عن اراء المحللين النفسيين في تفسير الاضطرابات النفسية التي تصاب بها البنات والأبناء واعتبارها نتاج تعرضهم للانتهاك الجنسي في الطفولة من الآباء، وإذا نفى المريض أن يكون قد تعرض للانتهاك أكدوا له أن الإنسان يمتلك آلية نفسية تحجب عنه واقعة الانتهاك، ويطلبون من المريض أن يبذل جهدًا للتذكر ثم في النهاية يتوهم أنه تذكَّر فتنشأ مشكلات أُسرية واجتماعية فظيعة. ان ماسببه فرويد من اذى للبشرية أجمع يفوق الخيال..

لعلنا نلاحظ أن فرويد فيما طرح لم يكن تجريبياً كأهل العلم في عصره، ولم يحدث أن استعان باختبار تشخيصي واحد أو أي صورة موضوعية من صور التقويم. وكانت المقومات الوحيدة لما ذهب إليه أقوال مرضاه تحت العلاج

كان لفرويد منهج صار اصطنعه في تحليل تداعيات المرضى، استخدم فيه طريقة الثبات الداخلي، بمقارنة ما يستخلص من نتائج بالدلائل الجزئية المؤيدة، بحيث تكون الاستنتاجات النهائية المستخلصة من حالة من الحالات مبنية على شبكة متداخلة من الوقائع والاستنتاجات

مع نهاية القرن السابق ومطلع القرن الحالي أصبح سيغموند فرويد ونظرياته موضوعاً مثيراً للجدال بكثافة ليس في دوائر علم النفس، وانما في أوساط جميع الأطياف. صورته كمفكر ومعالج أصيبت بالانهيار، بعد صدور عدة بحوث تناولت فكره وشخصيته.

لم يثنه النقد الشديد الذي وجّه إليه وتخلي زملائه عنه أن يغير موقفه النظري.

بشكل عام الحملة المُناهضة له ولنظرياته أتت بثمارها عند النخب الأنجلوسكسونية التي يبدو كأنها رمت بتراثه الى سلّة المهملات، بعد أن طردت طريقته واسلوبه في التحليل النفسي نهائياً من المشهد العلمي.

والإرث الفرويدي حاليا شبه غائب في الولايات المتحدة باستثناء مراكز تاريخية كنيويورك وشيكاغو؛ حيث يوجد أقل من 300 محلّل معتمد في جميع اراضي الولايات المتحدة بحسب التقارير الرسمية..

ينهض التداعي الحر على أن يتحدث المريض كما يشاء بما يعن له وما يخطر على باله

كشفت المؤرخة المختصة في علم النفس إليزابيث روديسكو Élisabeth Roudinesco (تولد 1944) عن تراجع كبير في تدريس نظريات التحليل النفسي في الجامعات، إضافة الى وجود تشكيك مستمر في مساهمة التحليل النفسي كعلم.

مفاهيم «الكبت» و«اللاوعي» و«عقدة أوديب» لم تعد تقنع أي عاقل، بعد أن شهدت السنوات الأخيرة توجيه اتهامات شديدة لفرويد ونالت حتى ورثته، كجان لاكان (1901–1981 Jacques Lacan) الذي يعد أشهر أتباعه في فرنسا والعالم.

يختلف هذا المنهج عن منهج التفريغ، في أن التفريغ يبدأ من ظهور الأعراض، فالمريض مطلوب منه أن يتحدث في ظروف مرضه

يعتبر البروفيسور جاك فون ريلر Jacques Van Rillaer (تولد 1944) أستاذ علم النفس في جامعة لوفان الكاثوليكية Katholieke Universiteit Leuven ببلجيكا، وجامعة سانت لويس . بروكسل.. من أكثر من هاجم فرويد ومناهجه العلاجية، يشرح في كتابه «أوهام التحليل النفسي» ما يلي:

«وصلنا إلى خلاصة مفادها أن التحليل النفسي لم يكن أكثر من ظاهرة ثقافية عرفت الرواج في حقبة تاريخية، كان فيها التوجه السائد للنخبة هو تبجيل كل ما يأتي في السياق الحداثي، لكن سرعان ما استيقظ الكلّ ليكتشف أنه لم يعالج أحداً، وأننا نعيش في أوهام منذ عقود...» ..

والرأي نفسه لزميله الفرنسي الاستاذ في جامعة ليون البروفيسور جون كوترو Jean Cottraux (تولد 1942) الذي ساهم مع كاترين ماير Catherine Mayer و 38 من الكُتاب ( 40 كاتب ) في تأليف «الكتاب الأسود للتحليل النفسي» الذي كان بمثابة مرافعة شديدة اللّهجة ضد فرويد وإرثه، حيث يكتب كوترو: «رواج الفكر الفرويدي في فرنسا يعود بالدرجة الأولى إلى أولئك الذين قادوا أو انضووا تحت لواء ما تسمى (ثورة الطلبة) في فرنسا عام 1968، شباب مثقف كان يرى في (الفرويدية) مصدراً لـ (هواء الحرية).. لكن المتمردين السابقين هم حماة المعبد اليوم، وذلك من باب حرصهم على موقعهم المسيطر في الجامعات والمستشفيات ووسائل الإعلام».

الهجوم على فرويد زاد حدّة بعد فتح بعض الأرشيف الخاص بأعمال فرويد، حيث بدأ بعض المؤرخين البحث والتحقيق في تطابق منهجه مع التجارب التي كان قد أعلن عنها.

الفرنسي من أصل دنمركي Mikkel Borch-Jacobsen ( تولد 1951) في عام 1981 قدم أطروحته للدكتوراه في Université de Strasbourg حول الموضوع الفرويدي ثم بدأ التدريس في قسم التحليل النفسي في Université Paris VIII (سابقا: Université de Vincennes ، حيث ترك 1981 -1901 ) (Jacque Lacan بصمته الأولى..

في التداعي الحر فالمطلوب منه أن يتحدث فيما يشاء دون قيود ولا شروط ولا حدود، ودور المعالج دور سلبي جداً، لأنه يجلس وينصت ويسجل، ويستحث المريض أحياناً إذا سكت، ولكنه لا يقاطعه أثناء حديثه وهو مستلق عادة على أريكة في حجرة هادئة حتى لا ينشغل بقدر الإمكان بأشياء أخرى يلتفت إليها بخلاف تداعياته

يرتبط بالتداعي الحر تحليل الأحلام، فطالما أن المريض مطلوب منه أن يتحدث في كل شيء، فلا أقل من أن يروي ما يحلم به، ثم يثني ذلك بما تستدعيه هذه الأحلام من معان وذكريات

هاجر Jacobsen الى الولايات المتحدة عام 1986 وغدا استاذا في University of Washington و Seattle University نشر في كتابه «مرضى فرويد: المصائر » Freud's Patients: A Book of Lives ما اكتشفه عن حقيقة الحالات التي قيل إن فرويد عالجها بفضل جلسات التحليل، حيث كتب:

«كل نظريات فرويد بُنيت على دراسة حالات كـ (دورا) و(آنا هو) و(رجل الذئاب) و(الرئيس شريبر) وهي التي اعتمد عليها في الكتاب الذي صنع شهرته، وهو (دراسات حول الهيستيريا) لكننا حين نبحث في الأرشيف، الذي تمكنا من الحصول عليه بعد عقود طويلة ظل فيها مسجلاً تحت (سرّي)، نجد أن ثلاثاً أو أربع حالات فقط كُتب لها الشفاء، وهذا رغم مزاعمه وتأكيداته المعاكسة».

ذهب Jacobsen إلى أبعد من ذلك، حين اتهم فرويد بأنه محتال وكاذب، وأنه لم يكن يولي للحقيقة أي اهتمام، فهو لم يكتفِ بعدم العلاج فقط، بل تسبّب أيضاً في تدهور الكثير بعض الحالات وتعتيم الحقائق. اذ كشف الباحث بدراسات موثقة أن ثلاثة من النخبة الخاصة به انتحروا دون أن يقوم بتسجيل هذه الوقائع.

وإذا كان تلاميذ فرويد اللامعون ينتحرون كما فعل فيكتور تاوسك Victor Tausk (1879–1919) الذي ظل متابعاً لفرويد ومعالجاً منذ عام 1908.

في صباح يوم 3 يوليو 1919 اوقفت هيلين دويتش Helene Deutsch (1884–1982) علاج تاوسك Tausk بناءً على اوامر شخصية من فرويد .. وبعد علاقة معقدة مع فرويد ولو أندرياس سالومي Lou Andreas-Salomé انتحر تاوسك Tausk في اليوم التالي لوقف علاجه بربط جديلة ستارة حول رقبته، ثم وضع مسدسًا على صدغه الأيمن وأطلق النار، فشنق نفسه وهو يسقط.

حالة شريبر، يدرس فيها حالة بارانويا كتبها كسيرة ذاتية قاض يدعى شريبر، وحالة فوبيا مصاب بها طفل في الخامسة اسمه "هانز الصغير". وهذه الدراسة نتيجة ما كان يشير به على والد الطفل وهو نفسه طبيب

لحالات الأربع الأخرى كان فيها فرويد هو المعالج وتعرف باسم "دورا"، و "الرجل الفأر" و "الرجل الذئب" و "حالة جنسية مثلية لأنثى"..

كان فرويد يكن الكثير جدا من الإعجاب الى لويزه فون سالومي الشهيرة باسم لو أندرياس سالومي Lou Andreas-Salomé وهو الذي شجع تلميذه الوفي فيكتور تاوسك Victor Tausk على عشقها، وبالفعل نشأت بينهما علاقة غرامية قصيرة في فيينا حيث انتحر تاوسك، وكتب فرويد نعيًا رسميًا فيه: «لم يكن بمقدور أحد أن يفلت من انطباع مفادة أن هذا الرجل ذو أهمية، وأنه قد خلف كثيرًا في تاريخ التحليل النفسي وصراعاته الباكرة»، وفي نفس الوقت بعث فرويد برسالة إلى لو سالومي كتب فيها: «أعترف بأنني لم أفتقده (يقصد تلميذه) حقًا، منذ فترة طويلة وأنا أعتبر أن لا نفع منه، بل أنه بمثابة تهديد للمستقبل».

على كلٍ.. سيتبع نفس الطريق بول فيدرن Paul Federn (1871 – 1950) الذي "انضم إلى مجموعة فرويد في عام 1903، فهو واحد من أقدم أتباع فرويد، كما كان أحد أقرب الأصدقاء إليه. وفي الوقت نفسه "بقي فيدرن حتّى النهاية حواري فرويد المخلص. ولكن هذا الحواري سيطلق النار على نفسه وهو في التاسعة والسبعين للتخلّص من الحياة.

وسيقوم تلميذ ثالث هو هربرت سيلبرر Herbert Silberer (1882 – 1923) بالانتحار أيضاً.

هؤلاء الذين علّمهم فرويد كيف يعالجون المرضى النفسيين بطريقة، أصابهم المرض رغم أنهم قلّة، إلا أنهم يشكلون نسبة عالية بالقياس لعدد أعضاء جمعية التحليل النفسي التي أسسها فرويد التي لم تتجاوز ثمانية وعشرين عضواً في عام 1909، ونادراً ما تجاوز حضور الاجتماعات ثمانية أو عشرة أعضاء". (حالات انتحار عدد 3 من اصل 28 عضو.. أي بنسبة تتجاوز 11% وهي نسبة عالية جداجدا)..

إن حالة ومصير المرضى الثمانية والثلاثين المعروفين الذين عالجهم فرويد سريرياً . بعضهم معروف، وكثيرون منهم غير معروفين . تكشف لنا عن صورة أكثر قتامة وتعقيداً للمحلل النفسي الشهير.

أما حالة دورا فهي تحليل لحلمين لـ دورا، مع عرض لعمل التحليل النفسي في استخراج الجوانب الخفية والمكبوتة من العقل، وبيان لتأثير الدفعة الجنسية في الإصابة بالأعراض الهستيرية، وتركيز على دور الألفاظ، وما تقوم به الأحلام من كشف عن العوامل التي كان بسببها اضطراب الشخصية

أما حالة هانز الصغير فهي تحقيق في مدى صدق نظريته في الجنسية الطفلية، وكان هانز يخاف أن جواداً سيعضه لو خرج إلى الشارع

في الرجل الفأر عرض فرويد لحالة حواز يلازم المريض، بأنه سيعلق لأبيه وصديقته وعاء به فئران جائعة. والحالة عرض للحواز وأسبابه ونمط الشخصية التي تصاب به

والجميع يعرف الشخصيات التي وصفها فرويد في سجلاته: "دورا"، و"رجل الجرذ"، و"رجل الذئب". ولكن ماذا نعرف عن هؤلاء الأشخاص، أو الحياة التي كانت وراء هذه الأسماء المستعارة الشهيرة: إيدا باور Ida Bauer (1882–1945) المشهورة باسمها المستهار "دورا"، و المحامي إرنست لانسر Ernst Lissner(1874–1941) المعرزف باسم الرجل "رجل الجرذ" ، وسيرجي كونستانتينوفيتش بانكجيف (( Сергéй Константи́нович Панкéев Sergei Pankejeff (1886–1979) المشهور باسم " الرجل الذئب"؟..

هل نعرف الظروف التي قادتهم إلى استشارة فرويد، أو كيف كانت حالتهم . وكيف سارت حالتهم حقاً . بعد علاجهم؟ وماذا عن هؤلاء المرضى الذين لم يكتب فرويد عنهم شيئاً، أو كتب عنهم القليل جداً:

• بولين ثيلر سيلبرشتاين Pauline Silberstein (1871–1891) في 14 مايو 1891، انتحرت هذه المرأة التي تبلغ من العمر 19 عامًا، اذ ألقت بنفسها من الطابق الرابع من مبنى محللها النفسي (فرويد)، في 8 شارع ماريا تيريزين في فيينا حيث يوجد مكتب سيجموند فرويد، و هذه المرأة هي زوجة أقرب صديق لفرويد في مرحلة المراهقة، إدوارد سيلبرشتاين Eduard Silberstein ، الذي أحالها إلى فرويد للعلاج عندما أصيبت باكتئاب حاد بعد فترة وجيزة من زواجهما .

• الطبيبة إلفريدي هيرشفيلد Elfriede Hirschfeld (1873–1938) ، "المريضة الكبرى" و"المعذبة الرئيسية" لفرويد، عولجت من عام 1908 إلى عام 1914 عند فرويد وبعد ست سنوات من العلاج، لم يتحقق الشفاء. تم تحويل المريضة من قبل فرويد إلى عيادة الطب النفسي في بلفيو في سويسرا، والتي يديرها Ludwig Binswanger حيث يقيت المريضة أربع سنوات دون أدنى فائدة أيضا.

في شريبر عرض لحالة جنون البارانويا، بدعوى أنه في البارانويا بالذات فإن ما يكتبه المريض من سيرة ذاتية كأنه تاريخ للحالة. والمثير في الحالة هو العرض المميز للهواجس فيها، حيث يعتقد المريض بأنه سيتحول إلى امرأة

أما آخر حالة يتناولها فرويد فهي لمريضة بالجنسية المثلية قاومت العلاج بشدة، غير أن فرويد كما يطرح الحالة يذكر أن الجنسية المثلية تعود إلى عاملين، أحدهما وراثي والآخر عقدة أوديب المقلوبة

من بين جميع المرضى الذين استقبلهم فرويد والذين إما لم يذكرهم في نصوصه، أو الذين ذكر علاجاتهم دون تسميتهم، تشكل إلفريدي هيرشفيلد حالة خاصة. أولاً لأنها واحدة من مداخلات فرويد السبعة في المؤتمرات الدولية. السيدة إتش، "الميل إلى العصاب الوسواسي" ، وكان يدعي شفائها.. كشفت الأبحاث التي أجريت في قسم أرشيف فرويد بمكتبة واشنطن عن اسم هذه المريضة، والتي تم التعرف عليها بفضل عمل إرنست فالزيدر ..

- المهندس المعماري الأنيق كارل مايردر..
- المليونير المريض بالذهان كارل ليبمان..

في سلسلة من الصور، يقدم لنا Mikkel Borch–Jacobsen قصص هؤلاء الرجال والنساء . بعضها كوميدي، وكثير منها مأساوي، وكلها مؤثرة للغاية.

وفي المجمل، ثمانية وثلاثون حالة مرضية يندى لها الجبين، وتخبرنا بالكثير عن الممارسة السريرية الشنيعة لفرويد بقدر ما تخبرنا به دراسات الحالات الشهيرة التي كتبها، فتكشف لنا عن فرويد الأكثر بشاعة وقتامة وتعقيداً."

(اللافت للنظر عدد الحالات التي عالجها فرويد خلال حياته كلها هي اقل من 200 خلال اكثر من 40 عاما .. وفي الستوات الخمس الاولى نادرا ان دخل عيادته مريض.)

يقول فرويد عن كل من خالفه "إن تلاميذه مثلهم كمثل الكلاب، يأخذون عَظْمة عن الطاولة ثمَّ يلوكونها بمفردهم في إحدى الزوايا، ولكن تلك العَظْمة لي أنا".

كان فرويد جشعاً لا تهمه إلا الشهرة والمال، جرَّب أولاً التنويم المغناطيسي، وحين أدرك أن طريقة التحليل النفسي ستدرّ عليه أموالاً كثيرة، قام باستبعاد جميع منافسيه، وكان لا يعالج إلا أعيان المجتمع النمساوي

لقد تمنى لفرويد أن يدرس أحلامه وهو أن يقوم بتحليل نفسه، وكان ذلك مصدراً من المصادر الهامة التي أكدت نظرياته في الأحلام وفي الجنسية الطفلية، وظلّ يواظب على تحليل نفسه بقية حياته ابتداءً من 1897

الفرويدية بعد فرويد تميزت باتجاهات، منها تطويرها للأنا، وتأكيدها على الحتميات غير الغريزية، والعناية بملاحظة الأطفال، والاختبار التجريبي لنظريات فرويد، وتزايد الروابط بين التحليل النفسي وعلم النفس.

تفرع عن التحليل النفسي علم للنفس جديد أثناء الحرب العالمية هو علم النفس الإكلينيكي، يجمع بين مفاهيم فرويد والاختبارات والتجارب النفسية

المخملي. تكاليف جلسة واحدة مع فرويد كانت تصل إلى ما يعادل في أيامنا هذه 450 يورو، اسبوعيا جلستين او ثلاث جلسات يعني ذلك من 900 الى 1950 يورو وشهريا اكثر من 4000 يورو وفي العام قرابة 50000 يورو تقريبا.. لنتخيل هذا الرقم وان المريض يبقى سنوات كثيرة تتجاوز 6 الى 10 سنوات وغالبا اكثر... وهو مبلغ لا يستطيع دفعه إلا أغنى الأغنياء، ولذا فحين نقرأ أن فرويد كان مفكراً كبيراً كرّس حياته لخدمة المرضى...من حقنا أن نصاب بالدهشة..

ولعل النقد الأكثر دقة يتمثل في تفنيد المزاعم الفرويدية بأنها تمتلك حقائق لا يمكن أن يتوصل إليها إلا أولئك الذين يلجأون إلى التحليل النفسي والإصرار على تفسير «الألغاز» المتعلقة بمختلف مظاهر المرض النفسي، بالكبت والغرائز الجنسية وتفسير الأحلام، أو التعصّب لبعض المفاهيم، كعقدة أوديب.

الباحث البلجيكي جاك فون ريلر Jacques Van Rillaer ( ولد 1944) في كتاب آخر بعنوان: «فرويد ولاكان محتالان» كتب أن فرويد كان شخصية بارعة لأنه نجح في إقناع العالم بأنه «وراء عدة مفاهيم كزلة اللّسان واللاوعي، بينما ما فعله هو جمع أفكار ونظريات من هنا وهناك ونسبها لنفسه، وقد يكون أذكى (محتال) عرفه التاريخ؛ لأنه أقنع أجيالاً كاملة بأن الشفاء من المرض النفسي سيتم بمجرد... الكلام»..

الباحث البلجيكي استشهد بمثال أشهر أتباع فرويد في فرنسا، وهو البروفسور جاك لاكان 1901-1981) Jacques Lacan) الذي دعا إلى تجديد الانتباه إلى نصوص فرويد الأصلية، وكان قد ابتدع جلسات تحليل باهظة الثمن لكنها سريعة، لا تدوم أكثر من عشر دقائق، لا يكاد المريض ينزع فيها معطفه حتى تنتهي الجلسة، وتمكن بفضل ذلك من جمع ثروة طائلة قُدرت قبيل وفاته بحوالي بملايين الفرنكات الفرنسية.

**كانت لمفاهيم فرويد شعبية ثقافية، بسبب أسلوبه الأدبي المتميز، وطريقته في السرد والإقناع، وأيضاً بسبب أفكاره الجريئة، وخاصة في الجنس والعدوان**

في حوار مطول لي مع حفيدة فرويد د. صوفي فرويد عام 2003، قالت: "في نظري، كان أدولف هتلر وجدي من أنبياء القرن العشرين الكاذبين "... أدنتها في نشر ما قالته فلم تمانع .. توفيت د. صوفي عام 2022 عن عمر 98 عاما

أسوأ ما بثه فرويد هو تعظيم شأن الجنس وتحويله إلى محور أساسي لكل شيء في السلوك البشري؛ فكل طاقة إبداعية هي عنده تصعيدٌ للطاقة الجنسية المكبوتة، وكل اضطراب نفسي في الكِبر هو عنده نتاج تحرش جنسي. وبذلك تلوثت الدنيا بأكملها

من آخر ما صدر ضد تُرّهات فرويد في التحليل النفسي كتاب ضخم بعنوان: (أفول صنم: الكذبة الفرويدية) تأليف: ميشيل أونفري

مع نهاية القرن السابق ومطلع القرن الحالي أصبح سيغموند فرويد ونظرياته موضوعاً مثيراً للجدال بكثافة ليس في دوائر علم النفس، وانما في أوساط جميع الأطياف

الباحث جاك فون ريلر Jacques Van Rillaer (ولد عام 1944) استغرب أيضاً من حال بعض الشخصيات التي «تتفاخر» لأنها وقعت في مصيدة التحليل النفسي، كالسيدة كارلا بروني ساركوزي Carla Bruni–Sarkozy زوجة الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي Nicolas Sarkozy ، التي أعلنت في الصحافة أنها تتابع جلسات تحليل منذ أكثر من عشر سنوات! والممثل المعروف فابريس لوكيني Fabrice Luchini الذي كشف أنه يتلقى جلسات علاج بالتحليل النفسي منذ أكثر من ثلاثين سنة! وهنا تساءل ريلر: إلى متى سينتظر هؤلاء للوصول إلى الشفاء؟

وكان الباحث السويدي نيلز ويكلند Niels Wiklund قد نشر في المجلة الفرنسية «الأزمنة الحديثة»، (التي توقفت عن الصدور منذ فترة)، مقالاً تم تداوله كثيراً بعنوان «لماذا لم يحصل فرويد على جائزة نوبل؟» شرح فيه الأسباب التي جعلت لجنة «نوبل» ترفض منح فرويد جائزة الطب، رغم أنه رُشح لها 12 مرة ما بين 1915 و1938، مُلخصاً الدوافع في انعدام الثقة لدى الأوساط العلمية في أفكار فرويد، بسبب غياب الدلائل العلمية التي تبرهن على صحّتها.

فرويد الذي فشل في زمانه بإقناع المجتمع العلمي بقيمة نظرياته، نجح الى حدّ ما في الحصول على اعتراف الأوساط الأدبية بقيمة أعماله، حيث مُنح جائزة «غوته» التي تكافئ أحسن الأعمال الأدبية الألمانية عام 1930، كما رشّحته بعض الشخصيات كالكاتب الفرنسي رومان لوران Romain Rolland (1886–1944) الحائز على نوبل للآداب عام 1915؛ حيث كتب لوران في رسالة التوصية التي بعث بها لأعضاء لجنة نوبل ما يلي: «أعلم أنه للوهلة الأولى سيبدو ترشح العالم اللامع أكثر توافقاً مع جائزة في الطب، لكن أعماله العظيمة فتحت طريقاً جديداً لتحليل الحياة العاطفية والفكرية، وأثرت على الأدب بقوة على مدار ثلاثين سنة... »..

ورغم أنه أخفق أيضاً في الحصول على جائزة نوبل للآداب، فإن أود زيتريش من أقطاب الأكاديمية السويدية كشف في مذكراته، عن أن «النقاش كان حاداً تلك السنة في كواليس الأكاديمية حول ترشيح فرويد للجائزة، قبل أن يُحسم الأمر بفوز الكاتب الأميركي أوجين أونيل (1888–1953) Eugene Gladstone O'Neill...»؛ علماً بأن فرويد كان شغوفاً بالأدب، وقريباً من بعض الأدباء، كستيفان تسفايغ (1881–1944) Stefan Zweig) وآرثر شنيتزل (1862–1931) Arthur Schnitzler)، وكان يقول إننا نستطيع قراءة الحالات الإكلينيكية التي كان يعالجها كـ«قصص روائية».

ألبرت أينشتاين (1879–1955) Albert Einstein)بعد أن رفض دعم ترشيح فرويد عام 1928 لجائزة نوبل للطب وتلميحاته بغياب قواعد علمية صلبة لنظريات فرويد بخصوص التحليل النفسي، وجّه له بعد قراءة عمله الأخير «موسى والتوحيد» عام 1939، مجاملة غامضة جاء فيها ما يلي: «أنا معجب بشكل خاص بهذا العمل، ولكن أيضاً بجميع كتاباتك» قبل أن يضيف بنبرة ماكرة: «من وجهة نظر أدبية».. ولم يسلم انشتاين من أذى فرويد ..

وهناك سلوكيات اخلاقية سيئة لفرويد لا تليق بطبيب او عالم اذ كان على علاقة سفاحية بأخت زوجته، وأنّه كان ينام في جلسات العلاج، خاصة ان كان المريض ذكرا وكان يطالب مرضاه بأتعاب باهظة، ونقدا.. ويبرر ذلك لاعتبارات تتعلق بالتحليل النفسي ذاته، وتلك من التقنيات التي تعتمد ها حتى لا يحصل التحويل transfert، إذ إن العلاج يفشل حين يحس المعالج بأن بينه وبين المحلل علاقة إنسانية؛ والتذكير بموضوعية العلاقة يحصل في لحظة الأداء.. هذا عدا كون فرويد كان مهووسا بالنساء..

انبرى المدافعون عن فريد بالقول:

الإرث الفرويدي حاليا شبه غائب في الولايات المتحدة باستثناء مراكز تاريخية كنيويورك وشيكاغو؛ حيث يوجد أقل من 300 محلّل معتمد في جميع اراضي الولايات المتحدة بحسب التقارير الرسمية

مفاهيم «الكبت» و«اللاوعي» و«عقدة أوديب» لم تعد تقنع أي عاقل، بعد أن شهدت السنوات الأخيرة توجيه اتهامات شديدة لفرويد ونالت حتى ورثته، كجان لاكان Jacques Lacan (1901–1981) الذي يعد أشهر أتباعه في فرنسا والعالم.

(هبْ أنّ فرويد كان يعشق النساء، وأنه كان على علاقة بواحدة من أصهاره، وأنه كان ماجنا، ثم ماذا بعد؟ ما دخل هذه السيرة الأخلاقية السيئة في المعرفة ؟ هايدغر أيضا كان على علاقة بحنّا أريندت طالبته، ونيتشه عشق زوجة صديقه كوزيما فاغنر، وسارتر عاشر دوبوفوار دون أي رابط..

هؤلاء لا يعرف أي منهم بأن الحياة الخاصة للأشخاص لا دخل فيها لأحد، وأن كل ما يحصل في العالم الحديث بين شخصين بالغين عاقلين برضاهما هو مقبول؛ وشيئان لا يناقشان عند العقلاء: حرية العقيدة، وحرية الاختيارات الجنسية، وكل ضرب أو تشكيك في هذه الحرية هو مزايدة أخلاقية تمتح من الأساس الديكتاتوري للدين.)

ألبرت مول (1862–1939) Albert Moll عالم نفس وطبيب نفسي ألماني ويعتبر من أبرز علماء الجنس ومؤسس علم النفس الطبي في القرن العشرين، الا أن معاصريه هيرشفيلد Hirschfeld و فرويد طغيا على عمله، ويرجع ذلك إلى التنافس المرير بينهما. اتهم مول فرويد بالتحيز في الاختيار، أثار منشور مول 1908 (Das Sexualleben des Kindes) غضب فرويد بسبب انتقاده للتحليل النفسي . اعتقد مول أن تعريف فرويد للنشاط الجنسي عند الأطفال يفتقر إلى الدقة والأساس الكافي. ظل مول غير مقتنع بدراسات الحالة التي أجراها فرويد، مقترحًا أن التمثيلات الرمزية التي قدمها كانت موجهة فقط بافتراضاته وليس الأدلة التجريبية، مما يعني أنها لم يكن لها استخدام علمي في تحديد صحة النظرية.

يعتقد مول أن فرويد أثر على ذكريات مرضاه من خلال اقتراح المعالج وأنه بالغ في تقدير تأثير الجنس في علم أسباب العصاب . وأضاف مول أنه حاول استخدام طريقة فرويد العلاجية لعلاج المرضى المصابين بالعصاب لكنه وجد أن الجنس لم يلعب دورًا بارزًا، على النقيض من ادعاءات فرويد.

أن التحليل النفسي لم يكن أكثر من ظاهرة ثقافية عرفت الرواج في حقبة تاريخية، كان فيها التوجه السائد للنخبة هو تبجيل كل ما يأتي في السياق الحداثي، لكن سرعان ما استيقظ الكلّ ليكتشف أنه لم يعالج أحداً، وأننا نعيش في أوهام منذ عقود...» ..

يكتب كوترو: «رواج الفكر الفرويدي في فرنسا يعود بالدرجة الأولى إلى أولئك الذين قادوا أو انضووا تحت لواء ما تسمى (ثورة الطلبة) في فرنسا عام 1968، شباب مثقف كان يرى في (الفرويدية) مصدراً لـ (هواء الحرية)..

لقد انتقد فرويد مول بين زملائه حتى قبل ظهور كتابه Das Sexualleben . كان مول طبيبًا بارزًا في برلين. كان فرويد ومعاصروه دفاعيين حيث كان الأطباء ينظرون تاريخيًا إلى التحليل النفسي بالتشكك أو العداء الصريح. شكك فرويد في أوراق اعتماد مول وشوَّه سمعته، حتى أنه اتهم مول بالسرقة الأدبية لعدم إشادته بفرويد في انتقاداته للجنس عند الأطفال وتقنية التحليل النفسي.

وبعد زيارة مول، كتب فرويد في رسالة إلى كارل يونج : "باختصار، [مول] وحش، وليس طبيبًا في الأساس؛ فهو يتمتع بالتركيبة الفكرية والأخلاقية لرجل مهووس... لقد لوث غرفتي مثل الشيطان نفسه، ولم... أضعه في مكانه الصحيح بما فيه الكفاية. والآن، بالطبع، يتعين علينا أن نتوقع منه أشد الهجمات قسوة".

يُنظَر إلى تجربة هيلدا دوليتل (Hilda Doolittle 1886–1961) إحدى مرضى فرويد، وهي شاعرة أميركية تعرف من خلال الأحرف الأولى من اسمها H.D. بوصفها تجاوُزاً فرويدياً للحدود المحظورة، على الأقل وفقاً للأحكام المرجعية اليوم. فقد جاءت إلى فرويد للعلاج بعد وفاة والدها وانفصالها عن زوجها.

تذكر بأنها تلقّت من فرويد، خلال تحليله حالتها، "رسائل مُبهَمة" زادت من "عجزها وارتباكها في حضرته"، وفق ما ذكرت في كتابها، وكانت تلك الرسائل تحمل أيضاً " إشارات جنسية". وتورد مثال واضح على هذا حين ضرب فرويد، في أثناء التحليل، بقبضته على ظهر الكرسي وأعلن أن "المشكلة أني رجلٌ كبير، ولا تعتقدين أن الأمر يستحق منك أن تُحبّيني ".

فتصف تلك الخاضعة للتحليل ارتباكها، فتقول: "كان تأثير كلماته فظيعاً للغاية. ببساطة، لم أشعر بشيء على الإطلاق. لم أقل شيئاً. ماذا توقّع مني أن أجيبه؟ كان الأمر تماماً كما لو أنّ الكائن العُلوي [الإله] قد ضرب

الهجوم على فرويد زاد حدّة بعد فتح بعض الأرشيف الخاص بأعمال فرويد، حيث بدأ بعض المؤرخين البحث والتحقيق في تطابق منهجه مع التجارب التي كان قد أعلن عنها

كل نظريات فرويد بُنيت على دراسة حالات كـ (دورا) و(آنا هو) و(رجل الذئاب) و(الرئيس شريبر) وهي التي اعتمد عليها في الكتاب الذي صنع شهرته، وهو (دراسات حول الهيستيريا)

ذهب Jacobsen إلى أبعد من ذلك، حين اتهم فرويد بأنه محتال وكاذب، وأنه لم يكن يولي للحقيقة أي اهتمام، فهو لم يكتفِ بعدم العلاج فقط، بل تسبّب أيضاً في تدهور الكثير بعض الحالات وتعتيم الحقائق

بقبضته على ظهر الأريكة التي أستلقي عليها. لم فعَل هذا في أي حال؟". كتبت دوليتل أيضاً أن فرويد تجاهل محنتَها وكَرْبها. فتحكي أنها في إحدى المرّات قالت "إنني محطَّمة إلى حد ما؛ ولكن ليس هناك جواب على ذلك الغضب الشديد"..

من خلال قراءة مذكرات المرضى، يمكن القول أن فرويد بوصفه معالِجاً، لم يلتزم بأخلاقيات المهنة الطبية ولا بقسم ابقراط ولا بالقواعد التي وضعها هو نفسه. فمع أنه حثّ الزملاء من المعالِجين النفسيين على "الحفاظ على موقف يتسم بالزهد والحياد" و"بالبقاء بعيداً من الناحية الشعورية عن المرضى، وأن يظلّوا، كالمرآة، لا يُبدون شيئاً لم يُعرَض أمامهم"، تظهر أمامنا صورة مختلفة من خلال قراءة مذكرات مرضاه.

فرويد وتقسيمه لطبوغرافا العقل البشري مسروق من المدرسة اليونانية التي تقول بان الانسان مكون من ثلاثة أقسام (رأس وصدر وبطن) الرأس ميزته العقل وفضيلته الحكمة ورزيلته الحماقة وصدر ميزته العاطفة وفضيلته الشجاعة ورزيلته الجبن وبطن ميزته الغريزة فضيلته العفة ورزيلته الفجور.فرويد بتقسيمة (الهو والانا والانا الاعلى) هو نسخ عن المدرسة اليونانية .. اضافة الى اعتبار المدرسة اليونانية بأن العلاج النفسي بالكلمة.. والفضفضة.. فرويد أخذ الفضفضة وابتدع التداعي الحر.. الذي اثبت بما لا يدعو للشك بانه لا قيمة علمية او علاجية له..

رسائل فرويد مع ابنته انا هي 300 رسالة خلال قرابة 20 عاما..

و الرسائل المتبادل بين الاميرة ماري يونابرت وفرويد حوالي ألف رسالة تقريبًا تمّ تبادلها خلال 14 سنة (من عام 1925 إلى عام 1939، أي لغاية سنة موت فرويد).وهذا رقم يعادل تقريبا 6 رسائل متبادلة شهريا... وهذا رقم له ماله من دلالات وتساؤلات ؟...

ولم يزل الكثير من المراسلات والوثائق لم يسمح برفع السرية عنها..

**في المجمل، ثمانية وثلاثون حالة مرضية يندى لها الجبين، وتخبرنا بالكثير عن الممارسة السريرية الشنيعة لفرويد بقدر ما تخبرنا به دراسات الحالات الشهيرة التي كتبها، فتكشف لنا عن فرويد الأكثر بشاعة وقتامة وتعقيداً."**

كان فرويد جشعاً لا تهمه إلا الشهرة والمال، جرَّب أولاً التنويم المغناطيسي، وحين أدرك أن طريقة التحليل النفسي ستدرّ عليه أموالاً كثيرة، قام باستبعاد جميع منافسيه، وكان لا يعالج إلا أعيان المجتمع النمساوي المخملي.

**(4)**

هل كان فرويد يهوديًّا أو ملحدًا؟.. لقد خدم الصهيونية اكثر من الصهاينة..

يقول فرويد عن نفسه: "وُلدتُ من والدين يهوديين، وبقيتُ أنا كذلك" ..ويقول أيضًا: " لستُ متأكِّدًا من صحَّة النظر إلى التحليل النفسي بوصفه نتاجًا مباشرًا للعقل اليهودي، ولكن إن كان كذلك، فلن أشعر بالخجل، فعلى الرغم من أنني اغتربتُ عن دين أسلافي لزمن طويل، فإنني لم أفقد تضامني مع شعبي" ، ويقول أيضًا: "اعتقد رانك أن اليهود وحدهم قادرون على إيجاد حل جِذْري للاضطراب العصبي، وشعر أن اليهود بالعاطفة السامية التي يحملونها بوصفهم مضطهدين، ينبغي أن يقودوا الطريق إلى تحقيق العدالة البشرية كلها... "

وكان فرويد يفتخر دائمًا بيهوديته وبانتمائه لليهود؛ فهو يرى أنَّ الشّعبَ اليهوديَّ له فضْلٌ كبير على العالم كُلِّه؛ إذ استمدَّ منه السَّلام والأمن والتَّنوير المعرفيَّ، وكلُّ هذه الفضائل ومظاهر الرُّقي الإنساني قد وردتْ في التوراة، وأنَّ الديانةَ اليهوديةَ كانت ولا تزال مصدرًا علميًّا ومعرفيًّا كان له الأثرُ البالغُ في تطوُّر الكثير من الدول والمجتمعات، وقد اعترف في عديد من المرَّات بأنه معتزٌّ بانتمائه لشعبه، يقول: "ولم أتظاهر بأنني شيء آخر: يهودي من مورافيا، جاء أبواه من غاليسيا" .

وكان فرويد منخرِطًا في جماعة بناي بريث التي انضمَّ إليها سنة (1895م)، وقد ألقى فيها محاضرته الأولى عن تفسير الأحلام، وفي عام (1926م) أقامت الجمعيَّة حفلاً خاصًّا بمناسبة بلوغه السبعين من عمره، فلم يحضر الحفل ولكنَّه وكَّل طبيبه الخاص؛ لكي يقرأ رسالته على الحضور، ورد فيها: "... إنَّ كونكم يهودًا لأمر يوافقني كل الموافقة؛ لأنَّني أنا نفسي يهودي؛ فقد بدا لي دائمًا إنكار هذه الحقيقة ليس فقط أمرًا غير خليق

يقول فرويد عن نفسه: "وُلدتُ من والدين يهوديين، وبقيتُ أنا كذلك

يقول أيضًا: " لستُ متأكِّدًا من صحَّة النظر إلى التحليل النفسي بوصفه نتاجًا مباشرًا للعقل اليهودي، ولكن إن كان كذلك، فلن أشعر بالخجل، فعلى الرغم من أنني اغتربتُ عن دين أسلافي لزمن طويل، فإنني لم أفقد تضامني مع شعبي

يقول أيضًا: "اعتقد رانك أن اليهود وحدهم قادرون على إيجاد حل جِذْري للاضطراب العصبي، وشعر أن اليهود بالعاطفة السامية التي يحملونها بوصفهم مضطهدين، ينبغي أن يقودوا الطريق إلى تحقيق العدالة البشرية كلها

بصاحبه، بل هو عمل فيه حماقة أكيدة، إنَّني لتربطُني باليهودية أمورٌ كثيرةٌ تجعلُ إغراء اليهودية واليهود أمرًا لا سبيل إلى مقاومته قوى انفعالية غامضة كثيرة، كُلَّما زادت قوتُها تَعذَّر التعبيرُ عنها في كلمات، بالإضافة إلى شعور واضح بالذاتية الداخلية، الخلوة الآمنة لتركيب عقلي مشترك، ثم بعد هذا كله كان إدراكي أنني مدين بالفضل لطبيعتي اليهودية فيما أملك من صفتين مميزتين لم يكن في وسعي الاستغناء عنهما خلال حياتي الشاقة: فلأني يهودي وجدتُ نفسي خلوًا من التحيُّزات التي أضلَّت غيري دون استخدام ملكاتهم الذهنية، وكيهودي كنتُ مستعدًّا للانضمام إلى المعارضة، وللتصرُّف دون موافقة الأغلبية السَّاحقة، وهكذا وجدتُ نفسي واحدًا منكم أقوم بدوري في اهتماماتكم الإنسانية والقومية، واكتسبتُ أصدقاء من بينكم، وحثثتُ الأصدقاء القليلين الذين تبقَّوْا على الانضمام إليكم" .

كان فرويد يفتخر دائمًا بيهوديته وبانتمائه لليهود؛ فهو يرى أنَّ الشَّعبَ اليهوديَّ له فضْلٌ كبير على العالم كُلِّه؛ إذ استمدَّ منه السَّلام والأمن والتَّنوير المعرفيَّ

ثم بعد خمسة أعوام تتكشف آراؤه الحقيقية المخفيَّة تجاه اليهود؛ حيثُ كتَبَ رسالةً إلى حاخام فيينا الذي هنَّأه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين، فردَّ فرويد عليه قائلاً: "في مكان ما في أعماق روحي أَشعُر أنِّي يهوديٌّ متعصِّبٌ، وأني شديدُ الدَّهشة أن أكتشفَ نفسي هكذا، رغم كل جهودي للوصول للموضوعيَّة، ولإنكار التحيُّز" ، ففي الخطاب السابق الذكر نجده يُنكر تحيُّزه الذي أضلَّ غيره كما قال، بينما يُظهرُ التحيزَ اليهوديَّ جليًّا في هذا الخطاب، والسببُ في هذا التغاير البيِّن، نوعية الناس المخاطَبين، والشَّخصيَّة اليهودية أغلبُها تسيرُ على هذا الفعل، فمن طبيعتها التلونُ والمداهنة، فالخطاب العامُّ ليس كالخطاب الموجَّه إلى جهة خاصَّة، لا سيَّما إذا كان حاخامًا من حاخامات اليهود.

إنَّني لتربطُني باليهودية أمورٌ كثيرةٌ تجعلُ إغراء اليهودية واليهود أمرًا لا سبيل إلى مقاومته قوى انفعالية غامضة كثيرة، كُلَّما زادت قوتُها تَعذَّر التعبيرُ عنها في كلمات، بالإضافة إلى شعور واضح بالذاتية الداخلية، الخلوة الآمنة لتركيب عقلي مشترك

وحينما أوشكتْ إحدى تلميذاته من العاملات بالتحليل النفسي أن تضع مولودًا، كتبَ إليها رسالةً يقول فيها: "... أَودُّ لو خرج الطفلُ ذَكَرًا أن يصير صهيونيًّا متعصبًا.. إننا يهود، وسنظل يهودًا.. وسيبقى الآخرون، على

استغلالهم لنا، دون أن يفهمونا، أو يقدِّرونا حقَّ التقدير(الخطاب مؤرَّخ في أغسطس (1913)، ولكنَّه لم يُنشَر إلا في عام (1982) ، وكان فرويد عضوًا في مجلس أمناء الجامعة العبرية بالقدس، وكان يفتخر بذلك ويقول عنها: جامعتنا " .

وهذا يُبيِّنُ لنا بيانًا واضحًا لا لَبْس فيه أنَّ فرويد لا يستطيعُ أن يتخلَّى عن أصله ومجتمعه اليهودي الذي ترعرع بين أحضانه. ولكن هل العلاقةُ الاجتماعيَّة التي تربطه بأفراد مجتمعه يمكن لها أن تؤثِّر على مشروعه الفكري؟ ونظريَّته في التحليل النفسي التي قدَّمها للعالم؟.

يبدو أن الآراء متضاربةٌ في هذا الشأن، فبينما نرى بعضَ المفكِّرين الذين درسوا أفكار فرويد، وقالوا: إنَّه ليس هناك علاقة بين أطروحاته، وبين ما يدين به، وإنما هو كغيره من الباحثين الذين تأثَّروا بالتنوير الأوروبي الذي كان مُفرطًا في تقديس العلم والمعرفة، وإن كانت نظرياتُه تهَدم الدين والمبادئ والقيم الإنسانية، نرى في المقابل رأيًا آخرَ على العكس من ذلك؛ حيثُ يشيرُ هذا الرأيُ إلى أنَّ فرويد يصدر عن نفس يهوديَّة حاقدة اتخذت من التحليل النفسي وسيلةً لنشر أفكارها ومعتقداتها الهدَّامة.

يذهب عبدالوهاب المسيري إلى أنَّ فرويد ينتمي بشكل كامل إلى الحضارة الغربية التي هيمن عليها نموذج العلمانية الشاملة، ولا يمكن فَهْم أفكاره إلا في إطارها؛ حيث يرى أن المنظومة الفرويدية هي في الحقيقة ليست إلا منظومة علمانية شاملة، وأنَّ عناصرها اليهودية الصَّميمة تُشبه بُنيويًّا عناصر داخل المنظومة العلمانية الشاملة بسبب الإطار الحلولي الكموني الذي يجمع بينهما، وعلى الرغم من تأثير هذا العامل المهمِّ، إلا أنَّ المسيري يستبعدُ المؤثِّرَ اليهوديَّ؛ إذ يطرح سؤال الانتماء اليهودي وأثره على ما يسمِّيه بالمنظومة الفرويدية، ويقرِّر قضية البعد اليهودي في المنظومة الفرويدية التي هَيْمن عليها نموذج العلمانية الشاملة، والتي كانت قد بدأت تَدخُل مرحلة

لأني يهودي وجدتُ نفسي خلوًا من التحيُّزات التي أضلَّت غيري دون استخدام ملكاتهم الذهنية، وكيهودي كنتُ مستعدًّا للانضمام إلى المعارضة، وللتصرُّف دون موافقة الأغلبية السَّاحقة

في مكان ما في أعماق روحي أشعُر أنِّي يهوديٌّ متعصِّبٌ، وأني شديدُ الدَّهشة أن أكتشفَ نفسي هكذا، رغم كل جهودي للوصول للموضوعيَّة، ولإنكار التحيُّز

حينما أوشكتْ إحدى تلميذاته من العاملات بالتحليل النفسي أن تضع مولودًا، كتبَ إليها رسالةً يقول فيها: "... أودُّ لو خرج الطفلُ ذَكَرًا أن يصير صهيونيًّا متعصبًا.. إننا يهود، وسنظل يهودًا

السُّيولة واللاعقلانية الماديَّة كما يقول، ويصنِّفُ المسيري فرويد ضمن أهم مفكري هذه الحضارة ومنظِّريها، ولا يُمكنُ لنا أن نفْهم أفكارَه إلا في إطار الحضارة الغربية الحديثة، ويبيّن أنه لم يكن يتَّسمُ بالوضوح في طرحه لعديد من القضايا، فموقفُه كان مبهمًا ومعتمًا؛ إذ توجدُ ازدواجيةٌ ظاهرةٌ بين الانتماء الكامل لليهودية، بل والصهيونية، وتأكيد أهمية هذا الانتماء والتباهي به من جهة، والإنكار الكامل، وتأكيد الانتماء للحضارة الغربية الحديثة ولنماذجها التفسيرية المادية، من جهة أخرى.

يقول عبدالوهاب المسيري: "ولعلَّ خطابه للراعي أوسكار فيستر يُعبِّر عن هذه الازدواجية؛ فقد سأله ساخرًا: وبالمناسبة ما بال التحليل النفسي لم يبتدعه واحد من المؤمنين الأتقياء، وكان عليه أن ينتظر ليقوم بذلك يهودي لا إله له (أيْ: ملحد)؟، ففرويد هنا ليس يهوديًّا وحسب؛ وإنما ملحدٌ أيضًا".

وقد أوضح هذا الرأيَ في العنوان الذي وضعه داخل موسوعته (فرويد يهودي غير يهودي) ؛ إذ يقول أيضًا: "ولعلَّ هذه الازدواجية تزول حين نضع أيدينا على عنصرين أساسيين، وهما: أن فرويد كان يهوديًّا غير يهودي، بمعنى: أن إثنيته اليهودية كانت قشرة لا تؤثِّر في اللبِّ؛ فهي مجرَّد ادعاء؛ إذ إن انتماءه الثقافي الحقيقي كان للحضارة الغربية الحديثة"، ثم يستمر قائلاً: "... فإن فرويد في واقع الأمر ينتمي للمنظومة العلمانية الشاملة، رغم كل التباهي بانتمائه اليهودي، ورغم كل ديباجته اليهودية".

فالمسيري لا يُنكر هذا الانتماء؛ إذ يُقرِّر أنَّ فرويد كان يربطُ بين التَّحليل النَّفسي ودينه اليهودي، ويعتبر أنَّ المقاومةَ التي لاقاها التحليل النفسي كانت على حدِّ اعتباره جزءًا من رفض الحضارة الغربيَّة لكل ما هو يهودي، والتحليل النَّفسي في تَصوُّره كان من إبداعه لمدة عشر سنوات: "كنتُ أنا الشخص الوحيد الذي انشغل به، ولا أحد يعرف أكثر منِّي ما هو التحليل النفسي" .

أنَّ فرويد لا يستطيعُ أن يتخلَّى عن أصله ومجتمعه اليهودي الذي ترعرع بين أحضانه

**هل العلاقةُ الاجتماعيَّة التي تربطه بأفراد مجتمعه يمكن لها أن تؤثِّر على مشروعه الفكري؟ ونظريَّته في التحليل النفسي التي قدَّمها للعالم؟.**

بينما نرى بعضَ المفكِّرين الذين درسوا أفكار فرويد، وقالوا: إنَّه ليس هناك علاقة بين أطروحاته، وبين ما يدين به، وإنما هو كغيره من الباحثين الذين تأثَّروا بالتنوير الأوروبي الذي كان مُفرطًا في تقديس العلم والمعرفة، وإن كانت نظرياتُه تهدم الدين والمبادئ والقيم الإنسانية

هذا هو مجملُ قراءة عبدالوهاب المسيري لشخصية فرويد وانتمائه الديني، وما مدى قوة تأثيرهما في أطروحاته وآرائه التي عالجت مختلف جوانب حياة الإنسان، خاصة مجال التحليل النفسي، الذي أحدث ثورة فيما يتعلق بعلم النّفس في ذلك الوقت.

لكن هناك بعض المفكرين الذين عارضوا هذا التحليل ، وإن كانوا يوافقون ما خَلَص إليه المسيري في انتماء فرويد إلى الحضارة الأوروبية التنويرية العلمانية، إلا أنهم أكّدوا على أنّ الموروثَ الدينيّ اليهودي كان المؤثّر الوحيد بلا منازع في طبيعة استنتاجاته وأبحاثه ونظرياته، التي غرضها الأساس إخراج اليهود من المعزل الذي أُبعدوا فيه ردحًا من الزمن رغم وجودهم داخل المجتمع الأوروبي المسيحي المتحضر ومحاولة تفكيكه؛ إذ كان يسعى دائمًا إلى إبعاده عن سُلّم الصُعود والارتقاء في مجال العلم والحضارة والثقافة الإنسانية، وقد اتّخذ من علم النفس التحليلي قاعدةً مهمةً في إرساء أفكاره الهدّامة، التي من أهدافها الإلحاد بالله، وإنكار الغيبيات، واعتبار الإنسان ظاهرة ماديةً فقط، بما فيه من فكر ونفْس، وحياة، إضافةً إلى نشر الإباحية الجنسية، وحَثّ الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرية تامّة، لا تقف أمامها قيود دينية، أو أخلاقية، أو عادات وتقاليد اجتماعية، أو أيّ ضغوط من أية جهة كانت.

يرى المفكر السعودي سعد البازعي أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن، الذي له إسهامات عديدة في مجال دراسة الثقافة الغربية – في كتابه الذي أبرز فيه دور الجماعات اليهودية في تاريخ الحضارة الغربية: أنَّ قراءة المسيري على ما فيها من عُمق، إلا أنها يَنقُصها بعضُ الأبعاد التي تدخل ضمن أطروحته المعروفة، ومفادُها يتعلَّق بنشأة الحضارة الغربية وطبيعتها الكمونية بشكل عام؛ إذ إنَّ تعميم هذه الأطروحة البنيوية الشمولية يؤدّي إلى إهمال كثير من التفاصيل والروابط الخاصَّة التي تُميز تجربةً عن أخرى،

في المقابل رأيًا آخرَ على العكس من ذلك؛ حيثُ يشيرُ هذا الرأيُ إلى أنَّ فرويد يصدر عن نفس يهوديَّة حاقدة اتخذت من التحليل النفسي وسيلةً لنشر أفكارها ومعتقداتها الهدَّامة

يصنِّفُ المسيري فرويد ضمن أهم مفكري هذه الحضارة ومنظِّريها، ولا يُمكنُ لنا أن نفْهم أفكارَه إلا في إطار الحضارة الغربية الحديثة، ويبيّن أنه لم يكن يتَّسمُ بالوضوح في طرحه لعديد من القضايا

وهذه هي الحلقة المفقودة في كبرى الأطروحات والنظريات التفسيرية، وحَصَرَ المسيري البعدَ اليهودي فيما يقوله فرويد عن نفسه، وما يوضِّح سيرةَ حياته وعلاقته باليهود، والصَّهاينة والتراث الصوفي، وعلاقة فرويد بالقبالة ، وهذه الأبعاد ليست كافية على حسب رأي البازعي رغم أهميتها؛ فيجب حينئذٍ إضافة خصائص أخرى تُكمِّلها، أو إعادة صياغتها، أو قولبتها في إطار يشمل كلَّ الروابط والمكونات الأساسية، أو حصرها في مقولة تربط كل حلقة بأختها.

ولعلَّ الارتباطَ الجماعيَّ اليهوديَّ الذي يُشْعر الإحساسَ بالتضامن – ولو كان هذا الارتباطُ صادرًا عن غير الدين – هو المكَمِّل لهذه الأطروحة، وهو المؤثِّر المفقود من الحلقة – حسب رأي البازعي – وإن كان ضمن السبعة عشر الذين التفُّوا حولَ فرويد من استبدل بدينه اليهودي الدين النَّصراني البروتستانتي، كما هو الشأن عند أدلر ، أو الكاثوليكي كما عند "رانك"، إلا أنَّ هذا الاختلافَ الثقافيَّ لدى الجماعات اليهودية لم يُؤثِّر في قوة الارتباط بين جماعة التحليل النفسي، بل جعلَه يُورث الشعورَ بالتميُّز عن الآخرين، الأمر الذي أدَّى إلى زيادة العمل الثقافي والإبداعي من منطلق عرقي، وهو شعور يهودي قديم.

من خلال هذا التحيُّز الواضح، يتبيَّن لنا أنَّ "فرويد" لم يلتزم بالنَّزاهة والموضعية العلْمية، ولم يَكُن متجرِّدًا عن انتمائه الديني، بل كانت دوافعُه القضاءَ على الدين، وتجريم القيم الأخلاقية، وطمس معالم الارتقاء الإنساني الحضاري، وذلك عن طريق دراساته التي ترمي إلى زعزعة كل ما يمتُّ إلى الدين والأخلاق بصلة؛ حيثُ اتخذ من مشروعه العلمي المزعوم صرحًا فكريًّا متنوِّعًا، يُوهِمُ به صحَّةَ أساسَيْه الفاسدينِ الموضوعين في خطة تضليل العالم منذ البداية.

موقفُه كان مبهمًا ومعتمًا؛ إذ توجدُ ازدواجيةٌ ظاهرةٌ بين الانتماء الكامل لليهودية، بل والصهيونية، وتأكيد أهمية هذا الانتماء والتباهي به من جهة، والإنكار الكامل، وتأكيد الانتماء للحضارة الغربية الحديثة ولنماذجها التفسيرية المادية، من جهة أخرى.

المسيري لا يُنكر هذا الانتماء؛ إذ يُقرِّر أنَّ فرويد كان يربطُ بين التَّحليل النَّفسي ودينه اليهودي، ويعتبر أنَّ المقاومةَ التي لاقاها التحليل النفسي كانت على حدِّ اعتباره جزءًا من رفض الحضارة الغربيَّة لكل ما هو يهودي

ومن أفضل الدراسات التي تناولت شخصية فرويد: دراسة صبري جرجس، فقد أثبتت دراستهُ أنَّ فرويد يهوديٌّ متعصِّبٌ ليهوديته، وأنه صديق حميم وجار ومشرف على علاج ابن اليهودي الصهيوني "تيودور هرتزل" مؤسِّس الصهونية الحديثة، وأنَّ التحليلات النفسية التي أبرزها تحت ستار الدراسة العلمية المتجرِّدة، إنما صاغها على الوجه الذي قدَّمها به؛ ليَخدُم القضيةَ اليهوديةَ الصهيونيةَ في العالم، وأمَّا عن إلحاده الظاهري الذي أبرزه للعالم، فلم يكن إلا زيفًا يخدع به المنتمين إلى غير دين اليهودية؛ حتَّى يتخلَّوْا عن أديانهم فيكونوا ملحدين، وهو في حقيقة الأمر لم يتخلَّ في يوم من الأيام عن يهوديَّته، بل الذي يلاحظ دراساته ويتأمَّلها يجد التعصُّب ظاهرًا، وخاصَّة في الأبحاث التي وصل إليها في آخر حياته، وهذا يدلُّنا على انتمائه الصِّهْيَوْني الذي يجعله يقدِّم له خدْمات قيِّمة في مجال البحث العلمي المتجرِّد المزعوم الذي يخدم الصهيونية.

وأوضح جرجس أنَّ هذا غرض فرويد في كثير من دراساته وأبحاثه؛ ما يجعلها تتَّسم بالشك والريبة، أو الجزم بأنها إنما وضعها لخدمة أغراض اليهودية العالمية، ولم يضعها على أساس دراسات علمية متجرِّدة، ثم حملَت الدعايات اليهودية العالمية آراءه، وروَّجتْ لها في جميع الأوساط العلمية والثقافية، ثم وَضَعَ اليهودُ كلَّ ثقلهم الكيدي في العالم لجعل آراء " فرويد " معارف علمية تُدرَّسُ في كافَّة الجامعات العالميَّة، على أنّها فتحٌ عظيمٌ في ميادين العلم، وذلك ضمن الخطط اليهودية المرسومة ضد شعوب العالم، ولمصلحة الشعب اليهودي فقط.

تقول شويزي وهي محلِّلة نفسية من خاصة "فرويد"، وذات معرفة به وصلة وثيقة –: "إن إلحاد فرويد لم يكن إلا إلحادًا زائفًا؛ لأنه تركه بعد ذلك، متشبِّثًا باليهودية الصهيونية، وفيًّا لها، سائرًا في طريقها، منفِّذًا لمخططاتها".

أنّ الموروث الديني اليهودي كان المؤثّر الوحيد بلا منازع في طبيعة استنتاجاته وأبحاثه ونظرياته، التي غرضها الأساس إخراج اليهود من المعزل الذي أُبعدوا فيه ردحًا من الزمن رغم وجودهم داخل المجتمع الأوروبي المسيحي المتحضر ومحاولة تفكيكه

قد اتّخذ من علم النفس التحليلي قاعدةً مهمةً في إرساء أفكاره الهدّامة، التي من أهدافها الإلحاد بالله، وإنكار الغيبيات، واعتبار الإنسان ظاهرة مادية فقط

من خلال هذا التحيُّز الواضح، يتبيَّن لنا أنَّ "فرويد" لم يلتزم بالنَّزاهة والموضعية العلْمية، ولم يَكُن متجرِّدًا عن انتمائه الديني، بل كانت دوافعُه القضاءَ على الدين، وتجريم القيم الأخلاقية، وطمس معالم الارتقاء الإنساني الحضاري

من أفضل الدراسات التي تناولت شخصية فرويد: دراسة صبري جرجس، فقد أثبتت دراستهُ أنَّ فرويد يهوديٌّ متعصِّبٌ ليهوديته، وأنه صديق حميم وجار ومشرف على علاج ابن اليهودي الصهيوني "تيودور هرتزل" مؤسِّس الصهيونية الحديثة

من خلال هذا العرض والتحليل البسيط تتجلى لنا تعصب فرويد ليهوديتة بوضوح؛ حيث استطاع من خلالها التَّأثير في عقول الكثير من الجماهير العالمية، وخاصَّة المثقَّفة منها، وذلك بواسطة أفكاره ومشروعه الحضاريين المزعومين، ولم يَسْلم منها حتَّى مجتمعنا، الذي لم يزل يتلقَّى جسدُه الضربات الموجِعة، والهجمات العنيفة، التي تحاول إسقاطه وجعله في الحضيض، وقد بدَتْ مظاهرُ التأثير الفرويدي واضحةً في المجتمعات الإسلامية، تمثَّلت في محاولة طمْس العقائد، وإنكار الدين والغيبيَّات، والتشكيك في الأصول والثوابت الدينية، وتشجيع الإلحاد، وجعل المادة هي الحقيقة المطلقة، بالإضافة إلى تسخيف المبادئ والقيم، وجرِّ المجتمع إلى الفوضى الأخلاقية التي تجعله لا يختلف عن المجتمعات الحيوانية؛ فمظاهر التَّفسُّخ والفساد استشرت، وثقافة الجنس والعري انتشرت، واتخذ أصحاب الأهواء والعاملون على شاكلتهم من الفكر الفرويدي جسرًا يصلون به إلى مآربهم، ويحقِّقون به طموحاتهم؛ حيث احتلُّوا أماكن هامَّة، ووصلوا إلى مراكز حسَّاسة في المجتمع وأضْحَوا هم المؤثِّرين، وأصحاب القرار والنُّفوذ، والذي يتحمَّل كل هذه التبعات والأخطار هي الأجيال الصَّاعدة المعوَّل عليها في انتشال الأمة من دركات الانحلال والتخلُّف والفساد، وهذا ما يُلاحظ في مناهجنا التعليمية المستوردة التي يتربَّى عليها أبناؤنا، وهذا يُنبئ بخطر عظيم، وهولٍ جسيم، إن لم تيدارك.

شارك في المراجعة:

- د. صبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه – فرنسا
- ا. د. صبا غلي – سوريا

## Christian Wolf كرستيان فولف

كرستيان فولف Christian Wolf (1679– 1754) احد برز العلماء الالمان وأول من قال بعلم نفس الملَكات، ونسقه الفكري جماع الأفكار التي كانت سائدة في أوروبا في زمنه، إلا أنه بلور وحدد مفاهيم هذا العلم، والكثير من مصطلحاته ما يزال يجري القول به، وإن كان مفهوم الملكات العقلية قد صار من المفاهيم البالية. وعلى ذلك فإن فولف قد لا يعد من كبار علماء النفس، إلا أن تأثيره على كنط Immanuel Kant كان عظيماً، وقد أنقذه ذلك من النسيان، وامتدحه كنط على دقته في صياغة المفاهيم، وتعمقه لموضوعاته، وسلوكه الطريق العلمي السليم من خلال التحديد المنظم والواضح للمعاني.

وفولف تعلم في جامعات يينا Friedrich–Schiller–Universität Jena ولايبتسغ Universität Leipzig، وعلم في هالّه University of Halle–Wittenberg ، وكانت له علاقة وثيقة بلايبنتس حتى قيل إن نسقه الفكري هو نسق لايبنتس Leibnütz نفسه بلغة سهلة يستطيع أبسط الناس فهمها. وربما لم يكن لفولف نسق وحده فعلاً، وربما كان مذهبه جماع الأفكار السائدة. واشتهر بكتابين هما "علم النفس التجريبي Psychologia Empirica " (1732)، وعلم النفس العقلي "Psychologia Rationalis (1734)، والكتابان يكملان بعضهما، فقد كان يرى أن علم النفس العقلي علم نظري يبحث في الأمور الممكنة التي يمكن أن تتطرق إليها الملكات

كرستيان فولف Christian Wolf ((1679– 1754 احد برز العلماء الالمان وأول من قال بعلم نفس الملَكات، ونسقه الفكري جماع الأفكار التي كانت سائدة في أوروبا في زمنه

اشتهر بكتابين هما "علم النفس التجريبي Psychologia Empirica " (1732)، وعلم النفس العقلي Psychologia Rationalis" (1734

العقلية، بدعوى أن العقل له قدرات أو ملكات كالإدراك والتذكر والتخيل، الخ، وأنه يستطيع أن يستنبط بقدراته المبادئ التي تتم بها الظواهر النفسية، بينما علم النفس التجريبي علم عملي، ومنهج تجريبي، ومهمته أن يثبت بالتجربة صحة المبادئ التي استخلصها العقل.

وكان يقول إن العلاقة بين علم النفس التجريبي وعلم النفس النظري كالعلاقة بين الفيزياء التجريبية والفيزياء النظرية، ويقول إن علم النفس النظري يعتمد على التنظير أكثر من التجريب، بينما علم النفس التجريبي يقوم على التجريب أكثر منه على التنظير. والنفس هي موضوع نظر علم النفس العقلي،بينما موضوع علم النفس التجريبي هو الإنسان باعتباره عقلاً وجسماً، أو نفساً ومادةً. ويقول مثل لايبنتس Gottfried Wilhelm Leibniz إن نتائج التجريب لا تكون واضحة، والتنظير هو الذي يوضحها ويجلوها، ويقول إن علم النفس العقلي يستخدم العقل، وعلم النفس التجريبي موضوعه الأحاسيس. والأفكار التي تتولد عن الأحاسيس عادة مبهمة لم تتبلور، والعقل هو الذي يصفيها ويبلورها. ولعل هذا التقسيم لعلم النفس إلى نظري وعملي كان إرهاصاً تنبؤياً من فولف بما سيؤول إليه الحال مستقبلاً، فقد كان من علماء النفس من كان يقدّم التنظير على التجريب حتى مجيء لوك والارتباطيين، فرجحت كفة التجريب، وصار علم النفس التجريبي هو الاتجاه لا العلمي السائد في مجال البحوث النفسية.

كان يرى أن علم النفس العقلي علم نظري يبحث في الأمور الممكنة التي يمكن أن تتطرق إليها الملكات العقلية، بدعوى أن العقل له قدرات أو ملكات كالإدراك والتذكر والتخيل، الخ، وأنه يستطيع أن يستنبط بقدراته المبادئ التي تتم بها الظواهر النفسية

علم النفس التجريبي علم عملي، ومنهج تجريبي، ومهمته أن يثبت بالتجربة صحة المبادئ التي استخلصها العقل

النفس هي موضوع نظر علم النفس العقلي،بينما موضوع علم النفس التجريبي هو الإنسان باعتباره عقلاً وجسماً، أو نفساً ومادةً.

شارك في المراجعة:
• د. صبة الكردي – المانيا

## Wilhelm Wundt فيلهلم فونت

فيلهلم فونت Wilhelm Wundt (1832– 1920) ألماني، طبيب وعالم فيزيائي وفيلسوف، يُعرف كواحد من مؤسسي علم النفس الحديث. وهو الذي ميز علم النفس كعلم من الفلسفة والبيولوجيا. ويعتبر والد علم النفس التجريبي. أسس أول مختبر رسمي للبحوث النفسية في جامعة لايبزيغ Universität Leipzig في عام 1879. برز علم النفس كحقل مستقل للدراسة. من خلال إنشاء هذا المختبر، تمكن من إثبات علم النفس كعلم منفصل عن المجالات الأخرى. وشكل أول مجلة أكاديمية للبحوث النفسية وهي الدراسات الفلسفية (من عام 1881 إلى 1902)، والتي أُنشئت لنشر أبحاث المعهد.

وفونت واضع أكبر المراجع في تاريخه وهو كتابه الجامع مبادئ علم النفس الفزيولوجي، ويقع في ثلاثة مجلدات (1873– 1974)، واهتم فيه بأن يوضح ويحدد مبادئ وطرق وأهداف هذا العلم.

وُلد فونت في نيكاراو في بادن Baden عام 1832، وهو الطفل الرابع لواليه .درس فونت من 1851 إلى 1856 في جامعة توبنغن University of Tübingen وفي جامعة هايدلبرغ Heidelberg University وفي جامعة برلين Universität Berlin.

بعد تخرجه طبيبا من هايدلبرغ 1856. كتب مساهمات في نظرية الإدراك الحسي (1858–1862). في عام 1864 أصبح أستاذا مساعدا

**فيلهلم فونت Wilhelm Wundt ((1832- 1920 ألماني، طبيب وعالم فيزيائي وفيلسوف، يُعرف كواحد من مؤسسي علم النفس الحديث. وهو الذي ميز علم النفس كعلم من الفلسفة والبيولوجيا. ويعتبر والد علم النفس التجريبي**

**في جامعة لايبزيغ Universität Leipzig في عام 1879. برز علم النفس كحقل مستقل للدراسة. من خلال إنشاء هذا المختبر، تمكن من إثبات علم النفس كعلم منفصل عن المجالات الأخرى**

للأنثروبولوجيا وعلم النفس الطبي.. ونشر كتابا عن فزيولوجيا الإنسان. ومع ذلك فإن اهتمامه الرئيسي، وفقًا لمحاضراته وفصوله، كان أكثر لعلم النفس. نُشرت محاضراته عن علم النفس كمحاضرات في علم نفس الإنسان والحيوان في 1863–1864.

أصبح أحد أهم الأعماله في تاريخ علم النفس، "مبادئ علم النفس الفزيولوجي" في عام 1874. وكان أول كتاب يتعلق بمجال علم النفس التجريبي.

التقى فونت "صوفي ماو" (1844–1912) بالقرب من هايدلبرغ في عام 1867. تزوجا في 14 أغسطس 1872 في كييل Kiel. للزوجين ثلاثة أطفال: إليانور التي أصبحت مساعدةً لأبيها ولويز, وماكس وندت، الذي أصبح أستاذًا للفلسفة.

رُقي فونت إلى أستاذ الفلسفة الاستقرائية في زيورخ عام 1875، أصبح أستاذًا للفلسفة في جامعة لايبزغ Universität Leipzig عام 1875، حيث بدأ كل من إرنست هينريخ فيبر (1795– Ernst Heinrich Weber 1878) وغوستاف ثيودور فخنر (1801–1887 Gustav Fechner) بحثًا في علم النفس الحسي والفيزياء النفسية، إذ طور غوتفريد فيلهلم ليبنيز Gottfried Wilhelm Leibniz قبل قرنين من الزمن فلسفته وعلم النفس النظري مما أثر بشدة على نهج فونت الفكري. كان إعجاب فونت بإرنست هينريخ فيبر Ernst Heinrich Weber واضحًا من مذكراته إذ أعلن أنه ينبغي اعتبار فيبر والد علم النفس التجريبي: "أود أن أسمي فيبر والد علم النفس التجريبي , و كان لفيبر مساهمة عظيمة في قياس الكميات النفسية ولإظهار العلاقات الدقيقة بينهم، ليكون أول من يفهم هذا وينفذه."

افتتح فونت أول مختبر خُصص للدراسات النفسية في جامعة لايبزيغ Leipzig عام 1879، وشكل هذا الحدث الميلاد الرسمي لعلم النفس كحقل

**وفونت واضع أكبر المراجع في تاريخه وهو كتابه الجامع مبادئ علم النفس الفزيولوجي، ويقع في ثلاثة مجلدات (1873 - 1974)، واهتم فيه بأن يوضح ويحدد مبادئ وطرق وأهداف هذا العلم**

**بعد تخرجه طبيبا من هايدلبرغ 1856. كتب مساهمات في نظرية الإدراك الحسي (1858-1862). في عام 1864 أصبح أستاذا مساعدا للأنثروبولوجيا وعلم النفس الطبي**

**أصبح أحد أهم الأعماله في تاريخ علم النفس، "مبادئ علم النفس الفزيولوجي" في عام 1874. وكان أول كتاب يتعلق بمجال علم النفس التجريبي.**

مستقل للدراسة. امتلأ المختبر الجديد بطلاب الدراسات العليا الذين أجروا أبحاثًا حول الموضوعات التي حددها فونت، وسرعان ما جذب العلماء الشباب من جميع أنحاء العالم الذين كانوا متلهفين للتعرف على العلوم الجديدة التي طورها فونت.خصصت جامعة لايبزيغ مختبر فونت لتخزين المعدات التي يحضرها من زيوريخ. وهذه السنة 1879 يذكرها كل طالب علم في مجال علم النفس، ويؤرخ بها لاستقلال علم النفس عن الفلسفة، وقد اتسعت تجارب مركز لايبتسغ، فشملت البصر والسمع، وزمن الرجع، والترابط. وواصل فونت في مختبره التجارب النفسية الفيزيائية على طريقة فخنر Gustav Fechner. و Wilhelm Wundt رغم أنه زامل هيلمهولتس Hermann Ludwig Ferdinand von Helmholtz لمدة ثلاث عشرة سنة وأخذ عنه اهتمامه بعلم الفزيولوجيا النفسية، إلا أنه تأثر أكثر ببحوث ومناهج الفيزياء النفسية عند فخنر وإن لم يتجه فها اتجاهه الميتافيزيقي.

وفونت كان يريد أن يقيم علم النفس على أسس تجريبية كالأسس التي للفيزياء وللفزيولوجيا، وهو يطلق على توجهاته اسم "علم النفس الفزيولوجي"، ويقصد به علم النفس التجريبي، على مبادئ شبيهة بمبادئ علم الفزيولوجيا. وقد أصدر مجلة دورية ينشر بحوثه وبحوث تلاميذه، وأطلق عليها اسم "الدراسات الفلسفية" (1881) فقد كان يعتبر نفسه فيلسوفاً، وله في الفلسفة والمنطق والأخلاق كتب مرجعية.

ورغم أنه كان ينشد إقامة علم نفس تجريبي إلا أنه لم يكن يرى أن مفصله عن الفلسفة، وكان ينعى على الأمريكيين اتجاههم هذا الانفصالي، وقد جعل من أهدافه في دراسة علم النفس أن يتناول الموضوعات التي يتناولها الفلاسفة، وكان يرى أن مادة علم النفس هي حياة الفرد الشعورية، وأن الإحساسات هي نتاج الحس، وأنها تنقل التنبيهات من خلال السيال

ينبغي اعتبار فيبر والد علم النفس التجريبي: "أود أن أسمي فيبر والد علم النفس التجريبي ، و كان لفيبر مساهمة عظيمة في قياس الكميات النفسية ولإظهار العلاقات الدقيقة بينهم، ليكون أول من يفهم هذا وينفذه

وفونت كان يريد أن يقيم علم النفس على أسس تجريبية كالأسس التي للفيزياء وللفزيولوجيا، وهو يطلق على توجهاته اسم "علم النفس الفزيولوجي"، ويقصد به علم النفس التجريبي، على مبادئ شبيهة بمبادئ علم الفزيولوجيا

العصبي إلى اللحاء، وهي العناصر التي تصنع الخبرات، وأن الفزيولوجيا مناطها تفسير تكوين الإحساسات، بينما علم النفس مناطه وصف وتحليل الخبرة المباشرة.

ولقد كتب فونت في علم نفس الشعب Folk psychology، وكتابه هذا في عشرة مجلدات، ويناقش فيه مسائل من الثقافة العامة والتاريخ، ونشأة اللغة وتطورها. ودلالات الأسطورة، والدين، والفن، والمجتمع، والقانون، ومن رأيه أنه لا يمكن فهم طبيعة التفكير دون التطرق إلى هذه المسائل، وقد ترجم الكتاب إلى الإنكليزية باسم محاضرات في علم النفس الإنساني وعلم النفس الحيواني، ونشر سنة 1907.

كان فونت مسؤولا عن عدد استثنائي من رسائل الدكتوراه بين عامي 1875 و1919: أكثر من 184طالب دكتوراه من بينهم 70 أجنبيا (منهم 23 من روسيا وبولندا ودول أخرى من أوروبا الشرقية و18 منهم من أمريكا). أصبح العديد من طلابه علماء نفس بارزين. من بينهم: الألماني أوزوالد كولب Oswald Külpe (أستاذ بجامعة فورتسبورغ Universität Würzburg) وإرنست مومان Ernst Meumann (أستاذ في لايبزيغ وهامبورغ ورائد في علم النفس التربوي) وهوجو مونستربرغ Hugo Münsterberg أستاذ بجامعة فرايبورغ Universität Freiburg وجامعة هارفارد Harvard University ورائد في علم النفس التطبيقي) وويلي هيلباتش (معروفة في ألمانيا بعلم النفس الثقافي)..

من بين الأمريكيين المدرجين في القائمة جيمس مكين كاتيل James McKeen Cattell (أول أستاذ في علم النفس في الولايات المتحدة) وغرانفيل ستانلي هول Granville Stanley Hall (والد حركة علم نفس الطفل والباحث النظري لتطور المراهقين ورئيس جامعة كلارك Clark University) وتشارلز هوبارد جود Charles Hubbard Judd (مدير

قد جعل من أهدافه في دراسة علم النفس أن يتناول الموضوعات التي يتناولها الفلاسفة، وكان يرى أن مادة علم النفس هي حياة الفرد الشعورية، وأن الإحساسات هي نتاج الحس، وأنها تنتقل التنبيهات من خلال السيال العصبي إلى اللحاء

أن الفزيولوجيا مناطها تفسير تكوين الإحساسات، بينما علم النفس مناطه وصف وتحليل الخبرة المباشرة

كتب العديد لسيرة فونت لكن اجملها ما كتبته ابنته إليونور عام (1928)، وهي سيرة وافية رغم انها مختصرة ومعظم ما ورد هنا مأخوذ من السيرة التي كتبتها.

كلية التعليم في جامعة شيكاغو University of Chicago) ووالتر ديل سكوت Walter Dill Scott (الذي ساهم في تطوير علم النفس الصناعي وتدريسه في جامعة هارفارد Harvard University) وإدوارد برادفورد تيتشنر Edward Bradford Titchener ولايتنر ويتمر Lightner Witmer (مؤسس أول عيادة نفسية في بلده) وفرانك أنجل وإدوارد ويلر سكريبشر وجيمس مارك بالدوين James Mark Baldwin (أحد مؤسسي قسم علم النفس في جامعة برينستون Princeton University والذي قدم مساهمات مهمة في بداية علم النفس والطب النفسي ونظرية التطور).

كتب العديد لسيرة فونت لكن اجملها ما كتبته ابنته إليونور عام (1928)، وهي سيرة وافية رغم انها مختصرة ومعظم ما ورد هنا مأخوذ من السيرة التي كتبتها.

شارك في المراجعة:

• د. هبة الكردي – المانيا

## Ernst Heinrich Weber إرنست هاينريش فيبر

إرنست هاينريش فيبر Ernst Heinrich Weber (1795-1878) عالم ألماني من جيل الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس لعلم النفس أن يكون علماً موضوعياً تجريبياً

وُلد فيبر في بيئة أكاديمية، حيث كان والده أستاذًا في جامعة فيتنبرغ Wittenberg University. أصبح فيبر طبيبًا، متخصصًا في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء

إرنست هاينريش فيبر (Ernst Heinrich Weber 1795– 1878) عالم ألماني من جيل الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس لعلم النفس أن يكون علماً موضوعياً تجريبياً. درس الفزيولوجيا والتشريح بجامعة لايبتزغ Universität Leipzig ، وحضر عليه فخنر، وطور نتائجه، ومن ذلك قانونه المسمى قانون فيبر والذي صار يُطلق عليه من بعد قانون فيبر– فخنر.

وُلد فيبر في بيئة أكاديمية، حيث كان والده أستاذًا في جامعة فيتنبرغ Wittenberg University. أصبح فيبر طبيبًا، متخصصًا في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء. كان لشقيقيه الأصغر، فيلهلم وإدوارد، تأثيرٌ كبيرٌ في المجال الأكاديمي، حيث تخصص كلاهما في الفيزياء والتشريح. أصبح إرنست محاضرًا وأستاذًا في جامعة لايبزيغ Universität Leipzig ، وبقي فيها حتى تقاعده.

وُلِد إرنست عام 1795 في فيتنبرغ، ساكسونيا، الإمبراطورية الرومانية. كان ابنًا لمايكل فيبر، أستاذ اللاهوت في جامعة فيتنبرغ Wittenberg University. في سن مبكرة، أصبح فيبر مهتمًا بالفيزياء والعلوم بعد أن تأثر بشدة بإرنست كلادني Ernst Chladni ، وهو عالم فيزياء يُشار إليه غالبًا باسم "أبو الصوتيات". أكمل فيبر المدرسة الثانوية في مايسن وبدأ دراسة الطب في جامعة فيتنبرغ Wittenberg University عام 1811. ثم حصل على درجة الدكتوراه في الطب عام 1815 من جامعة

هاله University of Halle.

قضى مسيرته الأكاديمية بأكملها في جامعة لايبزيغ Universität Leipzig. أكمل تأهيله في عام 1817 وأصبح مساعدًا في العيادة الطبية في نفس العام. وأصبح أستاذًا للتشريح المقارن في عام 1818 ورئيسًا لقسم التشريح البشري في الجامعة في عام 1821 . جاءت أول مساهمة مباشرة له في علم النفس في عام 1834 عند محاولة وصف إحساس اللمس.. واصبح أستاذًا لعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح من عام 1840 إلى عام 1866، وعاد إلى منصب أستاذ التشريح من عام 1866 إلى عام 1871.

تجارب فيبر في مجال الإحساس، وفي محيط ما يسمى علاقة الظواهر النفسية بالتغيرات البدنية، كعلاقة الإدراك الحسي للتنبيه العضلي أو اللمسي أو السمعي أو البصري، وهي علاقة تصنع ما يسمى بعلم الفيزيقيات النفسية، أو علم النفس الفيزيائي Psychophysics.

وإسهام فيبر أنه استطاع قياس أقل نسبة يمكن أن يتغير بها المثير ويلاحظها الإدراك الحسي، فلو قارنا مثلاً بين عدة أثقال وجعلنا واحداً منها ثقلاً معيارياً تقاس إليه الأثقال الأخرى، فإن الإحساس العضلي بها سيفترق، وبإيجاد وزن الثقل الذي يفترق بأقل قدر بينه وبين الثقل المعياري، فإن هذا الوزن يكون هو العتبة الفارقة للثقل المعياري. وتسمى الزيادة في الوزن اللازمة لكي يدرك المفحوص الفرق بين الثقل المعياري والثقل المقارن بالقيمة العتبية الفارقة. وقانون فيبر هو هذه الصيغة: القيمة العتبية الفارقة تساوي مقداراً ثابتاً مضروباً في المثير المعياري. وهذا المقدار الثابت هو الذي اصطلح عليه باسم ثابت فيبر، وهو يساوي القيمة العتبية الفارقة مقسومة على المثير المعياري. ويختلف هذا الثابت باختلاف المثيرات. وفي المثيرات الحسية العضلية كما في التجربة السابقة يساوي 0.02 وفي حالة المثيرات الصوتية هو 0.33 وفي حالة المثيرات البصرية هو 0.16.

تجارب فيبر في مجال الإحساس، وفي محيط ما يسمى علاقة الظواهر النفسية بالتغيرات البدنية، كعلاقة الإدراك الحسي للتنبيه العضلي أو اللمسي أو السمعي أو البصري، وهي علاقة تصنع ما يسمى بعلم الفيزيقيات النفسية، أو علم النفس الفيزيائي Psychophysics

إسهام فيبر أنه استطاع قياس أقل نسبة يمكن أن يتغير بها المثير ويلاحظها الإدراك الحسي

تسمى الزيادة في الوزن اللازمة لكي يدرك المفحوص الفرق بين الثقل المعياري والثقل المقارن بالقيمة العتبية الفارقة.

ويُعتبر كتاب فيبر المنشور عام 1846 تحت عنوان "حاسة اللمس والحساسية العامة Tastsinn Gemeingefuhl" من أهم الكتب في تاريخ علم النفس، وهو الكتاب الذي نبه إليه وأعطاه مكان الصدارة في مجال التجريب النفسي. وتناول فيه فيبر الحساسية في كل مناطق الجسم، سواء سطح الجلد أو داخل الجسم، وشرح الإدراك الحسي على أساس من اجتماع الأحاسيس البسيطة وائتلافها، وقاس الازدواجية الحسية، أي الإحساس بموضعين على الجلد، تتباعد المسافة بينهما أو تتقارب، وأقل مسافة ممكنة يمكن الإحساس بالموضعين كموضعين، والفارق في ذلك بين مناطق الجسم المختلفة، ففي أطراف الأصابع يستشعر المفحوص بالمثيرين في موضعين إذا لم تقل المسافة بينهما عن 0.22 سم، بينما تكون هذه المسافة على جلد الظهر 0.6 و 4 سم. وفسر هذا الاختلاف بين مناطق الجسم بوجود ما سماه بالدوائر الحسية.

وقال بما سماه المعرفة الحسية التي تختزن نتيجة التجارب الحسية المتراكمة، والتي يتأثر بها الإدراك الحسي.

عمل وبير طوال معظم مسيرته المهنية مع شقيقه، فيلهلم Wilhelm Eduard Weber ، وشريكه غوستاف ثيودور فيشنر. Gustav Fechner وخلال هذه العلاقات العملية، أنجز وبير أبحاثًا في الجهاز العصبي المركزي، والجهاز السمعي، وتشريح ووظائف الدماغ، والدورة الدموية، وغيرها، بالإضافة إلى جزء كبير من أبحاثه في فسيولوجيا الحواس وعلم النفس.

غالبًا ما يُستشهد بفيبر باعتباره رائد أو أب علم النفس التجريبي. كان أول من أجرى تجارب نفسية حقيقية ذات صحة. بينما أجرى معظم علماء النفس في ذلك الوقت أعمالهم من خلف مكتب، كان فيبر يجري التجارب بنشاط، ويتلاعب بمتغير واحد فقط في كل مرة من أجل الحصول على نتائج أكثر

قانون فيبر هو هذه الصيغة: القيمة العتبية الفارقة تساوي مقداراً ثابتاً مضروباً في المثير المعياري. وهذا المقدار الثابت هو الذي اصطلح عليه باسم ثابت فيبر، وهو يساوي القيمة العتبية الفارقة مقسومة على المثير المعياري

يُعتبر كتاب فيبر المنشور عام 1846 تحت عنوان "حاسة اللمس والحساسية العامة Tastsinn Gemeingefuhl" من أهم الكتب في تاريخ علم النفس، وهو الكتاب الذي نبه إليه وأعطاه مكان الصدارة في مجال التجريب النفسي

قال بما سماه المعرفة الحسية التي تختزن نتيجة التجارب الحسية المتراكمة، والتي يتأثر بها الإدراك الحسي

دقة. مهد هذا الطريق لمجال علم النفس كعلم تجريبي وفتح الطريق لتطوير أساليب بحث أكثر دقة .

في أواخر حياته، قلّ اهتمامه بالاختبارات والتجارب، مع أنه ظلّ مهتمًا بعلم وظائف الأعضاء الحسية. تقاعد من جامعة لايبزيغ عام 1871. وواصل العمل مع شقيقه إدوارد، توفي إرنست فيبر عام 1878 في لايبزيغ، ألمانيا.

غالبًا ما يُستشهد بفيبر باعتباره رائد أو أب علم النفس التجريبي. كان أول من أجرى تجارب نفسية حقيقية ذات صحة

غالبًا ما يُستشهد بفيبر باعتباره رائد أو أب علم النفس التجريبي. كان أول من أجرى تجارب نفسية حقيقية ذات صحة إرنست هاينريش فيبر Ernst Heinrich Weber (1795-1878) عالم ألماني من جيل الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس لعلم النفس أن يكون علماً موضوعياً تجريبياً

شارك في المراجعة:

• د. صبة الكردي – المانيا

## Max Wertheimer ماكس فيرتايمر

ماكس فيرتايمر Max Wertheimer ((1880- 1943 ألماني، مؤسس علم نفس الغشطلت Gestalt Psychologie، درس القانون ثم اتجه إلى علم النفس والفلسفة، وكان يهودياً متعصباً، وأصدقاؤه كلهم من اليهود، وكان على اتصال بأينشتاين Albert Einstein، وجمعتهما معاً محبة الموسيقى.

ولد ماكس فيرتهايمر في براغ، أواخر القرن التاسع عشر. كان والده مُعلّمًا ومديرًا لمدرسة محلية. كان لدى فيرتهايمر اهتمام مبكر بالموسيقى، ولكنه انبهر أيضًا بالفلسفة. درس القانون في الجامعة، لكنه سرعان ما انتقل إلى الفلسفة وعلم النفس. اهتم بعلم النفس ودرس على يد كارل شتومبف Carl Stumpf في جامعة برلين University of Berlin وفي عام 1904، تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى وحصل على درجة الدكتوراه باشراف Oswald Rudolph Külpe من جامعة فورتسبورغ Universität Würzburg.

ثم بدأ مسيرته الفكرية بالتدريس في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت . غادر فرانكفورت لفترة وجيزة للعمل في معهد برلين لعلم النفس، لكنه عاد عام 1929 أستاذًا متفرغًا.

انضم ويرثيمر في النهاية إلى هيئة التدريس في جامعة ذا نيو سكول New School University The نيويورك، وهو المنصب الذي شغله حتى

ماكس فيرتايمر Max Wertheimer ((1880- 1943 ألماني، مؤسس علم نفس الغشطلت Gestalt Psychologie، درس القانون ثم اتجه إلى علم النفس والفلسفة، وكان يهودياً متعصباً، وأصدقاؤه كلهم من اليهود، وكان على اتصال بأينشتاين Albert Einstein، وجمعتهما معاً محبة الموسيقى.

وفاته. كان أحد باحثي فيرتايمر في مرحلة ما بعد الدكتوراه عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو Abraham Harold Maslow، الذي كان يُعجب فيرتايمر إعجابًا كبيرًا.

عمل ماكس بصحبة شخصيات بارزة مثل Carl Stumpf ، والمؤرخ والسياسي فريدريش شومان Friedrich Schumann ، وجورج إلياس مولر Georg Elias Müller ، والباحث الموسيقي وإريك فون هورنبوستل. Erich Moritz von Hornbostel .

وكان فيرتايمر بالإضافة إلى ذلك شاعراً، وهذه الميول الفنية هي التي دفعته إلى التفكير الغشطلتي، فكان شديد الاحتفال بصياغة العبارة، كما كان كثيراً ما يلجأ إلى الأمثلة بالتراكيب الموسيقية ليستدل بها على ما يريد تيسيره من مفاهيم الغشطلت في التركيب والتنظيم. وبعد فترة من حصوله على الدكتوراه من فيرتزبورغ Universität Würzburg ، عين أستاذاً لعلم النفس بجامعة فرانكفورت Frankfurt ، واستمر في هذا المنصب حتى عام 1933، عندما اضطر إلى الهجرة من ألمانيا إلى الولايات المتحدة، والتحق مدرساً بالمدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية بنيويورك، وكانت بداية مدرسة الغشطلت التي رأسها، مشاركاً كوفكا Kurt Koffka وكولر Wolfgang Köhler ، كحركة احتجاج ضد محاولات التركيبيين لتفسير الخبرات المركبة، بتحليلها إلى عناصرها المفردة. واستمر في العمل هناك على مدار العقد التالي. بفضل مساهمات فيرتهايمر في أقسام علم النفس، أصبحت المدرسة الجديدة من أبرز المدارس في علم النفس خلال أوائل القرن العشرين

بعد ملاحظة كيف تُولّد الأضواء الوامضة في محطة قطار وهم الحركة، ازداد اهتمام فيرتهايمر بدراسة الإدراك . أطلق على هذا الوهم الحركي اسم ظاهرة فاي، وهي المبدأ الذي تستند إليه الأفلام السينمائية.

**وُلد ماكس فيرتهايمر في براغ، أواخر القرن التاسع عشر. كان والده مُعلّمًا ومديرًا لمدرسة محلية. كان لدى فيرتهايمر اهتمام مبكر بالموسيقى، ولكنه انبهر أيضًا بالفلسفة. درس القانون في الجامعة، لكنه سرعان ما انتقل إلى الفلسفة وعلم النفس**

**بدأ مسيرته الفكرية بالتدريس في معهد البحوث الاجتماعية بجامعة فرانكفورت . غادر فرانكفورت لفترة وجيزة للعمل في معهد برلين لعلم النفس، لكنه عاد عام 1929 أستاذًا متفرغًا**

في معهد علم النفس بجامعة فرانكفورت، بدأ فيرتهايمر العمل مع مساعدَين هما فولفغانغ كولر وكورت كوفكا. أصبح الرجال الثلاثة زملاءً مدى الحياة، وأسسوا فيما بعد مدرسةً فكريةً تُعرف باسم علم النفس الغشطالتي.

أنكر فيرتايمر هذا المنهج الذري في التفسير، ودلل على أن الكثير من إدراكاتنا وخبراتنا لا يمكن النظر فيها إلا باعتباراتها ككل، دون ردها إلى أجزائها، فإن هذا الرد من شأنه تحطيم وحدتها، كما أن المعرفة بالأجزاء لا تعني الإحاطة بالكل الذي يتضمنها، فالماء مثلاً ليس هو نفسه الأوكسجين والهيدروجين اللذين يحتويهما ويتكون منهما.

ويؤكد أصحاب مدرسة الغشطلت أن بداية التنظير الغشطلتي كانت سنة 1912، عندما أعلن فيرتايمر نتائج تجاربه التي بدأها منذ سنة 1910، مستخدماً الستروسكوب، وأثبت بها أن عرض الأشياء بتتابع مريع يظهرها للرائي كما لو كانت تتحرك وراء بعضها البعض، وكانت ظاهرة الحركة Phi phenomenon التي كشفت عنها تجارب إدراك الحركة من الظواهر التي يستشهد باكتشافها في علم النفس، لأنها دللت على قصور وجهة النظر التي ترد الخبرة إلى عناصرها ولا تتعامل معها ككل.

ذهب فيرتايمر ومساعداه كوفكا وكولر، إلى انتقاد فروض التركيبيين الأخرى، كالقول بأن الأحاسيس هي عناصر الخبرة، وأن ترابطها يمكن فهمه من خلال قوانين الترابط.

ووصف فيرتايمر الإدراك بأنه عملية متكاملة، وتصدى بالشرح للأساس الفيزيائي للإدراك بنظرية إيزومورفية في النشاط المخي، بدعوى أن تنظيم الإدراك من عمليات المخ، وصاغ عدداً من مبادئ الغشطلت يشرح بها ديناميات التنميط الإدراكي، مثل الإغلاق وتجميع المتشابهات.

كان فيرتايمر بالإضافة إلى ذلك شاعراً، وهذه الميول الفنية هي التي دفعته إلى التفكير الغشطلتي، فكان شديد الاحتفال بصياغة العبارة، كما كان كثيراً ما يلجأ إلى الأمثلة بالتراكيب الموسيقية ليستدل بها على ما يريد تيسيره من مفاهيم الغشطلت في التركيب والتنظيم

في معهد علم النفس بجامعة فرانكفورت، بدأ فيرتهايمر العمل مع مساعدَين هما فولفغانغ كولر وكورت كوفكا. أصبح الرجال الثلاثة زملاءً مدى الحياة، وأسسوا فيما بعد مدرسةً فكريةً تُعرف باسم علم النفس الغشطالتي

زاد كولر Wolfgang Köhler من الشروح لنظرية فيرتايمر إلى تأثيرات الميل للتنظيم في مجال السلوك على أسس غشطلتية، ونشر ذلك في كتابه "التفكير المنتج Productive Thinking" الذي نشر بعد وفاته (1959)، وأعطى أهمية خاصة للميل إلى تجويد الشكل Pregnance الذي فهمه أساساً كنقلة من الشكل أو الغشطلت الفاسد إلى شكل أو غشطلت جيد.

باعتباره أحد المؤسسين الثلاثة لعلم النفس الغشطالتي، كان لويرثيمر تأثير هائل على تطوير علم النفس وكذلك على مجالات فرعية محددة بما في ذلك الإحساس والإدراك وعلم النفس التجريبي .

في عام 1946، كتب عالم النفس سولومون آش Solomon Asch أن "...فكر ماكس فيرتهايمر قد تغلغل في كل مجال تقريبًا من مجالات البحث النفسي، وترك أثرًا دائمًا في عقول علماء النفس وعملهم اليومي. وكانت العواقب بعيدة المدى في عمل العقود الثلاثة الماضية، ومن المرجح أن تتوسع في المستقبل".

نشأ علم النفس الغشطالتي جزئيًا كرد فعل على النظرية الذرية للمدرسة البنيوية. بخلاف البنيوية التي ركزت على تحليل العمليات العقلية إلى أصغر أجزاء ممكنة، اتخذ علم النفس الغشطالتي نهجًا شموليًا. ووفقًا لمفكري الغشطالتي، فإن الكل أكبر من مجموع أجزائه.

من هذه المدرسة الفكرية انبثقت مبادئ الغشطالت للتنظيم الإدراكي. تشرح هذه المجموعة من المبادئ الإدراكية كيفية تجميع الأشياء الصغيرة معًا لتكوين أشياء أكبر.

كان لماكس فيرتهايمر دورٌ هامٌ في التطور المبكر لعلم النفس. بالإضافة إلى تأسيسه مدرسةً فكريةً جديدةً في علم النفس ساهمت في فهمنا لكيفية عمل العقل، أثّر فيرتهايمر أيضًا على عددٍ لا يُحصى من المفكرين الآخرين الذين قدّموا مساهماتٍ جوهريةً في مجال علم النفس.

أنكر فيرتايمر هذا المنهج الذري في التفسير، ودلل على أن الكثير من إدراكاتنا وخبراتنا لا يمكن النظر فيها إلا باعتباراتها ككل، دون ردها إلى أجزائها، فإن هذا الرد من شأنه تحطيم وحدتها

أن المعرفة بالأجزاء لا تعني الإحاطة بالكل الذي يتضمنها، فالماء مثلاً ليس هو نفسه الأوكسجين والهيدروجين اللذين يحتويهما ويتكون منهما.

ووصف فيرتايمر الإدراك بأنه عملية متكاملة، وتصدى بالشرح للأساس الفيزيائي للإدراك بنظرية إيزومورفية في النشاط المخي، بدعوى أن تنظيم الإدراك من عمليات المخ

باعتباره أحد المؤسسين الثلاثة لعلم النفس الغشطالتي، كان لويرثيمر تأثير هائل على تطوير علم النفس وكذلك على مجالات فرعية محددة بما في ذلك الإحساس والإدراك وعلم النفس التجريبي

نشأ علم النفس الغشطالتي جزئيًا كرد فعل على النظرية الذرية للمدرسة البنيوية

اتخذ علم النفس الغشطالتي نهجًا شموليًا. ووفقًا لمفكري الغشطالتي، فإن الكل أكبر من مجموع أجزائه

كان لماكس فيرتهايمر دورٌ هامٌ في التطور المبكر لعلم النفس. بالإضافة إلى تأسيسه مدرسةً فكريةً جديدةً في علم النفس ساهمت في فهمنا لكيفية عمل العقل

عام 1923، أثناء التدريس في برلين ، تزوج فيرتايمر من آنا كارو ، ابنة طبيب، وأنجب منها أربعة أطفال: رودولف (الذي توفي في طفولته عام 1924)، وفالنتين (1925–1978)، ومايكل (1927–2022) وليز (مواليد 1928، ليزبيث روزا).

ن فيرتايمر، مايكل فيرتايمر، هو أيضًا عالم نفس مشهور وأستاذ فخري في جامعة كولورادو بولدر (University of Colorado (CU .

في 12 أكتوبر 1943، أصيب فيرتهايمر بانسداد شرياني تاجي مميت في منزله بنيويورك. حضر العديد من الأشخاص حفل تأبين أقيم تكريمًا له في مدرسة نيو سكول بعد أسابيع قليلة من وفاته، بمن فيهم العالم الشهير ألبرت أينشتاين.

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

# بيير باولو فيرجيريو الأكبر Pier Paolo Vergerio the Elder

بيير باولو فيرجيريو الأكبر Pier Paolo Vergerio the Elder (1370–1444)) معلم ايطالي, وفيلسوف و رجل دوله و مؤرخ و شاعر وقانوني، ولد في كابوديستريا في 23 يوليو 1370؛ وتوفي في بودابست في 8 يوليو 1444.

بصفته أحد الجيل الثالث من الإنسانيين الإيطاليين، تمتّع فيرجيريو بمسيرة مهنية محترمة كمترجم ومحرر ومؤلف، بينما خدم أيضًا بعضًا من أقوى رجال عصره. وهو ذو أهمية خاصة كإنساني كان لديه أيضًا التزام جاد بالكنيسة، وكواحد من الشخصيات الرئيسية في نشر الإنسانية الإيطالية في أوروبا الشرقية والوسطى. (لا ينبغي الخلط بين بيير باولو فيرجيريو الأكبر والمصلح الديني الذي يحمل نفس الاسم في القرن السادس عشر، بيير باولو فيرجيريو الأصغر).

درس البلاغة في بادوفيا، والقانون الكنسي في فلورنسا (1387–1389) وفي بولونيا (1389–1390)؛ ودرّس المنطق في بادوفا وفلورنسا، وكان معلمًا لأمراء كارارا في بلاطهم في بادوفا. بعد عام 1406 نجده في روما سكرتيرًا لإنوسنت السابع وغريغوري الثاني عشر.

أصبح لاحقًا قسيسًا في رافينا وشارك في مجمع كونستانس عام 1414. وفي العام التالي كان أحد المندوبين الخمسة عشر الذين رافقوا الإمبراطور سيغيسموند إلى بربينيان ، حيث بُذلت محاولة لإقناع بنديكت الثالث عشر بالتخلي عن ادعاءاته.

بيير باولو فيرجيريو الأكبر Pier Paolo Vergerio the Elder (1370–1444) معلم ايطالي, وفيلسوف و رجل دوله و مؤرخ و شاعر وقانوني، ولد في كابوديستريا في 23 يوليو 1370؛ وتوفي في بودابست في 8 يوليو 1444

من عام 1417 حتى وفاته، كان سكرتيرًا للإمبراطور سيغيسموند. في يوليو 1420، كان الخطيب الرئيسي للحزب الكاثوليكي في مناظرة الهوسيين في براغ. ورغم أنه لم يتزوج ، وربما كان في رهبانيات ثانوية ، إلا أنه لم يكن كاهنًا.

ويعتبر اول من كتب في علم النفس التربوي, كتابه "عن سلوك السيد المهذب وعن الدراسات الحرة De Ingenuus Moribus et Liberalibus Studiis " حيث جعل اصل لهذا العلم , ووضع الملامح الاساسية له, وحرج به الى المتهج التربوي عن الاطار التقليدي للمناهج في العصور الوسطى الى متهج اوسع و اشمل وأضاف الى الدراسات الكلاسيكية سبع مواد جديدة يضع لها فيرجيربو اسم الدراسات الحرة, ويصفها بالخرة لأنها خروج على التقاليد المدرسية, ويقول بضرورة الاخذ بمناهج التربية البدنية, وعدم الاقتصار على المناهج الادبية , لان الانسان جسم وعقل, وليس من الحكمة تربية العقل والنفس من دون الجسم. والموازنة بين نوعي التربية مطلوبة.

ويدرج فيرجيريو ضمن المقررات الدراسية مواد الرياضيات والفلك والعلوم الطبية والقانون، والميتافيزيقا والدين. ولم يكن ينصح بالتعمق في الدراسة، وإنما كان يقول: التعليم تثقيف يقتضي الأخذ من كل شيء وليس الهدف تنشئة مواطنين موسوعيين، فالتعليم الموسوعي لم يكن من أهداف الحركة الإنسانية في التربية في العصور الوسطى.

ويطرح فيرجيريو الفكرة من هذه الدراسة الموسعة، وهي أن يعرف الطالب موضوعات العلم واستعداده لها وإقباله عليها، ثم يختار منها بعد ذلك ما يجب أن يتعمق به لو أراد. والتعليم ليس في الكتب وحدها، وإنما التعليم هو محاولة لتفهم الخبرات، والتعليق عليها، واستخلاص الحكمة منها، والتدريب على مواقف الحياة. ولا ينبغي أن يكون الهدف من التعليم خلق

درس البلاغة في بادوفيا، والقانون الكنسي في فلورنسا (1387-1389) وفي بولونيا (1389-1390)؛ ودرّس المنطق في بادوفا وفلورنسا، وكان معلمًا لأمراء كارارا في بلاطهم في بادوفا. بعد عام 1406 نجده في روما سكرتيرًا لإنوسنت السابع وغريغوري الثاني عشر

من عام 1417 حتى وفاته، كان سكرتيرًا للإمبراطور سيغيسموند. في يوليو 1420، كان الخطيب الرئيسي للحزب الكاثوليكي في مناظرة الهوسيين في براغ. ورغم أنه لم يتزوج ، وربما كان في رهبانيات ثانوية ، إلا أنه لم يكن كاهنًا

طبقة من الموظفين، أو احتراف المهن المربحة سعياً وراء المركز والمال، وإنما ينبغي أن يكون الهدف من التعليم الإنسان نفسه، بأن يكون على قدر من الخلق العالي، والثقافة الرفيعة، وأن يكون إنساناً اجتماعياً صالحاً.

في 3 مايو 1444 أملى وصيته وتوفي في بودابست في 8 يوليو 1444.وتم التعرف على بعض كتبه التي ورثها يوهانس فيتيز، في مكتبات أوروبية مختلفة عام 1984.

يعتبر اول من كتب في علم النفس التربوي, كتابه "عن سلوك السيد المهذب وعن الدراسات الحرة De Ingenuus Moribus et Liberalibus Studiis " حيث جعل اصل لهذا العلم , ووضع الملامح الاساسية له, وخرج به الى المنهج التربوي عن الاطار التقليدي

يقول بضرورة الاخذ بمناهج التربية البدنية, وعدم الاقتصار على المناهج الادبية , لان الانسان جسم وعقل, وليس من الحكمة تربية العقل والنفس من دون الجسم. والموازنة بين نوعي التربية مطلوبة

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافط - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

# فيتورينو رامبالدوني دا فيلتر Vittorino da Feltre

فيتورينو رامبالدوني دا فيلتر (1378 –1446) Vittorino da Feltre اسمه الاساسي (فيتوري دي رامبولديني) معلم إيطالي، معلمًا إيطاليًا, يُعتبرأعظم معلم إنساني في عصر النهضة .وصاحب أشهر مدرسة داخلية في إيطاليا في القرن الخامس عشر، وكان من أتباع غاسبارينو بارزيزا Gasparino Barzizza (1360 – 1431)وغوارينو فيرونيز Guarino Veronese (1374 –1460)، والثلاثة أبرز رجالات التربية في إيطاليا في تلك الفترة، ومدارسهم كانت نموذجاً للمدارس التي لا تعد للمهن أو الحرف ولكنها تهتم بتربية الخلق، وبالثقافة العامة والتأهيل للمكانة الاجتماعية المرموقة .

بعد عشرين عامًا من الدراسة والتدريس في جامعة بادوفا University of Padua، طُلب من دا فيلتر عام 1423 أن يصبح مُعلّمًا لأبناء عائلة غونزاغا، حكام مانتوفا .وافق على ذلك بشرط أن يُنشئ مدرسةً بعيدًا عن البلاط، وبالتالي عن النفوذ السياسي .

بالإضافة إلى تلاميذه الملكيين، التحق حوالي 70 طفلًا آخر بمدرسته La Giocosa ( المبتهج اوالمرح). كان من بينهم فتيان من عائلات نبيلة أخرى وفتيان فقراء اختيروا لمواهبهم.

و المدارس داخلية .. كانت الجامعات تتنكر لمناهجها ولا تعترف بها. ولبارزيزا Gasparino Barzizza كتاب مشهور في التربية "نظام التدريس

فيتورينو رامبالدوني دا فيلتر Vittorino da Feltre (1378 –1446) اسمه الاساسي (فيتوري دي رامبولديني) معلم إيطالي، معلمًا إيطاليًا, يُعتبرأعظم معلم إنساني في عصر النهضة .وصاحب أشهر مدرسة داخلية في إيطاليا في القرن الخامس عشر

والدراسة "De Ordini Docendi et Studendi يقسم فيه مراحل التعليم إلى ثلاث: المرحلة الابتدائية أو الأساسية، والمرحلة المتوسطة أو الأجرومية، ثم المرحلة الثانوية أو العالية. وتدرس اللغات القديمة في المرحلة المتوسطة، وأما البلاغة فتدرس في المرحلة الثانوية. ويولى الطالب في كل المراحل بتهذيبه أخلاقياً وبدنياً وعقلياً، بدون أن يكون القصد من ذلك استجلاب منفعة أو تدريب مهارة لمنفعة .

وأما مدرسة دا فيلتر فكان لها نفس الخطوط مع تميز خاص، فقد كان التعليم فيها مقصوراً على الأذكياء وحدهم، ولم يكن دا فيلتر يشترط الغنى للالتحاق بها، وكان هدفه إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المحبين للعلم لكي يتعلموه على أيدي نخبة من الأساتذة، وأطلق دا فيلتر اسم "مدرسة المرح La Giocosa" على مدرسته لكي يزيل ما علق عن المدارس من أفكار تجعل الأطفال يكرهونها. وكانت المدرسة تؤكد على تعليم الرياضيات بطريقة مشجعة بواسطة الألعاب .

وبعد أن يكمل الطلبة المنهج الثلاثي (النحو والبلاغة والمنطق)، ثم المنهج الرباعي (الهندسة والحساب والموسيقى والفلك) تكون الفلسفة هي الموضوع أو المحطة الأخيرة في الدراسة. وبعد الانتهاء من هذه المقررات يمكن للطالب أن يدخل الجامعة ويتخصص في الطب أو القانون أو الفلسفة أو الدين .

والدراسة باللغة اللاتينية إلا في المرحلة الثانية فتضاف اللغة اليونانية. ويولي دا فيلتر اهتماماً كبيراً بالترفيه والتربية البدنية، ويخصص الصيف لرحلات إلى البحيرات والجبال. وفلسفة دا فيلتر التربوية أساسها تديّنه وأخلاقه العالية. وطبعت شخصيته المناهج، وكان لطيفاً مع تلاميذه. ولم يقيض للمدرسة أن تستمر بعده فقد كانت مرتبطة بشهرته التي أساسها شخصية .

بعد عشرين عامًا من الدراسة والتدريس في جامعة بادوفا University of Padua ، طُلب من دا فيلتر عام 1423 أن يصبح مُعلّمًا لأبناء عائلة غونزاغا، حكام مانتوفا . وافق على ذلك بشرط أن يُنشئ مدرسةً بعيدًا عن البلاط، وبالتالي عن النفوذ السياسي

أما مدرسة دا فيلتر فكان لها نفس الخطوط مع تميز خاص، فقد كان التعليم فيها مقصوراً على الأذكياء وحدهم، ولم يكن دا فيلتر يشترط الغنى للالتحاق بها، وكان هدفه إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المحبين للعلم لكي يتعلموه على أيدي نخبة من الأساتذة

دا فيلتر رأى في التعليم سبيلاً إلى الحياة المسيحية. وقد صوره تلاميذه كمعلم ناجح يحبهم، ويهتم بصحتهم وشخصيتهم، ويكيف أساليبه مع قدراتهم. علاوة على ذلك، لم يستخدم العقاب البدني . وربما كانت La Giocosa أول مدرسة داخلية في أوروبا للطلاب الأصغر سناً.

لم يقم دا فيلتر بتعليم الحكام الإيطاليين المستقبليين والرجال المحترفين فحسب، بل قام أيضًا بتعليم العديد من العلماء اللاتينيين واليونانيين الذين جاءوا إليه من الشرق – وبالتالي تعزيز ترجمة المخطوطات اليونانية التي ساهمت في إلهام عصر النهضة.

أطلق دا فيلتر اسم "مدرسة المرح La Giocosa" على مدرسته لكي يزيل ما علق عن المدارس من أفكار تجعل الأطفال يكرهونها

يولي دا فيلتر اهتماماً كبيراً بالترفيه والتربية البدنية، ويخصص الصيف لرحلات إلى البحيرات والجبال.

فلسفة دا فيلتر التربوية أساسها تدينّه وأخلاقه العالية. وطبعت شخصيته المناهج، وكان لطيفاً مع تلاميذه. ولم يقيض للمدرسة أن تستمر بعده فقد كانت مرتبطة بشهرته التي أساسها شخصية

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافه - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

## Juan Luis Vivesجوان لويس فيفيس

جوان لويس فيفيس Juan Luis Vives ((1492- 1540
أسباني المولد عالمي الثقافة، يُعتبر أول من قال بعلم نفس تجريبي، وأفكاره في علم النفس التعليمي تسبق عصره وعمره، وكانت مؤلفاته مراجع عالمية

عاش فيفيس في فترة تاريخية عصيبة. وُلد عام 1492، بعد عام الى عامين من تكثيف محاكم التفتيش الإسبانية جهودها بسبب المراسيم الملكية التي تأمر اليهود والمسلمين باعتناق الكاثوليكية

جوان لويس فيفيس (1492– 1540) Juan Luis Vives أسباني المولد عالمي الثقافة، يُعتبر أول من قال بعلم نفس تجريبي، وأفكاره في علم النفس التعليمي تسبق عصره وعمره، وكانت مؤلفاته مراجع عالمية.

عاش فيفيس في فترة تاريخية عصيبة. وُلد عام 1492، بعد عام الى عامين من تكثيف محاكم التفتيش الإسبانية جهودها بسبب المراسيم الملكية التي تأمر اليهود والمسلمين باعتناق الكاثوليكية. وسرعان ما تعرضت عائلته للاضطهاد بسبب معتقداتها الدينية، حيث أُعدم والده وجدته وجده وأفراد آخرون من عائلته الممتدة .

في عام 1509، غادر فيفيس إسبانيا إلى باريس وبدأ تعليمه الأكاديمي الرسمي، حيث تعرف على الأوساط الإنسانية الباريسية. وبحلول عام 1514، غادر باريس واستقر في بروج، حيث قضى معظم حياته، متنقلاً بين هولندا وإنكلترا.

بدأ تأثيره على العالم يظهر في عام 1518، مع نشر Fabula de homine"حكاية عن الإنسان". قدمت لمحة عن آرائه المتطورة حول طبيعة البشرية وهدفها .

واصل فيفس النشر حتى وفاته عام 1540، وكان آخر أعماله "De veritate fidei Christianae" (حول حقيقة الإيمان المسيحي) نشر بعد وفاته عام 1543. في علم وظائف الأعضاء، انتشرت شهرته بعد

نشر) "De anima et vita libri tres" ثلاثة كتب عن الروح والحياة) عام 1538. في هذا العمل، ناقش ترابط الأفكار وطبيعة الذاكرة وعلم نفس الحيوان والاستقراء كطريقة للاكتشاف النفسي. من خلال هذا العمل وأعماله الأخرى، طور فيفس أفكاره في علم النفس، مما أدى إلى آثار دائمة في هذا المجال لا نزال نشعر بها حتى اليوم.

يكتب لورينزو كاسيني في موسوعة ستانفورد للفلسفة: "من أبرز سمات دراسة فيفز للنفس البشرية الدور الجوهري الذي لعبه البحث النفسي في برنامجه الإصلاحي". ويضيف: "غالبًا ما يتفوق استخدامه للمبادئ النفسية في كتاباته على استخدام مؤلفين سابقين من حيث النطاق والتفصيل. فهو لا يطبق هذه المبادئ، على سبيل المثال، على السلوك الفردي والتعليم فحسب، بل يطبقها أيضًا على الممارسة المهنية والإصلاح الاجتماعي والشؤون العملية بشكل عام."

كان فيفيس أستاذاً بلوفان وأكسفورد، وكتب باللاتينية، وتأثر بإرازموس، وله في علم النفس والتربية "تعليم المرأة المسيحية De Institutione Feminae Christianae" (1523)و "الطريقة الصحيحة لتعليم الأطفال De Ratione Studii Puerilisط، (1523) و "مساعدة الفقراء De Subventione Pauperum"، (1526)، و "موضوعات الدراسة De Tradendis Disciplisis" (1531).

وكان أول علماء التربية الإنسانية المهتمين بالتعليم العام. وكان يرى أن الحكومة عليها أن ترعى التعليم وتوفره للجميع فهو حق مقدس للمواطن، وواجب النقابات الحرفية أن تسهم في الإنفاق على التعليم.

ولم يكن يحتقر التعليم المهني أو الحرفي، وكان يطالب بأن يقترن تعلم العلم بالممارسة، بتعلم حرفة أو مهنة، ويرى لذلك أن يزور التلاميذ المحلات والورش، ويقوموا برحلات إلى الأرياف ليروا الوضع على الطبيعة، ويعاينوا

في عام 1509، غادر فيفيس إسبانيا إلى باريس وبدأ تعليمه الأكاديمي الرسمي، حيث تعرف على الأوساط الإنسانية الباريسية

بدأ تأثيره على العالم يظهر في عام 1518، مع نشر Fabula de homine" حكاية عن الإنسان". قدمت لمحة عن آرائه المتطورة حول طبيعة البشرية وهدفها

من أبرز سمات دراسة فيفز للنفس البشرية الدور الجوهري الذي لعبه البحث النفسي في برنامجه الإصلاحي".

بأنفسهم مختلف الأعمال وما تتطلبه من مهارات، ويحتكوا بالناس، ويتعلموا الحياة والاجتماع .

ويتحدث فيفيس عن الأسس النفسية للتعلم، والتكوين النفسي والعقلي للطالب المتلقي للعلم، وما ينبغي أن توليه المناهج من الاعتبارات النفسية للطالب، وطرق التدريس وأساسياتها النفسية. ومنهجه وظيفي، أي أنه يهتم من الظاهرة النفسية بوظيفتها، وعلم النفس عنده هو علم وصفي وظيفي فزيولوجي. والنفس كما يقول مبدأ لكل النشاطات الفكرية، ومكانها الدماغ، أما القلب فهو مصدر الطاقة الحيوية للجسم، ومركز الانفعالات والعواطف .

وكل نشاط عقلي أو انفعال نفسي هو أصلاً إحساس. والنفس أقسام، فهناك النفس الحساسة وهي مجموع النشاط الحسي للفرد، والنفس النامية وتتولد بقوة المادة، والنفس العاقلة وهي نفعل في المادة وتؤثر فيها، ومن ثم لا يمكن أن تكون مادية .

وأفكار فيفيس ملتبسة أحياناً، ومع ذلك كانت لها ردود فعل كبيرة وأثر هائل في تكوين النظريات النفسية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، واعترف ديكارت بفضل فيفيس عليه وأشاد به .

وباعتباره أول باحث يقوم بتحليل النفس بشكل مباشر، فكان لعمله تأثير على الآخرين، ومنهم:

•فيليب ميلانشثون، عالم لاهوت ألماني، ومصمم نظام تعليمي مؤثر.

•خوان هوارتي دي سان خوان، طبيب وعالم نفس إسباني أسس العديد من الأعمال المبكرة في علم النفس.

•روبرت بيرتون كاتب إنجليزي اشتهر بكتابه الشامل "تشريح الاكتئاب."

•رينيه ديكارت هو فيلسوف وعالم ورياضي فرنسي، يُعتبر على نطاق واسع قائدًا في ظهور الفلسفة والعلوم الحديثة.

غالبًا ما يتفوق استخدامه للمبادئ النفسية في كتاباته على استخدام مؤلفين سابقين من حيث النطاق والتفصيل

كان أول علماء التربية الإنسانية المهتمين بالتعليم العام. وكان يرى أن الحكومة عليها أن ترعى التعليم وتوفره للجميع فهو حق مقدس للمواطن

لم يكن يحتقر التعليم المهني أو الحرفي، وكان يطالب بأن يقترن تعلم العلم بالممارسة، بتعلم حرفة أو مهنة

النفس أقسام، فهناك النفس الحساسة وهي مجموع النشاط الحسي للفرد، والنفس النامية وتتولد بقوة المادة، والنفس العاقلة وهي نفعل في المادة وتؤثر فيها، ومن ثم لا يمكن أن تكون مادية

لا يزال فيفيس يُكرّم حتى اليوم كمعلّم وباحث وفيلسوف ورائد بارز في علم النفس .

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافط - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

## ساندور فيرينزي Sandor Ferenczi

ساندور فيرينزي Sandor Ferenczi (1873– 1933) طبيب أعصاب وطبيب نفسي ومحلل نفسي. ولد ساندور فيرينزي ونشأ في ميسكولك ، على الرغم من أن عائلته لها جذور في غاليسيا . كان والده، بيرنات (باروخ) فرانكل، الذي غير اسم العائلة إلى فيرينزي في عام 1879، يدير مكتبة ودار نشر معروفة .

تخرج فيرينزي من كلية الطب بجامعة فيينا واستقر في بودابست في عام 1895. وهناك عمل كطبيب في العديد من المستشفيات، وافتتح عيادة جراحية خاصة في عام 1900. كطبيب، طور فيرينزي أفكارًا تجاوزت التفكير البيولوجي والطبي السائد والإيجابي والاختزالي في عصره، وسعى إلى تفسيرات فلسفية ونفسية لـ "أسرار" الحياة والمادة، وكذلك للظواهر اللاواعية. في عام 1903، افتتح عيادة عصبية في العيادة الخارجية لجمعية التأمين الصحي للعمال.

تعرف على التحليل النفسي من خلال علاقات شخصية وعلمية. زار سيغموند فرويد لأول مرة عام 1908، وأصبح لاحقًا من أتباعه المخلصين. كوّن صداقة دامت معه طوال حياته، حيث تبادل معه المراسلات لمدة 25 عامًا. تُعدّ مراسلاتهما مصدرًا ثريًا لدراسة تاريخ التحليل النفسي. رافق فيرينزي فرويد – كما فعل كارل غوستاف يونغ – في جولته الأمريكية لإلقاء المحاضرات عام 1909. لعب دورًا محوريًا في حركة التحليل النفسي من

**ساندور فيرينزي**
Sandor Ferenczi
((1873- 1933
**طبيب أعصاب وطبيب نفسي ومحلل نفسي**

تخرج فيرينزي من كلية الطب بجامعة فيينا واستقر في بودابست في عام 1895. وهناك عمل كطبيب في العديد من المستشفيات، وافتتح عيادة جراحية خاصة في عام 1900

خلال دوره في "اللجنة السرية" غير الرسمية التي أسسها فرويد عام 1912.

يصف فرويد مقالات فيرينزي في التحليل النفسي بأنها نتاج تفكير أستاذ ومعلم كبير. ويقول ايضا إن فيرينزي يجعلنا جميعاً تلاميذ له. كان فيرينزي مجرياً من أصول يهودية بولندية، وفي ذلك يقول فرويد: المجر قرية جغرافياً من النمسا، وبعيدة عنها علمياً، وأخرجت عالماً واحداً في التحليل النفسي هو ساندور فيرينزي، ولكنه واحد يزن مجتمعاً بأسره .!

كان فيرينزي أول محلل نفسي في بودابست، وأسس الجمعية المجرية للتحليل النفسي في عام 1913. وقد حظي باحترام كبير في الدوائر التقدمية لمثقفي المدينة، ونشر مقالات عن هذا المجال في مجلتي نيوجات وهوزاديك سزاد. وخلال الحرب العالمية الأولى، كان فيرينزي جراحًا عسكريًا في الجيش المجري، كما أدار أيضًا أقسام الأمراض النفسية والعصبية في العديد من المستشفيات العسكرية .

وفي عام 1918، في المؤتمر الخامس للجمعية الدولية للتحليل النفسي (الذي عقد في بودابست)، انتُخب فيرينزي رئيسًا للجمعية. وفي عام 1919، عُيّن فيرينزي أستاذًا في عيادة تحليل نفسي جديدة (أول مؤسسة من نوعها في العالم) في كلية الطب بجامعة بودابست. ومع ذلك، سُحب تعيينه وأُغلقت العيادة بعد سقوط الحكومة، واستُبعد فيرينزي حتى من الجمعية الطبية الملكية في بودابست. وفي عام 1926، قام بجولة محاضرات في الولايات المتحدة، وفي عام 1933 توفي في بودابست بسبب فقر الدم الخبيث.

قدّم فيرينزي مساهماتٍ مهمةً ومبتكرةً عديدةً في نظرية التحليل النفسي وممارسته. وتناول، على وجه الخصوص، العلاقة بين الرضيع والأم والنمو النفسي للرضيع؛ وصدمات الطفولة؛ وطبيعة الجنس البشري وأصوله التطورية. وكان رائدًا في دراسة الآثار اللاحقة لصدمات الجنود المصابين بصدمات القصف وعلاجها. وبصفته معالجًا نفسيًا، شدّد على أهمية

تعرف على التحليل النفسي من خلال علاقات شخصية وعلمية. زار سيغموند فرويد لأول مرة عام 1908، وأصبح لاحقًا من أتباعه المخلصين. كوّن صداقة دامت معه طوال حياته، حيث تبادل معه المراسلات لمدة 25 عامًا

رافق فيرينزي فرويد – كما فعل كارل غوستاف يونغ – في جولته الأمريكية لإلقاء المحاضرات عام 1909

يصف فرويد مقالات فيرينزي في التحليل النفسي بأنها نتاج تفكير أستاذ ومعلم كبير

العلاقة بين الطبيب والمريض، ودعا إلى تعاطف المحلل. وأدخل العديد من المفاهيم إلى تقنيات التحليل النفسي، بما في ذلك فكرة "التحليل المتبادل" بين المعالج والمريض.

تحدت آراء فيرينزي واقتراحاته المبتكرة الصرامةَ التقليديةَ لمعظم المحللين النفسيين في عصره، بمن فيهم فرويد. في سنواته الأخيرة، اصطدم فيرينزي مع التيار السائد في مهنته. ومع أن أفكاره وأساليبه ساهمت في تطوير التحليل النفسي الحديث من خلال تلاميذه وأتباعه في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، إلا أن الأهمية الكاملة لأعماله لم تُدرك إلا في العقد الأخير من القرن العشرين.

وكانت له اهتماماته منذ البداية بالنواحي النفسية، وأقبل على القراءة في علم النفس، ومن ذلك اهتمامه بالإيحاء النفسي، وظاهرة التنويم باعتبارها من الظواهر النفسية، وأشرف صحياً في وقت من الأوقات على المومسات في بودابست، وتسنى له أن يدرس نفسية هذا النمط من النساء، ومشاكل الجنس النسوية .

وتعرف بفرويد سنة 1908، وصار لصيقاً به ، وصحبه في رحلته إلى الولايات المتحدة سنة 1909، واقترح عليه إنشاء الرابطة الدولية للتحليل النفسي سنة 1910، وجاء تعيين فيرينزي سنة 1919 كأستاذ للتحليل النفسي بجامعة بودابست Budapest University كأول منصب جامعي يخصص للتحليل النفسي. وفيرينزي هو الذي سعى لإنشاء المجلة الدولية للتحليل النفسي التي رأس تحريرها إرنست جونز Ernest Jones ، وظهرت أولى طبعاتها سنة 1920 بالإنكليزية فكانت أول مجلة من نوعها تصدر بهذه اللغة .

ويطلق فيرينزي على مذهبه في التحليل النفسي اسم التحليل النفسي النشيط أو الفعالActive psychoanalysis ، وقد كان ذلك خروجاً منه

تعرف على التحليل النفسي من خلال علاقات شخصية وعلمية. زار سيغموند فرويد لأول مرة عام 1908، وأصبح لاحقًا من أتباعه المخلصين. كوّن صداقة دامت معه طوال حياته، حيث تبادل معه المراسلات لمدة 25 عامًا

رافق فيرينزي فرويد – كما فعل كارل غوستاف يونغ – في جولته الأمريكية لإلقاء المحاضرات عام 1909

يصف فرويد مقالات فيرينزي في التحليل النفسي بأنها نتاج تفكير أستاذ ومعلم كبير

على طريقة فرويد، إلا أنه اعتذر عن نفسه بأنه لا بد أن تكون هناك اجتهادات في المذهب وإلا فإنه يتجمد، ولا بد أن يدخل فيه مستحدثات إلا أن الإطار العام لمنهج فرويد سيظل كما هو .

وطريقة فيرينزي تعالج سلبية المحلل النفسي بطريقة فرويد، والمحلل النفسي بهذه الطريقة الجديدة يقحم نفسه على حياة المريض، ويطلب إليه أن يلتزم اجتناب كل الملذات والمباهج، ويقسو عليه في انتظار أن يثور المريض فتخرج منه كلمات وتلميحات وإشارات تعبر جميعها عن المكبوت، ويقول فيرينزي إن فرويد لا يسمح للمريض بأن يمارس الجنس خلال فترة علاجه بالتحليل، وذلك لكي يوفر طاقته النفسية التي يمكن أن يصرفها في الجنس فيصرفها في محاولة استكناه أسباب مرضه والتغلب على مستدعيات المرض، واكتناز كل قواه النفسية من أجل مساعدة المحلل في علاجه .

وقد زاد فيرينزي بأن منع كل المباهج والملذات وليس الجنس فقط. ومع ذلك فقد تبين له من بعد فشل طريقته، فاتجه بها وجهة عكسية وسمح للمريض بكل شيء، بل إنه ليحاول أن يقترب من المريض ويكون له الأب الحاني الذي افتقده في حياته، على أمل أن المحبة يمكن أن يكون لها مردود إيجابي على اتجاهات المريض. ونشر فيرينزي مقاله عن طريقته في المجلة الدولية للتحليل النفسي بعنوان "العلاج الفعال Active therapy".

وله مقالات أخرى كثيرة مثل "تأثير النساء في القذف المبكر عند الرجل". و "العجز النفسي الجنسي عند الرجل". ويعتبر مقاله "ثالاسا: النظرية التناسلية Thalassa: A Theory of Genitality" المقال العمدة في نظرية فيرينزي في التحليل النفسي. وثالاسا كلمة يونانية تعني حرفياً (البحر). والمقال يقدم به نظرية متكاملة يطلق عليها اسم التحليل الحيوي Bioanalysis، ويجمع فيه بين المنهجين النفسي والحيوي، ويرد به الظواهر النفسية إلى التأثيرات الحيوية والتغيرات البيولوجية التي طرأت على الجسم

كان فيرينزي مجرياً من أصول يهودية بولندية، وفي ذلك يقول فرويد: المجر قرية جغرافياً من النمسا، وبعيدة عنها علمياً، وأخرجت عالماً واحداً في التحليل النفسي هو ساندور فيرينزي، ولكنه واحد يزن مجتمعاً بأسره!.

كان فيرينزي أول محلل نفسي في بودابست، وأسس الجمعية المجرية للتحليل النفسي في عام 1913

في عام 1918، في المؤتمر الخامس للجمعية الدولية للتحليل النفسي (الذي عقد في بودابست)، انتُخب فيرينزي رئيسًا للجمعية

البشري وتركت آثارها فيه، وهي الآثار التي تفسر الكثير من الظواهر النفسية التي نجهل أسبابها الحيوية .

خلال السنوات الاخيرة من حياته, تدهورت علاقاته بفرويد ونشأت صراعات مؤلمة لكليهما, ولعقود لعبت الشائعات التي نشرها ارنست جونز حول ما يسمى بمرض فيرينزي العقلي دورا حاسما في منع افكار فيرينزي من ان تتبوأ مكانتها التي تستحق في تاريخ التحليل النفسي, عادت سمعة فيرينزي للحياة في عام 2002 بعد نشر كتاب «بين التواري وإعادة الإحياء: فيرينزي في تاريخ التحليل النفسي». تناول أحد فصول الكتاب طبيعة العلاقة بين فرويد و فيرينتزي.. وخلال العقود الثلاثة الاخيرة وبعد كشف معظم المراسلات المتبادلة والتي رفعت عن معظمها السرية, كشفت المساهمات والابحاث التي ساهم فيها فيرينزي وانصفته كأهم رائد في التحليل التفسي .

قدّم فيرينزي مساهماتٍ مهمةً ومبتكرةً عديدةً في نظرية التحليل النفسي وممارسته

تناول، على وجه الخصوص، العلاقة بين الرضيع والأم والنمو النفسي للرضيع؛ وصدمات الطفولة؛ وطبيعة الجنس البشري وأصوله التطورية

أدخل العديد من المفاهيم إلى تقنيات التحليل النفسي، بما في ذلك فكرة "التحليل المتبادل" بين المعالج والمريض

يطلق فيرينزي على مذهبه في التحليل النفسي اسم التحليل النفسي النشيط أو الفعال Active psychoanalysis، وقد كان ذلك خروجاً منه على طريقة فرويد

شارك في المراجعة:
• د. هبة الكردي – المانيا
• د. ليلى الصوافة - فرنسا
• ا. د. صبا غلي- سوريا

## Viktor Emil Frankl فيكتور إميل فرانكل

فيكتور إميل فرانكل (Viktor Emil Frankl 1905–1997 طبيب أعصاب وطبيب نفسي نمساوي، هو مؤسس العلاج بالمعنى، وهو شكل من أشكال العلاج النفسي الوجودي. كان أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد وجامعة ستانفورد وجامعات أخرى في بيتسبرغ وسان دييغو ودالاس .وألقى محاضرات في 209 جامعات في خمس قارات .اعترفت الجمعية الطبية الأمريكية والجمعية الأمريكية للطب النفسي والجمعية الأمريكية لعلم النفس رسميًا بالعلاج بالمعنى لفرانكل باعتباره إحدى المدارس القائمة على أساس علمي في العلاج النفسي.

ولد فرانكل في فيينا لعائلة يهودية. وكان الطفل الثاني من بين ثلاثة أطفال. نشأ في فيينا، وكان طالبًا متفوقًا، انخرط في شبابه بمنظمات الشباب الاشتراكية، وأصبح مهتمًا بالطب النفسي, ظهرت ميوله نحو علم النفس مبكراً. في امتحانه الأخير في المدرسة الثانوية، كتب ورقة عن سيكولوجيا التفكير الفلسفي. وبدأ في الكتابة إلى فرويد عندما كان في السادسة عشر من عمره، وفي إحدى المناسبات أرسل له ورقة قصيرة نُشرت بعد ثلاث سنوات .

وبعد التخرج من المدرسة في 1923، درس الطب في جامعة فيينا Universität Wienوتخصص لاحقاً بعلم الأعصاب والطب النفسي، مركزاً على مواضيع الاكتئاب والانتحار. في عام 1930، حصل فرانكل على شهادة الطب من جامعة فيينا. وبعد تخرجه، تم تعيينه للإشراف على جناح مستشفى في فيينا لعلاج النساء اللاتي حاولن الانتحار .

فيكتور إميل فرانكل (1905-1997) Viktor Emil Frankl طبيب أعصاب وطبيب نفسي نمساوي، هو مؤسس العلاج بالمعنى، وهو شكل من أشكال العلاج النفسي الوجودي

اعترفت الجمعية الطبية الأمريكية والجمعية الأمريكية للطب النفسي والجمعية الأمريكية لعلم النفس رسميًا بالعلاج بالمعنى لفرانكل باعتباره إحدى المدارس القائمة على أساس علمي في العلاج النفسي

ولد فرانكل في فيينا لعائلة يهودية. وكان الطفل الثاني من بين ثلاثة أطفال. نشأ في فيينا، وكان طالبًا متفوقًا، انخرط في شبابه بمنظمات الشباب الاشتراكية، وأصبح مهتمًا بالطب النفسي. ظهرت ميوله نحو علم النفس مبكراً

بعد التخرج من المدرسة في 1923، درس الطب في جامعة فيينا Universität Wien وتخصص لاحقاً بعلم الأعصاب والطب النفسي، مركزاً على مواضيع الاكتئاب والانتحار

تأثر في نشأته المبكرة بسيغموند فرويد Sigmund Freud وألفرد أدلر Alfred Adler، إلا أنه ابتعد عن تعاليمهم في المراحل اللاحقة.

بين عامي 1928 و 1930، بينما كان لا يزال طالبًا في كلية الطب، أسَّس مراكز متخصصة في تقديم المشورة للشباب لمواجهة الأعداد الكبيرة من حالات الانتحار بين المراهقين التي كانت تحدث قرب وقت توزيع بطاقات تقرير نهاية العام.

رعت مدينة فيينا البرنامج وكان مجانيًا للطلاب. وظَّف فرانكل علماء نفس آخرين للانضمام إليه بما في ذلك شخصيات بارزة مثل شارلوت بوهلر Charlotte Bühler، وإرفين فيكسبيرج، ورودولف دريكورس Rudolf Dreikurs.في عام 1931 لم ينتحر في فيينا طالب واحد

لفت نجاح هذا البرنامج انتباه الاخرين أمثال فيلهلم رايش Wilhelm Reichالذي دعاه إلى برلين. بعد حصوله على درجة الماجستير عام 1932، اكتسب فرانكل خبرة واسعة في مستشفى شتاينهوف للطب النفسي حيث كان مسؤولاً عن «جناح النساء ذوات الميول الانتحارية». على مدى أربع سنوات (1933(1937 – ، كان يعالج ما لا يقل عن 3000 مريض كل عام .

في عام 1937، بدأ العمل في عيادته الخاصة، ولكن مع ضم النازية للنمسا، أصبحت قدرته على علاج المرضى محدودة .وفي عام 1940، انضم إلى مستشفى فيينا روتشيلد Rothschild رئيسًا لقسم الأعصاب. كان المستشفى الوحيدة في فيينا الذي لا تزال تقبل اليهود. قبل ترحيله إلى معسكرات الاعتقال، ساعد العديد من المرضى على تجنب برنامج القتل الرحيم النازي الذي استهدف المعاقين ذهنيًا.

عندما استولت ألمانيا على النمسا في عام 1938، جعل النازيون فرانكل رئيسًا لمستشفى روتشيلد.في عام 1942 تزوج فرانكل من زوجته الأولى،

تأثر في نشأته المبكرة بسيغموند فرويد Sigmund Freud وألفرد أدلر Alfred Adler، إلا أنه ابتعد عن تعاليمهم في المراحل اللاحقة

تيلي غروسر .بعد تسعة أشهر من زواجه، تم ترحيل فرانكل وزوجته ووالديه إلى معسكر تيريزينشتات بالقرب من براغ .

في وقت لاحق من عام 1942، سُجن فرانكل في أوشفيتز ببولندا. هناك، أشرف طبيب المعسكر جوزيف مينغيله Mengele Josef على تقسيم السجناء الوافدين إلى صفين. أُرسل الصف الأيسر إلى غرف الغاز، بينما أُبقي على اليمين. أُمر فرانكل بالانضمام إلى الصف المتجه يسارًا، لكنه نجا بالتسلل إلى الصف الآخر دون أن يُلاحظه أحد. في المجمل، تنقل فرانكل بين أربعة معسكرات اعتقال: تيريزينشتات، أوشفيتز، داخاو، وتوركهايم. ماتت زوجة فرانكل، ووالديه، وأعضاء آخرون من عائلته في معسكرات الاعتقال.

عاد فرانكل إلى فيينا بعد هزيمة ألمانيا في عام 1945. احتفظ فرانكل سرًا بسجلات ملاحظاته في المعسكرات على قصاصات ورق، ونشر كتابًا باللغة الألمانية بعنوان "التأملات الروحية Arztliche Seelsorge "، عرض فيه أفكاره حول العلاج بالمعنى. تُرجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام 1959، وصدر في طبعة منقحة وموسعة بعنوان " الطبيب والروح: مقدمة في العلاج بالمعنى "عام 1963 .

فبعد ثلاث سنوات في معسكرات الاعتقال النازية، وتحررً فرانكل وعودته إلى فيينا، طوّر نظريته في الشقاء النفسي وحاضر عنها. رأى فرانكل أن الناس مدفوعون بشكل رئيسي بالسعي لإيجاد معنى لحياتهم، وأن هذا الحس بالمعنى هو الذي يُمكّن الناس من التغلب على التجارب المؤلمة .

بعد الحرب، أصبح رئيسًا لقسم الأعصاب في مستشفى فيينا بوليكلينيك Poliklinikوأسس عيادة خاصة في منزله. عمل بنشاط مع المرضى حتى تقاعده عام 1970.

في عام 1948، حصل فرانكل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فيينا. أطروحته، إله اللاوعي، هي دراسة لعلاقة علم النفس بالدين.

بعد حصوله على درجة الماجستير عام 1932، اكتسب فرانكل خبرة واسعة في مستشفى شتاينهوف للطب النفسي حيث كان مسؤولاً عن «جناح النساء ذوات الميول الانتحارية». على مدى أربع سنوات (1933 - 1937)، كان يعالج ما لا يقل عن 3000 مريض كل عام.

تنقل فرانكل بين أربعة معسكرات اعتقال: تيريزينشتات، أوشفيتز، داخاو، وتوركهايم. ماتت زوجة فرانكل، ووالديه، وأعضاء آخرون من عائلته في معسكرات الاعتقال

وفيها، يدعو فرانكل إلى استخدام الحوار السقراطي أو «نقاش اكتشاف الذات» مع العملاء، للتواصل مع لا وعيهم «الإدراكي» أو (الروح.(

مع نجاح كتبه، ( Man's Search for Meaningالإنسان يبحث عن معنى) و( The Doctor and the Soulالطبيب والروح)، أصبح متحدثًا مطلوبًا، ودُعِيَّ للتدريس وإلقاء المحاضرات في جميع أنحاء العالم.

في 1955، مُنِحَ درجة الأستاذية في علم الأعصاب والطب النفسي في جامعة فيينا Universität Wien ، وفي 1961 أقام كأستاذ زائر في جامعة هارفرد Harvard University ، وفي جامعة الميثودية الجنوبية Southern Methodist University (SMU)في دالاس Dallas في 1966، وفي جامعة دوكين Duquesne Universityفي Pittsburgفي 1972. حاضر ودرّس حول العالم، و منح 29درجة دكتوراه فخرية . و نشر 39 كتاباً، تُرجم إلى 40 لغة.

يصف في كتابه الشهير الإنسان يبحث عن المعنى (الهدف) تجربته كسجين في معسكرات الاعتقال النازية، والتي قادته إلى اكتشاف المعنى في كل أشكال الوجود، حتى في الأشكال الأشد قسوة، وبالتالي إلى اكتشاف دافع للاستمرار بالحياة. أصبح فرانكل شخصية أساسية في مجال العلاج النفسي الوجودي، ومصدر إلهام كبير لعلماء النفس الإنسانيين.

في عام 1949، كتب فرانكل كتاب " بحث الإنسان عن المعنى"، واصفًا تجاربه في معسكرات الاعتقال. وبحلول وفاته، كان كتاب "بحث الإنسان عن المعنى" قد تُرجم إلى 24 لغة، وأُعيد طبعه 73 مرة، واعتُبر لفترة طويلة مرجعًا أساسيًا في مقررات علم النفس والفلسفة واللاهوت في المدارس الثانوية والجامعات . وفي عام 1946 أصبح فرانكل المدير التنفيذي لمركز فيينا للصحة العصبية وظل يشغل هذا المنصب حتى عام 1971 .

عاد فرانكل إلى فيينا بعد هزيمة ألمانيا في عام 1945. احتفظ فرانكل سرًا بسجلات ملاحظاته في المعسكرات على قصاصات ورق، ونشر كتابًا باللغة الألمانية بعنوان "التأملات الروحية" Arztliche Seelsorge ، عرض فيه أفكاره حول العلاج بالمعنى

بعد ثلاث سنوات في معسكرات الاعتقال النازية، وتحررّ فرانكل وعودته إلى فيينا، طوّر نظريته في الشقاء النفسي وحاضر عنها

رأى فرانكل أن الناس مدفوعون بشكل رئيسي بالسعي لإيجاد معنى لحياتهم، وأن هذا الحس بالمعنى هو الذي يُمكّن الناس من التغلب على التجارب المؤلمة

أمضى فرانكل حياته المهنية بعد الحرب العالمية الثانية كأستاذ لعلم الأعصاب والطب النفسي في فيينا، حيث قام بالتدريس حتى بلغ من العمر 85 عامًا .وكان أيضًا رئيس قسم الأعصاب في مستشفى فيينا بوليكلينيك لمدة 25 عامًا.

في عام 1947 تزوج فرانكل من زوجته الثانية، إليانور شويندت، وانجب ابنته، الدكتورة غابرييل فرانكل فيسيلي .

من بين هواياته تسلق الجبال، وفي سن السابعة والستين حصل على رخصة الطيران. يحمل فرانكل شهادة الطيران الفردي وشارة مرشد جبلي من نادي "دوناولاند" الألبي. سُميت ثلاثة مسارات تسلق صعبة (على جبلي راكس وبيلشتاين) باسمه. توفي فيكتور فرانكل في عام 1997 في فيينا، النمسا، بسبب قصور في القلب .

تعتبر حياة فيكتور فرانكل بمثابة تذكير للجميع، بغض النظر عن مدى صعوبة الطريق، فإن اختيار الاستسلام قبل أن تتاح فرصة، لا يؤدي إلا إلى إعاقة الروح البشرية.

نشر فرانكل 39 كتابًا، تُرجمت إلى 49 لغة .وحصل على 29 درجة دكتوراه فخرية. و أول شخص غير أمريكي يحصل على جائزة أوسكار فيستر Oskar Pfisterالمرموقة من الجمعية الأمريكية للطب النفسي. لعام 1985 لمساهماته الهامة في الدين والطب النفسي. وانتخبته الأكاديمية النمساوية للعلوم عضوا فخريا.

توفي فرانكل بفشل في القلب في 2 سبتمبر 1997 .

وفقًا لمسح أجراه نادي كتاب الشهر ومكتبة الكونغرس، فان كتاب فرانكل (بحث الإنسان عن المعنى) مان ضمن قائمة الكتب العشرة الأكثر تأثيرًا في الولايات المتحدة. وقت وفاة المؤلف في عام 1997، وبيعت أكثر من 10 ملايين نسخة، وتُرجم إلى 24 لغة.

في عام 1948، حصل فرانكل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فيينا. أطروحته، إله اللاوعي، هي دراسة لعلاقة علم النفس بالدين.

مع نجاح كتبه، Man's Search for Meaning (الإنسان يبحث عن معنى) و The Doctor and the Soul (الطبيب والروح)، أصبح متحدثًا مطلوبًا، ودُعِيَ للتدريس وإلقاء المحاضرات في جميع أنحاء العالم.

يصف في كتابه الشهير الإنسان يبحث عن المعنى (الصدفة) تجربته كسجين في معسكرات الاعتقال النازية، والتي قادته إلى اكتشافه المعنى في كل أشكال الوجود، حتى في الأشكال الأشد قسوة، وبالتالي إلى اكتشافه دافع للاستمرار بالحياة

أمضى فرانكل حياته المهنية بعد الحرب العالمية الثانية كأستاذ لعلم الأعصاب والطب النفسي في فيينا، حيث قام بالتدريس حتى بلغ من العمر 85 عامًا. وكان أيضًا رئيس قسم الأعصاب في مستشفى فيينا بوليكلينيك لمدة 25 عامًا

كان فيكتور فرانكل أستاذا كبيرا في علم الطب النفسي الشامل، وأنشأ مدرسة في العلاج النفسي، "مدرسة فيينا الثالثة" بعد التحلل النفسي لسيغموند فرويد وعلم النفس الفريد أدلر)، ويعتبر التحليل النفسي الوجودي الذي ابتكره فرانكل المدرسة الفيينية الثالثة في التحليل النفسي، في الفئة العريضة التي تشكل الوجوديين.

**التجارب في معسكر الاعتقال**

حدّد فرانكل ثلاث ردود فعل نفسية يعاني منها جميع السجناء بدرجة أو بأخرى :

(1)الصدمة في أثناء مرحلة الدخول الأولي إلى المعسكر.

(2)اللامبالاة بعد التعود على الوجود في المعسكر، وفيه لا يُقدِّر السجين سوى ما يساعده هو وأصدقاءه على النجاة.

(3)ردود أفعال تشتت الشخصية والتشوه الأخلاقي والمرارة وخيبة الأمل إذا نجا وتحرر.

توصل فرانكل إلى أن معنى الحياة موجود في كل لحظة من حياتنا. لا تتوقف الحياة أبدًا عن أن يكون لها معنى، حتى في المعاناة والموت. في جلسة علاج جماعي خلال صيام جماعي فُرِض على زملائه في المخيم في محاولة لحماية زميل مجهول من العقاب المميت من قبل السلطات، قدم فرانكل فكرة أنه بالنسبة لكل شخص يعاني من حالة مزرية، هنالك شخص يفكر فيك، صديق، أو أحد أفراد الأسرة، حتى الله ينظر، الذي يريد منك ألا تصاب بخيبة أمل. توصل فرانكل من تجربته أن ردود الفعل النفسية للسجين ليست فقط نتيجة لظروف حياته، ولكن أيضًا من حرية الاختيار التي يتمتع بها دائمًا حتى في المعاناة الشديدة. يعتمد التمسك الداخلي للسجين على نفسه الروحية على أن يكون لديه أمل في المستقبل، وأنه فور أن يفقد السجين هذا الأمل، فإنه محكوم عليه بالفناء.

توصل فرانكل أيضًا إلى أنه لا يوجد سوى جنسان من الرجال، الرجال المحترمون وغير المحترمين، لا يوجد مجتمع خالٍ من أي منهما، وكذلك كان هناك حراس نازيون محترمون، وسجناء غير محترمين، وأبرزهم الكابو kapo الذين كانوا يعذبون زملائهم السجناء، ويسيئون معاملتهم لتحقيق مكاسب شخصية.

يصف المقطع الختامي للجزء الأول رد الفعل النفسي للسجناء على تحريرهم، الذي يقسمه إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى هي نزع الشخصية:

إنها فترة إعادة التكيف، إذ يعود السجين تدريجيًا إلى العالم. في البداية، كان السجناء المحررين مخدرين لدرجة أنهم غير قادرين على فهم معنى الحرية، أو الاستجابة لها عاطفيًا. جزء منهم يعتقد أنها وهم أو حلم سيؤخذ منهم. أدرك السجناء، في أول مرة لهم خارج سجنهم السابق، أنه لا يمكنهم استيعاب السرور. الزهور وحقيقة الحرية التي حلموا بها لسنوات كانت كلها تفوق الواقع، ولا يمكن لشخصياتهم المشتتة أن تستوعبها.

الجسم هو أول عنصر يخرج من هذه المرحلة، إذ يستجيب للشهية الكبيرة للأكل والرغبة في مزيد من النوم. فقط بعد التجديد الجزئي للجسم يصبح العقل قادرًا أخيرًا على الاستجابة، وفجأة يشعر بكسر الأغلال الغريبة التي قيدته.

المرحلة الثانية، وتبدأ عندما يوجد خطر حدوث تشوه:

عندما يجري تحرير الضغط الشديد على العقل، يمكن أن تتعرض الصحة العقلية للخطر. يستخدم فرانكل تشبيه الغطاس الذي أطلِق فجأة من غرفة الضغط الخاصة به.

عند العودة إلى المنزل، كان على السجناء أن يواجهوا تجربتين أساسيتين يمكن أن تضر أيضًا بصحتهم العقلية: المرارة، وخيبة الأمل.

نشر فرانكل 39 كتابًا، تُرجمت إلى 49 لغة. وحصل على 29 درجة دكتوراه فخرية. و أول شخص غير أمريكي يحصل على جائزة أوسكار فيستر Oskar Pfiste المرموقة من الجمعية الأمريكية للطب النفسي

الأكثر تأثيرًا في الولايات المتحدة. وقت وفاة المؤلف في عام 1997، وبيعت أكثر من 10 ملايين نسخة، وتُرجم إلى 24 لغة.

كان فيكتور فرانكل أستاذا كبيرا في علم الطب النفسي الشامل، وأنشأ مدرسة في العلاج النفسي، "مدرسة فيينا الثالثة" بعد التحلل النفسي لسيغموند فرويد وعلم النفس الفريد أدلر)

المرحلة الأخيرة، هي المرارة بسبب عدم استجابة العالم الخارجي:

السطحية وقلة الشعور مقرفة جدًا لدرجة أن المرء يشعر وكأنه يزحف إلى حفرة، ولم يعد يسمع أو يرى البشر. الأسوأ من ذلك، هو خيبة الأمل، التي تتمثل باكتشاف أن المعاناة لا تنتهي، وأن السعادة التي يجري التوق إليها لن تأتي. كانت هذه تجربة أولئك الذين مثل فرانكل عادوا إلى ديارهم ليكتشفوا أن لا أحد ينتظرهم. لقد ذهب الآن الأمل الذي ظل قائمًا طوال فترة وجودهم في معسكر الاعتقال. يستشهد فرانكل بهذه التجربة بوصفها الأكثر صعوبة للتغلب عليها.

مع مرور الوقت، أصبحت تجربة السجين في معسكر الاعتقال لا شيء في النهاية، ومع ذلك فهي كابوس لا يُنسى، فضلًا عن ذلك فإنه يؤمن أنه لم يعد لديه ما يخافه بعد الآن إلا إلهه.

يعتبر التحليل النفسي الوجودي الذي ابتكره فرانكل المدرسة الفيينية الثالثة في التحليل النفسي، في الفئة العريضة التي تشكل الوجوديين.

توصل فرانكل إلى أن معنى الحياة موجود في كل لحظة من حياتنا. لا تتوقف الحياة أبدًا عن أن يكون لها معنى، حتى في المعاناة والموت

قدم فرانكل فكرة أنه بالنسبة لكل شخص يعاني من حالة مزرية، هنالك شخص يفكر فيك، صديق، أو أحد أفراد الأسرة، حتى الله ينظر، الذي يريد منك ألا تصاب بخيبة أمل

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافة - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

## susan fiskeسوزان فيسك

سوزان فيسك Susan (Fiske ( - 1952 أمريكية, عالمة نفس اجتماعية تعمل في مجال الإدراك الاجتماعي والصور النمطية والتحيز, أستاذة علم النفس والشؤون العامة في قسم علم النفس بجامعة برينستون Princeton University.

تنحدر فيسك من عائلة علماء نفس. والدها، دونالد دبليو فيسك Donald Winslow Fiske، عالم نفس قضى معظم حياته المهنية في جامعة شيكاغو University of Chicago.

سوزان فيسك Susan Fiske ( - 1952)أمريكية, عالمة نفس اجتماعية تعمل في مجال الإدراك الاجتماعي والصور النمطية والتحيز, أستاذة علم النفس والشؤون العامة في قسم علم النفس بجامعة برينستون Princeton University.تقود فيسك مختبر العلاقات بين المجموعات والإدراك الاجتماعي وعلم الأعصاب الاجتماعي بجامعة برينستون Princeton University.تشمل مساهماتها النظرية تطوير نموذج محتوى الصورة النمطية ونظرية التمييز الجنسي المتناقض ونظرية القوة كسيطرة . ونموذج الاستمرارية لتكوين الانطباع.

تنحدر فيسك من عائلة علماء نفس. والدها، دونالد دبليو فيسك Donald Winslow Fiske، عالم نفس قضى معظم حياته المهنية في جامعة شيكاغو University of Chicago. والدتها، باربرا بيج فيسك (1917–2007)، زعيمة مدنية في شيكاغو. شقيقها، آلان بيج فيسك Alan Page Fiskeعالم أنثروبولوجيا في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس University of California, Los Angeles (UCLA) . كانت جدتها فيسك وجدتها الكبرى من دعاة حق المرأة في التصويت . حصلت ابنتا أختها وابنتها على درجة الدكتوراه في علم النفس. في عام 1969.

التحقت فيسك بكلية رادكليف Radcliffe College ونالت درجة البكالوريوس في العلاقات الاجتماعية، بمرتبة الشرف عام 1973. و درجة

الدكتوراه من جامعة هارفارد Harvard University عام 1978، عن أطروحتها بعنوان: الانتباه وترجيح السلوك في الإدراك الشخصي. تقيم حاليًا في فيرمونت، مع زوجها دوغلاس ماسي Douglas Steven Massey ، عالم اجتماع متقاعد من جامعة برينستون Princeton University.

عملت فيسك مع شيلي تايلور Shelley Elizabeth Taylor، الأستاذة المساعدة في جامعة هارفارد Harvard University، لدراسة الإدراك الاجتماعي، وخاصة تأثير الانتباه في المواقف الاجتماعية.

واصلت فيسك العمل في مجال الإدراك الاجتماعي. كان هناك تعارض بين مجال علم النفس الاجتماعي وعلم النفس المعرفي ، ويريد بعض الباحثين إبقاء هذين المجالين منفصلين. شعرت فيسك أنه يمكن تحقيق معرفة مهمة من خلال الجمع بين المجالين .

أدت تجربة فيسك مع هذا التعارض واهتمامها بمجال الإدراك الاجتماعي إلى كتابها المشترك مع تايلور) الإدراك الاجتماعي .( تقدم في هذا الكتاب نظرة عامة على النظريات والمفاهيم المتطورة الناشئة في مجال الإدراك الاجتماعي، وتشرح استخدام العمليات المعرفية لفهم المواقف الاجتماعية وأنفسنا والآخرين.

كان روبرت روزنثال Robert Rosenthal وديفيد كيني David Kenny، مستشارا فيسك في جامعة هارفارد، مرشدين لها أيضًا. تقول: "لقد علّماني أن الإحصاء وتصميم التجارب أدوات". وتضيف فيسك: "كان توم بيتيغرو Thomas Pettigrew ، مرشدي في أبحاث القضايا الاجتماعية، هو من علّمني أن الأساليب العلمية الاجتماعية الدقيقة يمكن أن تُثمر فوائد عملية."

واصلت فيسك مع ستيفن نيوبيرغ Steven L. Neuberg تطوير أحد أول نماذج العملية المزدوجة للإدراك الاجتماعي، وهو "نموذج الاستمرارية."

التحقت فيسك بكلية رادكليف Radcliffe College ونالت درجة البكالوريوس في العلاقات الاجتماعية، بمرتبة الشرف عام 1973. و درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد Harvard University عام 1978، عن أطروحتها بعنوان: الانتباه وترجيح السلوك في الإدراك الشخصي

واصلت فيسك مع ستيفن نيوبيرغ Steven L. Neuberg تطوير أحد أول نماذج العملية المزدوجة للإدراك الاجتماعي، وهو "نموذج الاستمرارية"

أدلت بشهادة كخبيرة في القضية التاريخية، برايس ووترهاوس ضد هوبكنز، والتي نظرت فيها المحكمة العليا للولايات المتحدة ، مما جعلها أول عالمة نفس اجتماعية تشهد في قضية تمييز على أساس الجنس. أدت هذه الشهادة إلى استمرار الاهتمام باستخدام علم النفس في السياقات القانونية.

بالتعاون مع بيتر جليك Peter Samuel Glick ، حللت فيسك اسس الترابط بين التفاعلات بين الرجال والنساء، مما أدى إلى تطوير نظرية التمييز الجنسي المتناقض Ambivalent sexism . كما درست الفروق بين الجنسين في معدلات نشر علماء النفس الاجتماعي وشهاداتهم في" مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي "Journal of Personality and Social Psychology , قدّم المؤلفون الذكور في العينة عددًا أكبر من المقالات، وحظوا بمعدلات قبول أعلى (18% مقابل 14%). كان تأثير النساء مساويًا لتأثير الرجال، كما هو مُقاس من خلال عدد الشهادات, والمراجع، لذا كان عدد الشهادات للنساء أعلى لكل مقال منشور.

عملت فيسك مع بيتر جليك Peter Glick وأيمي كودي Amy Joy Casselberry Cuddyلتطوير نموذج محتوى الصورة النمطية. يوضح هذا النموذج أن الدفء والكفاءة يميزان الصور النمطية الجماعية.

شاركت فيسك في مجال علم الأعصاب الإدراكي الاجتماعي.و يدرس هذا المجال كيفية مشاركة الأنظمة العصبية في العمليات الاجتماعية، مثل إدراك الشخص. وقد فحص عمل فيسك نفسه الأنظمة العصبية المشاركة في التنميط، والعداء بين المجموعات, وتكوين الانطباع.

لها أكثر من 500 ورقة بحث ولها العديد من الكتب، بما في ذلك عملها الصادر عام 2010 بعنوان " الكائنات الاجتماعية: نهج الدوافع الأساسية لعلم النفس الاجتماعي "والإدراك الاجتماعي، وهو نص على مستوى الدراسات العليا حدد المجال الفرعي الشائع الآن للإدراك الاجتماعي .

أدلت بشهادة كخبيرة في القضية التاريخية، برايس ووترهاوس ضد هوبكنز، والتي نظرت فيها المحكمة العليا للولايات المتحدة ، مما جعلها أول عالمة نفس اجتماعية تشهد في قضية تمييز على أساس الجنس

بالتعاون مع بيتر جليك Peter Samuel Glick ، حللت فيسك اسس الترابط بين التفاعلات بين الرجال والنساء، مما أدى إلى تطوير نظرية التمييز الجنسي المتناقض . Ambivalent sexism

كما اشرفت على المراجعة السنوية لعلم النفس مع دانيال شاكتر Daniel Lawrence Schacterوشيللي تايلور Shelley Elizabeth Taylor ودليل علم النفس الاجتماعي مع دانيال جيلبرت Daniel Todd Gilbert وغاردنر ليندزي Gardner Edmund Lindzey ولها كتاب "الحسد للأعلى والازدراء للأسفل: كيف يقسمنا الوضع" ، الذي يصف كيف يقارن الناس أنفسهم باستمرار بالآخرين، مع الآثار السامة على علاقاتهم في المنزل والعمل والمدرسة والعالم، والعلامة التجارية البشرية: كيف نرتبط بالناس والمنتجات والشركات . وهي عضو في مجلس إدارة المراجعات السنوية .

مساهماتها الأربع الأكثر شهرة في مجال علم النفس هي نموذج محتوى الصورة النمطية ، ونظرية التمييز الجنسي المتناقض ، ونموذج الاستمرارية لتكوين الانطباع ، ونظرية القوة كسيطرة .وهي معروفة أيضًا بمصطلح البخيل المعرفي ، الذي صاغته مع مستشارة الدراسات العليا الخاصة بها شيلي إي تايلور Shelley Elizabeth Taylor، في إشارة إلى ميول الأفراد إلى استخدام الاختصارات المعرفية والأساليب التجريبية.

**نموذج المحتوى النمطي**

في عام 2002، طورت فيسك، بالتعاون مع جليك Peter Samuel Glickو إيمي كودي Amy Joy Casselberry Cuddy ، نموذج محتوى الصورة النمطية, نموذج المحتوى النمطي stereotype content model (SCM)هو نظرية نفسية تزعم أن الناس يميلون إلى إدراك المجموعات الاجتماعية على طول بعدين أساسيين: الدفء والكفاءة. يصف الدفء النية المتصورة للمجموعة (ودية وجديرة بالثقة أم لا)؛ تصف الكفاءة قدرتهم المتصورة على التصرف بناءً على نيتهم . تم تطوير SCM في الأصل لفهم التصنيف الاجتماعي للمجموعات داخل سكان الولايات المتحدة. ومع ذلك، تم تطبيق SCM منذ ذلك الحين على تحليل الطبقات الاجتماعية والهياكل في الكثير من بلدان العالم.

شاركت فيسك في مجال علم الأعصاب الإدراكي الاجتماعي.و يدرس هذا المجال كيفية مشاركة الأنظمة العصبية في العمليات الاجتماعية، مثل إدراك الشخص

مساهماتها الأربع الأكثر شهرة في مجال علم النفس هي نموذج محتوى الصورة النمطية ، ونظرية التمييز الجنسي المتناقض ، ونموذج الاستمرارية لتكوين الانطباع ، ونظرية القوة كسيطرة. وهي معروفة أيضًا بمصطلح البخيل المعرفي

ترى معظم العينات أن الطبقة المتوسطة في مجتمعاتها دافئة وكفؤة، لكنها لا تعتبر اللاجئين والمشردين والمهاجرين غير المسجلين دافئين ولا كفؤين

ترى معظم العينات أن الطبقة المتوسطة في مجتمعاتها دافئة وكفؤة، لكنها لا تعتبر اللاجئين والمشردين والمهاجرين غير المسجلين دافئين ولا كفؤين. يتمثل ابتكار نموذج SCM في تحديد الصور النمطية المختلطة – عالية الكفاءة ولكن منخفضة الدفء (مثل الأغنياء) أو عالية الدفء ولكن منخفضة الكفاءة (مثل كبار السن) . تميل الدول ذات التفاوت الأعلى في الدخل إلى استخدام هذه الصور النمطية المختلطة بشكل أكثر تكرارًا.

إن التعاون المتصور للمجموعات يتنبأ بالدفء المتصور لها، وهذا البعد يعكس أهمية القصد .ويتنبأ الدفء بالمساعدة والإيذاء النشطين. ويتنبأ الوضع المتصور للمجموعة بالكفاءة النمطية لها، لذا فإن هذا يعكس الإيمان بالجدارة، وأن الناس يحصلون على ما يستحقونه .وتتنبأ الكفاءة بالمساعدة والإيذاء السلبيين.

إن التعاون المتصور للمجموعات يتنبأ بالدفء المتصور لها، وهذا البعد يعكس أهمية القصد. ويتنبأ الدفء بالمساعدة والإيذاء النشطين

### نظرية التمييز الجنسي المتناقض

طورت فيسك وبيتر جليك Peter Gleick مقياس التمييز الجنسي المتناقض (ASI) كوسيلة لفهم التحيز ضد المرأة. يفترض مقياس ASI عنصرين فرعيين من الصور النمطية الجنسانية: التمييز الجنسي العدائي (العداء تجاه النساء غير التقليديات) والتمييز الجنسي الخيري (تمجيد وحماية النساء التقليديات .)

طورت فيسك وبيتر جليك Peter Gleick مقياس التمييز الجنسي المتناقض (ASI) كوسيلة لفهم التحيز ضد المرأة

تقول فيسك: "تُظهر النظرية والحجم والبيانات أن التمييز الجنسي ليس مجرد عدائي، إذ ينظر إلى النساء غير التقليديات كتهديد تنافسي، بل هو أيضًا (خير) ذاتيًا". وتوضح أن هذا الخير مرتبط بتعظيم المرأة وحمايتها. يشعر مؤيدو التمييز الجنسي الخيري بإيجابية تجاه النساء، ولكن عادةً فقط عندما تلتزم النساء بالمُثُل التقليدية.

تقول فيسك: "تُظهر النظرية والحجم والبيانات أن التمييز الجنسي ليس مجرد عدائي، إذ ينظر إلى النساء غير التقليديات كتهديد تنافسي، بل هو أيضًا (خير) ذاتيًا

كما أن التنميط والسلطة متضافران، وفقًا لفيسك، كذلك يتضافر التمييز الجنسي العدائي والخير. وتتكامل هذه المعتقدات لأن التمييز الجنسي الخيري

يكافئ النساء عند أدائهن الأدوار التقليدية، بينما يعاقب التمييز الجنسي العدائي النساء اللواتي لا يتوافقن مع هذه المُثُل. وقد أسهم عمل فيسك السابق، الذي قاد إلى هذه النظرية، في شهادتها في قضية هوبكنز ضد برايس ووترهاوس التاريخية ، التي نظرت فيها المحكمة العليا للولايات المتحدة عام 1989. وقد أدى هذا الجهد إلى استمرار اهتمامها باستخدام علم النفس في السياقات القانونية.

يبدو مقياس ASI مفيدًا في جميع أنحاء الدول . كما طور المؤلفون مقياسًا موازيًا للتناقض تجاه الرجال .ووفقًا لمراجعة حديثة، تم استخدام مقياس ASI في 654 دراسة تمت مراجعتها من قبل الأقران مع فئات سكانية بالغة.

**نظرية القوة كسيطرة**

عام 1993، صاغت فيسك نظرية القوة كسيطرة إلى تفسير كيف تُحفّز القوة الاجتماعية الناس على مراعاة الآخرين أو تجاهلهم. في هذا الإطار، وتنص هذه النظرية، على أن الأفراد الضعفاء يُعنون بالأشخاص الأقوياء الذين يتحكمون بنتائجهم، سعيًا لتعزيز التنبؤ والتحكم. ونتيجةً لذلك، يكون الضعفاء أكثر عرضة لتكوين انطباعات معقدة وغير نمطية. وفي المقابل، يُولي الأشخاص الأقوياء اهتمامًا أقل، ويكونون أكثر عرضة للنمطية نتيجةً لذلك. تقول فيسك: "النمطية والسلطة مُعززان لبعضهما البعض، لأن النمطية نفسها تُمارس السيطرة، وتُحافظ على الوضع الراهن وتُبرره."

**نموذج الاستمرارية لتكوين الانطباع**

عام 1990، طورت هي وستيفن نيوبيرغ Steven L. Neuberg أحد أوائل نماذج العمليات المزدوجة للإدراك الاجتماعي، والمعروفة باسم "نموذج الاستمرارية .".في علم النفس، تشير العملية المزدوجة إلى كيفية حدوث ظاهرة ما بطريقتين مختلفتين، أو نتيجة عمليتين مختلفتين، مثل حدوثها تلقائيًا أو عمدًا .

عام 1993، صاغت فيسك نظرية القوة كسيطرة إلى تفسير كيف تُحفّز القوة الاجتماعية الناس على مراعاة الآخرين أو تجاهلهم

تنص هذه النظرية، على أن الأفراد الضعفاء يُعنون بالأشخاص الأقوياء الذين يتحكمون بنتائجهم، سعيًا لتعزيز التنبؤ والتحكم

عام 1990، طورت هي وستيفن نيوبيرغ Steven L. Neuberg أحد أوائل نماذج العمليات المزدوجة للإدراك الاجتماعي، والمعروفة باسم "نموذج الاستمرارية

تقول فيسك إنه بالنسبة لنموذج الاستمرارية، "تشرح النظرية والأدلة كيف يُكوّن الناس انطباعات عن الآخرين على طول سلسلة متصلة، بدءًا من الأحكام الفئوية والنمطية وصولًا إلى الأحكام الفردية تمامًا. تعتمد هذه العملية على المعلومات المتاحة ودوافع الناس لمعالجتها."

بمعنى اخر, يصف هذا النموذج العملية التي نكوّن من خلالها انطباعاتنا عن الآخرين. ويُؤطَّر تكوين الانطباع بناءً على عاملين: المعلومات المتاحة ودوافع المُدرِك . ووفقًا للنموذج، يُساعد هذان العاملان في تفسير ميل الناس إلى تطبيق عمليات التنميط مقابل عمليات التفرُّد عند تكوين الانطباعات الاجتماعية.

**الاستجابة لأزمة التكرار**

مع تزايد الاهتمام بأزمة تكرار علم النفس ، أثارت فيسك جدلاً لاستدعائها منتقدي علم النفس. في رسالة كانت تهدف إلى النشر في APS Observer، أشارت إلى هؤلاء "الأعداء" المجهولين على أنهم " إرهابيون منهجيون" و"شرطة بيانات نصبوا أنفسهم"، وقالت إن انتقاد علم النفس يجب أن يُعبر عنه فقط على انفراد أو من خلال الاتصال بالمجلات . رد أندرو جيلمان Andrew Eric Gelman ، الإحصائي وعالم السياسة بجامعة كولومبيا ، "المحترم بين الباحثين الذين يقودون نقاش التكرار"، على فيسك، قائلاً إنها وجدت نفسها على استعداد للتسامح مع "النموذج الميت" للإحصاءات الخاطئة ورفضت سحب المنشورات حتى عندما تمت الإشارة إلى الأخطاء. وأضاف أنه خلال فترة عملها، وجد أن عددًا من الأوراق التي حررتها كانت تستند إلى إحصاءات ضعيفة للغاية؛ كانت إحدى أوراق فيسك المنشورة تحتوي على خطأ إحصائي كبير واستنتاجات "مستحيلة."

بعد تسريب رسالتها، خففت من حدة لهجتها في مقالها المنشور في صحيفة APS Observer ، وحذفت مصطلح "الإرهابيين المنهجيين ."في

تقول فيسك إنه بالنسبة لنموذج الاستمرارية، "تشرح النظرية والأدلة كيف يُكوّن الناس انطباعات عن الآخرين على طول سلسلة متصلة، بدءًا من الأحكام الفئوية والنمطية وصولًا إلى الأحكام الفردية تمامًا

يصف هذا النموذج العملية التي نكوّن من خلالها انطباعاتنا عن الآخرين. ويُؤطَّر تكوين الانطباع بناءً على عاملين: المعلومات المتاحة ودوافع المُدرِك

أعربت فيسك عن قلقها من أنه على الرغم من قيمة انتقادات الأقران، إلا أن هذه الانتقادات عبر وسائل التواصل الاجتماعي "قد تشجع على قدر معين من التشهير غير المدقق وغير المصفّى

المقال، أعربت فيسك عن قلقها من أنه على الرغم من قيمة انتقادات الأقران، إلا أن هذه الانتقادات عبر وسائل التواصل الاجتماعي "قد تشجع على قدر معين من التشهير غير المدقق وغير المصفّى". وأوضحت: " في حالات نادرة ولكنها مخيفة، يتطوع من يسمون أنفسهم مراقبي بيانات لتقديم انتقادات" "تهاجم الشخص، وليس العمل فحسب؛ فهم يهاجمون علنًا، دون ضوابط جودة؛ ويُقال إنهم أرسلوا هجماتهم غير المرغوب فيها وغير المدققة إلى لجان مراجعة عقود العمل ورعاة الخطابة؛ وقد تورط أفراد عائلات المستهدفين ومستشاريهم" . منذ كتابة المقال، نشرت فيسك نصائح مُحكمة حول نشر أبحاث دقيقة في القرن الحادي والعشرين. وحول التعاون العدائي كعلاج للوقاحة العامة بين وجهات النظر المتباينة .

**التطورات في علم الأعصاب الإدراكي الاجتماعي**

فيسك رائدة في مجال علم الأعصاب الإدراكي الاجتماعي، الذي يدرس كيفية مشاركة الأنظمة العصبية في العمليات الاجتماعية، مثل كيفية إدراك الأفراد للآخرين. في عام 2006، استخدمت فيسك ولاسانا هاريس Lassana Harrisالتصوير الدماغي لإثبات أن التحيز يمكن أن يحدث على المستويات العصبية الأساسية . تُقدم الدراسة دليلاً على أنه على الرغم من أن الأفراد قد ينظرون بوعي إلى أعضاء المجموعات الاجتماعية الخارجية كأشخاص، إلا أن القشرة الجبهية الأمامية الوسطى من الدماغ قد تُعالج بعض المجموعات الخارجية على أنها أقل من البشر.

في عام 2011 استكشف فيسك ظاهرة "الإدراك غير الإنساني" أو الفشل في مراعاة عقل شخص آخر وبالتالي عدم إظهار التعاطف. وجدت فحوصات التصوير بالرنين المغناطيسي للمشاركين في الدراسة، وطلاب جامعة آيفي ليج الذين يمثلون أعراقًا مختلفة، أن شبكاتهم العصبية المشاركة في التفاعل الاجتماعي فشلت في الاستجابة لصور مدمني المخدرات

في حالات نادرة ولكنها مخيفة، يتطوع من يسمون أنفسهم مراقبي بيانات لتقديم انتقادات" "تهاجم الشخص، وليس العمل فحسب؛ فهم يهاجمون علنًا، دون ضوابط جودة

استخدمت فيسك ولاسانا هاريس Lassana Harris التصوير الدماغي لإثبات أن التحيز يمكن أن يحدث على المستويات العصبية الأساسية

في عام 2011 استكشف فيسك ظاهرة "الإدراك غير الإنساني" أو الفشل في مراعاة عقل شخص آخر وبالتالي عدم إظهار التعاطف

والمشردين والمهاجرين والفقراء. يمكن أن يساعد هذا الفشل في جزء الدماغ المهم للتفاعل الاجتماعي في تفسير سبب تجاهل الأشخاص ذوي النوايا الحسنة للآخرين أو إيذائهم في بعض الأحيان. يقول فيسك، "نحن بحاجة إلى التفكير في تجربة الآخرين. هذا ما يجعلهم بشرًا تمامًا بالنسبة لنا". وتقديرًا لهذا البحث وغيره، حصل فيسك على جائزة ويليام جيمس للزمالة من جمعية العلوم النفسية (2008–2009)؛ وزمالة جوجنهايم (2009–2010)؛ وجائزة المساهمة العلمية المتميزة من الجمعية الأمريكية لعلم النفس (2010)؛ وتم تكريمها كزميلة مراسلة في الأكاديمية البريطانية (2011).

يقول فيسك، "نحن بحاجة إلى التفكير في تجربة الآخرين. هذا ما يجعلهم بشرًا تمامًا بالنسبة لنا

فيسك وجدت أن الناس يُبالغون في تقدير الضرر الناجم عن الأذى المتعمد مقارنةً بالأذى الذي يُعتقد أنه غير متعمد

يُفرط صانعو السياسات أحيانًا في تخصيص الموارد لأضرار تبدو شديدة التعمد – مثل منع جرائم القتل والهجمات الإرهابية – حتى عندما تُشير البيانات إلى أن المصالح الإنسانية قد تُخدم بشكل أفضل بتخصيص بعض هذه الموارد لقضايا أخرى، مثل الاحتباس الحراري وسوء التغذية

**كشف قوة النية المدركة**

فيسك وجدت أن الناس يُبالغون في تقدير الضرر الناجم عن الأذى المتعمد مقارنةً بالأذى الذي يُعتقد أنه غير متعمد. طبّقت فيسك و دانيال أميس Daniel Ames هذه النتيجة على الأحداث السياسية الراهنة والسياسات الوطنية، وكتبا: "يُفرط صانعو السياسات أحيانًا في تخصيص الموارد لأضرار تبدو شديدة التعمد – مثل منع جرائم القتل والهجمات الإرهابية – حتى عندما تُشير البيانات إلى أن المصالح الإنسانية قد تُخدم بشكل أفضل بتخصيص بعض هذه الموارد لقضايا أخرى، مثل الاحتباس الحراري وسوء التغذية."

تقدم المقالة استنتاجات ثلاث دراسات، مما يشير إلى سبب حدوث المبالغة في التقدير. تُظهر الدراسة الأولى أن تأثير تضخيم الضرر يظهر خصيصًا للفعل البشري المتعمد، ولكن ليس للفعل البشري غير المتعمد. تسأل الدراسة الثانية عما إذا كان الضرر المقصود يحفز اللوم أم أنه يُظهر مجرد استحقاق اللوم الجوهري للفاعل. وتماشيًا مع التفسير التحفيزي، اختار المشاركون بحرية اللوم والإدانة والمعاقبة على المهام الجذابة الأخرى في حالة الضرر المتعمد، مقارنةً بحالة التحكم. تقيس الدراسة الثالثة أيضًا

الدافع، ولكن مع مؤشرات متقاربة للمثابرة (الجهد والمعدل والمدة) في اللوم .

تقول فيسك، "تجادل هذه الدراسات معًا بأن الأضرار المتعمدة تبدو أسوأ، حتى عندما لا تكون كذلك. تحفز النية المتصورة عملية معرفية اجتماعية محفزة تتعلق بالتنبؤ والتحكم الاجتماعي."

عام 2014، انتُخبت فيسك رئيسةً لاتحاد جمعيات العلوم السلوكية والدماغية. كما انتُخبت عضوًا في الجمعية الفلسفية الأمريكية. تواصل فيسك وفريقها دراسة النية المُدرَكة. وكما تقول: "نفهم بعضنا البعض من خلال استنتاج نية الناس، سواءً أكانت خيرًا أم شرًا. وهذا يُحدد من هو الصديق أم العدو، ومن نلومه وما مقدار اللوم، وكيف نحاول إدارة انطباعات الآخرين عنا بالمقابل. في المستقبل، أريد استكشاف الناس ككائنات متعددة، تمتلك ثقافات وفئات متعددة."

عام 2014، انتُخبت فيسك رئيسةً لاتحاد جمعيات العلوم السلوكية والدماغية. كما انتُخبت عضوًا في الجمعية الفلسفية الأمريكية

### جوائز وإنجازات

أصبحت فيسك عضوًا منتخبًا في الأكاديمية الوطنية للعلوم National Academy of Sciences (NAS)في عام 2013. وفي عام 2011، انتُخبت فيسك لزمالة الأكاديمية البريطانية. وفي عام 2010، مُنحت جائزة المساهمة العلمية المتميزة من الجمعية الأمريكية لعلم النفس American Psychological Association (APA).وحصلت على العديد من الجوائز في عام 2009، بما في ذلك زمالة غوغنهايم Guggenheim Fellowships، وجائزة ويليام جيمس من جمعية العلوم النفسية، وجائزة دونالد كامبل Donald Malcolm Campbellمن جمعية الشخصية وعلم النفس الاجتماعي . وفي عام 2008، حصلت فيسك على جائزة ستاتس لعلم النفس الموحد من الجمعية الأمريكية لعلم النفس. وفي عام 2003، مُنحت جائزة توماس أوستروم من الشبكة الدولية للإدراك الاجتماعي، وفي عام

أصبحت فيسك عضوًا منتخبًا في الأكاديمية الوطنية للعلوم National Academy of (Sciences (NAS في عام 2013. وفي عام 2011، انتُخبت فيسك لزمالة الأكاديمية البريطانية

2019 جائزة BBVA Foundation Frontiers of Knowledge في العلوم الاجتماعية.

حصلت فيسك على الدكتوراه الفخرية من جامعة غرناطة University of Granadaعام 2017، وجامعة بازل University of Baselعام 2013، وجامعة لايدن Leiden Universityعام 2009، وجامعة لوفان الكاثوليكية Université catholique de Louvainعام 1995.

شغلت منصب الرئيسة السابقة لجمعية علم النفس الشخصي والاجتماعي ، القسم الثامن من الجمعية الأمريكية لعلم النفس، واتحاد جمعيات العلوم السلوكية والدماغية ، ومؤسسة النهوض بعلوم السلوك والدماغ، والجمعية الأمريكية لعلم النفس (التي تُعرف الآن باسم جمعية العلوم النفسية ). وهي أيضًا زميلة في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية والاجتماعية . انتُخبت لعضوية الجمعية الفلسفية الأمريكية عام 2014.

في عام 2014 تم اختيارها في المركز الثاني والعشرين بين الباحثين الأكثر شهرة في علم النفس الحديث من قبل مجلة أرشيف علم النفس العلمي. (المرتبة 12 بين الباحثين الأحياء، والمرتبة 2 بين النساء)

في عام 2014 تم اختيارها في المركز الثاني والعشرين بين الباحثين الأكثر شهرة في علم النفس الحديث من قبل مجلة أرشيف علم النفس العلمي. (المرتبة 12 بين الباحثين الأحياء، والمرتبة 2 بين النساء).

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافة - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

## Leon Festinger ليون فيستينغر

ليون فيستينغر Leon Festinger (1919- 1989) أمريكي, عالم نفس اجتماعي ، صاحب نظرية التنافر المعرفي ونظرية المقارنة الاجتماعية . يُعزى رفض وجهة النظر السلوكية السائدة سابقًا لعلم النفس الاجتماعي، من خلال إثبات عدم كفاية تفسيرات التكييف بين التحفيز والاستجابة للسلوك البشري، إلى حد كبير إلى نظرياته وأبحاثه. كما يُنسب إليه تطوير استخدام التجارب المعملية في علم النفس الاجتماعي، على الرغم من أنه أكد في الوقت نفسه على أهمية دراسة مواقف الحياة الواقعية، وهو مبدأ مارسه عندما تسلل شخصيًا إلى طائفة دينية تؤمن بيوم القيامة . يُعرف أيضًا في نظرية الشبكات الاجتماعية بتأثير القرب أو التقارب .

درس فستنغر علم النفس تحت إشراف كورت لوين Kurt Lewin، وهو شخصية مهمة في علم النفس الاجتماعي الحديث، في جامعة أيوا University of Iowa، وتخرج عام 1941؛ ومع ذلك، لم يطور اهتمامًا بعلم النفس الاجتماعي حتى بعد انضمامه إلى هيئة التدريس في مركز لوين للأبحاث الخاصة بديناميكيات المجموعة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technologyعام 1945 وعلى الرغم من تفوقه في علم النفس الاجتماعي، تحول فستنجر إلى أبحاث الإدراك البصري عام 1964 ثم علم الآثار والتاريخ وعلوم التطور البشري عام 1979 حتى وفاته عام 1989 .

ليون فيستينغر Leon Festinger ((1919- 1989 أمريكي, عالم نفس اجتماعي ، صاحب نظرية التنافر المعرفي ونظرية المقارنة الاجتماعية

يُنسب إليه تطوير استخدام التجارب المعملية في علم النفس الاجتماعي، على الرغم من أنه أكد في الوقت نفسه على أهمية دراسة مواقف الحياة الواقعية

يعتبر فستنغر خامس أكثر علماء النفس شهرة في القرن العشرين. بعد سكينر Burrhus Frederic Skinnerو بياجيه Jean Piagetو فرويد Sigmund Freudوألبرت باندورا .Albert Bandura

وُلِد فستنغر في بروكلين Brooklyn نيويورك، عام 1919، لأبوين مهاجرين يهوديين روسيين هما أليكس فستنغر وسارة سولومون فستنغر. كان والده، صانع تطريز، قد "غادر روسيا متطرفًا ملحدًا، وظلّ وفيًا لهذه المعتقدات طوال حياته". التحق فستنغر بمدرسة ثانوية للبنين في بروكلين، وحصل على درجة البكالوريوس في علم النفس من كلية مدينة نيويورك عام 1939.

درس فستنغر علم النفس تحت إشراف كورت لوين Kurt Lewin ، وهو شخصية مهمة في علم النفس الاجتماعي الحديث، في جامعة أيوا University of Iowa ، وتخرج عام 1941

شرع في الدراسة تحت إشراف كورت لوين Kurt Lewin في جامعة أيوا University of Iowa، حيث حصل فيستينغر على درجة الماجستير في عام 1940 والدكتوراه في عام 1942 في مجال سلوك الطفل. لم يكن مهتمًا بعلم النفس الاجتماعي عندما وصل إلى أيوا، ولم يأخذ دورة واحدة في علم النفس الاجتماعي طوال فترة وجوده هناك؛ بدلاً من ذلك، كان مهتمًا بعمل لوين السابق في أنظمة التوتر، لكن تركيز لوين تحول إلى علم النفس الاجتماعي بحلول الوقت الذي وصل فيه فيستينغر إلى أيوا. ومع ذلك، واصل فيستينغر متابعة اهتماماته الأصلية، ودراسة مستوى الطموح، والعمل على الإحصاءات، وتطوير نموذج كمي لاتخاذ القرار، وحتى نشر دراسة معملية على الفئران. شرح فيستينغر عدم اهتمامه بعلم النفس الاجتماعي في ذلك الوقت، قائلاً: "لقد بدت منهجية دراسات علم النفس الاجتماعي الأقل دقة، وغموض علاقة البيانات بمفاهيم ونظريات لوين، غير جذابة بالنسبة لي في شغفي بالدقة في شبابي ".اعتبر فيستينغر نفسه مفكرًا حرًا وملحدًا.

على الرغم من تفوقه في علم النفس الاجتماعي، تحول فستنجر إلى أبحاث الإدراك البصري عام 1964 ثم علم الآثار والتاريخ وعلوم التطور البشري عام 1979 حتى وفاته عام 1989

بعد تخرجه، عمل فيستينغر كباحث مشارك في جامعة أيوا من عام 1941 إلى عام 1943، ثم كإحصائي للجنة اختيار وتدريب طياري

الطائرات في جامعة روتشستر University of Rochesterمن عام 1943 إلى عام 1945 أثناء الحرب العالمية الثانية. في عام 1943، تزوج من ماري أوليفر بالو، عازفة البيانو، وأنجب منها ثلاثة أطفال، كاثرين وريتشارد وكورت انفصل فيستينجر وبالو لاحقًا، وتزوج من ترودي برادلي، أستاذة العمل الاجتماعي الفخرية في جامعة نيويورك New York University، في عام 1968.

عام 1945، انضم فستنغر إلى مركز أبحاث ديناميكيات المجموعات الذي أنشأه لوين حديثًا في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا كأستاذ مساعد. وفي معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، على حد تعبيره، "أصبح فستنغر، بحكم الأمر الواقع، عالم نفس اجتماعي، وانغمس في هذا المجال بكل ما فيه من صعوبات وغموض وتحديات ".وفي معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أيضًا، بدأ فستنغر رحلته في مجال التواصل الاجتماعي والضغوط في المجموعات، والتي مثّلت نقطة تحول في بحثه. وكما يتذكر، "بدت لنا جميعًا سنوات معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا [هكذا] بالغة الأهمية، وثورية، وبداية جديدة لشيء مهم ".في الواقع، يقول ستانلي شاختر Stanley Schachter ، طالب فستنغر ومساعده البحثي آنذاك: "لقد كنت محظوظًا بالعمل مع فستنغر في ذلك الوقت، وأعتبره من أهم لحظات حياتي العلمية ".

ومع ذلك، بدأ هذا المسعى "كصدفة تقريبًا" بينما كان فيستينغر يُجري دراسة حول تأثير العوامل المعمارية والبيئية على رضا الطلاب عن السكن الجامعي. ورغم أن تأثير القرب أو التقارب كان نتيجة مباشرة مهمة من الدراسة، فقد لاحظ فيستينجر وزملاؤه أيضًا ارتباطات بين درجة الصداقة داخل مجموعة من السكان وتشابه الآراء داخل المجموعة، مما أثار تساؤلات غير متوقعة حول التواصل داخل المجموعات الاجتماعية وتطور معايير المواقف والسلوكيات الجماعية. في الواقع، تستشهد ورقة فيستينجر البحثية

يعتبر فستنغر خامس أكثر علماء النفس شهرة في القرن العشرين. بعد سكينر Burrhus Frederic Skinner و بياجيه Jean Piaget و فرويد Sigmund Freud وألبرت باندورا Albert Bandura.

وُلد فستنغر في بروكلين Brooklyn نيويورك، عام 1919، لأبوين مهاجرين يهوديين روسيين هما أليكس فستنغر وسارة سولومون فستنغر

الرائدة عام 1950 حول التواصل الاجتماعي غير الرسمي كدالة للضغوط نحو توحيد المواقف داخل المجموعة بنتائج من دراسة رضا الطلاب عن السكن هذه، التي تبدو غير ذات صلة، عدة مرات.

بعد وفاة لوين عام 1947، انتقل فستنغر مع مركز الأبحاث إلى جامعة ميشيغان University of Michigan عام 1948. ثم انتقل إلى جامعة مينيسوتا University of Minnesota Twin Citiesعام 1951، ثم إلى جامعة ستانفورد Leland Stanford Junior Universityعام 1955. وخلال هذا الوقت، نشر فستنجر ورقته البحثية المؤثرة للغاية حول نظرية المقارنة الاجتماعية، موسعًا نظريته السابقة فيما يتعلق بتقييم المواقف في المجموعات الاجتماعية إلى تقييم القدرات في المجموعات الاجتماعية .بعد ذلك، في عام 1957، نشر فستنجر نظريته حول التنافر المعرفي، والتي يمكن القول إنها مساهمته الأكثر شهرة وتأثيرًا في مجال علم النفس الاجتماعي .ويرى البعض أيضًا أن هذا امتداد لعمله السابق حول ضغوط المجموعة نحو حل التناقضات في المواقف والقدرات داخل المجموعات الاجتماعية إلى كيفية حل الفرد للتناقضات على المستوى المعرفي .كما تلقى فستنجر تقديرًا كبيرًا خلال هذا الوقت لعمله، سواء من داخل المجال، حيث حصل على جائزة المساهمة العلمية المتميزة من الجمعية الأمريكية لعلم النفس في عام 1959، وخارج المجال، حيث تم تسميته كواحد من أكثر عشرة علماء واعدين في أمريكا من قبل مجلة فورتشن Fortuneبعد فترة وجيزة من نشر نظرية المقارنة الاجتماعية.

على الرغم من هذا التقدير، ترك فستنغر مجال علم النفس الاجتماعي عام 1964، عازيًا قراره إلى "قناعة راودتني آنذاك، وهي أنني شخصيًا كنت في حالة ركود، وأحتاج إلى جرعة من التحفيز الفكري من مصادر جديدة لأواصل إنتاجيتي." حوّل انتباهه إلى النظام البصري، مركّزًا على حركة العين

لاحظ فيستينجر وزملاؤه أيضًا ارتباطات بين درجة الصداقة داخل مجموعة من السكان وتشابه الآراء داخل المجموعة، مما أثار تساؤلات غير متوقعة حول التواصل داخل المجموعات الاجتماعية وتطور معايير المواقف والسلوكيات الجماعية

نشر فستنجر ورقته البحثية المؤثرة للغاية حول نظرية المقارنة الاجتماعية، موسعًا نظريته السابقة فيما يتعلق بتقييم المواقف في المجموعات الاجتماعية إلى تقييم القدرات في المجموعات الاجتماعية

البشرية وإدراك الألوان. في عام 1968، عاد فستنغر إلى مسقط رأسه مدينة نيويورك، ليواصل أبحاثه في مجال الإدراك في المدرسة الجديدة The New School، المعروفة آنذاك باسم المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية. في عام 1979، أغلق مختبره، مشيرًا إلى عدم رضاه عن العمل "على مشاكل تقنية أضيق فأضيق ".

في عام 1983، بعد أربع سنوات من إغلاق مختبره، أعرب فستنجغر عن شعوره بخيبة الأمل إزاء ما حققه هو ومجاله: " أربعون عامًا من حياتي تبدو لي فترة طويلة، ورغم تعلّم بعض الأمور عن البشر وسلوكهم خلال هذه الفترة، إلا أن التقدم لم يكن سريعًا بما يكفي؛ ولم تكن المعرفة الجديدة مثيرة للإعجاب بما يكفي. والأسوأ من ذلك، أنه من منظور أوسع، لا يبدو أننا نعمل على حل العديد من المشكلات المهمة.".

بدأ فستنغر لاحقًا في استكشاف البيانات الأثرية من عصور ما قبل التاريخ، حيث التقى ستيفن جاي جولد Stephen Jay Gould لمناقشة الأفكار، وزار المواقع الأثرية للتحقيق في صناعة الأدوات البدائية بشكل مباشر. وتُوجت جهوده في النهاية بكتاب "الإرث البشري"، الذي بحث في كيفية تطور البشر وتكوين مجتمعات معقدة. ورغم أن هذا البحث يبدو نتاجًا لتخلي تام وخائب الأمل عن مجال علم النفس، إلا أنه اعتبره عودة إلى الاهتمامات الأساسية لعلم النفس. ووصف هدف اهتماماته البحثية الجديدة بأنه "رؤية ما يمكن استنتاجه من وجهات نظر مختلفة، ومن مصادر بيانات مختلفة، حول طبيعة وخصائص هذا النوع الذي نسميه بشرًا"، وشعر بالحيرة عندما سأله زملاؤه علماء النفس عن علاقة اهتماماته البحثية الجديدة بعلم النفس.

كان مشروع فستنغر التالي والأخير هو فهم سبب قبول أو رفض فكرة ما في ثقافة معينة، وقرر أن دراسة سبب تبني التكنولوجيا الجديدة بسرعة في

**في عام 1957، نشر فستنجر نظريته حول التنافر المعرفي، والتي يمكن القول إنها مساهمته الأكثر شهرة وتأثيرًا في مجال علم النفس الاجتماعي**

أربعون عامًا من حياتي تبدو لي فترة طويلة، ورغم تعلّم بعض الأمور عن البشر وسلوكهم خلال هذه الفترة، إلا أن التقدم لم يكن سريعًا بما يكفي؛ ولم تكن المعرفة الجديدة مثيرة للإعجاب بما يكفي. والأسوأ من ذلك، أنه من منظور أوسع، لا يبدو أننا نعمل على حل العديد من المشكلات المهمة

الغرب دون الإمبراطورية البيزنطية الشرقية من شأنها أن توضح هذه القضية. ومع ذلك، شُخِّص فستنغر بالسرطان قبل أن يتمكن من نشر هذه المادة. قرر عدم متابعة العلاج، وتوفي في 11 فبراير/شباط 1989.

قام فيستنغر وستانلي شاختر Stanley Schachter وكورت باك بفحص اختيار الأصدقاء بين طلاب الجامعات الذين يعيشون في سكن طلابي متزوج في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. أظهر الفريق أن تكوين الروابط كان متوقعًا من خلال القرب ، وهو القرب المادي بين أماكن سكن الطلاب، وليس فقط من خلال الأذواق أو المعتقدات المتشابهة كما افترضت الحكمة التقليدية. بمعنى آخر، يميل الناس ببساطة إلى تكوين صداقات مع جيرانهم. ووجدوا أيضًا أن المسافة الوظيفية تنبأت بالروابط الاجتماعية أيضًا. على سبيل المثال، في مبنى سكني من طابقين، يكون الأشخاص الذين يعيشون في الطابق السفلي بجوار الدرج أقرب وظيفيًا إلى سكان الطابق العلوي من غيرهم الذين يعيشون في نفس الطابق السفلي. يكون سكان الطابق السفلي بالقرب من الدرج أكثرعرضة من جيرانهم في الطابق السفلي لتكوين صداقات مع أولئك الذين يعيشون في الطابق العلوي. اعتبر فيستنغر وزملاؤه هذه النتائج دليلاً على أن الصداقات غالبًا ما تتطور بناءً على الاتصالات السلبية (على سبيل المثال، الاجتماعات القصيرة التي تُعقد نتيجة للذهاب والعودة من المنزل داخل مجتمع سكن الطلاب) وأن مثل هذه الاتصالات السلبية من المرجح أن تحدث في ظل وجود مسافة مادية ووظيفية أقرب بين الناس.

في ورقته البحثية عام 1950، افترض فستنغر أن أحد الضغوط الرئيسية للتواصل ينشأ من التجانس داخل المجموعة، والذي ينشأ بدوره من مصدرين: الواقع الاجتماعي وحركة المجموعة .جادل فستنجر بأن الناس يعتمدون على الواقع الاجتماعي لتحديد مدى الصلاحية الذاتية لمواقفهم وآرائهم، وأنهم

**جادل فستنجر بأن الناس يعتمدون على الواقع الاجتماعي لتحديد مدى الصلاحية الذاتية لمواقفهم وآرائهم، وأنهم يتطلعون إلى مجموعتهم المرجعية لتأسيس الواقع الاجتماعي؛ وبالتالي فإن الرأي أو الموقف يكون صالحًا إلى الحد الذي يشبه فيه رأي المجموعة المرجعية.**

**وصف فستنغر الاتصالات الناتجة عن هذه الضغوط نحو التجانس بـ"التواصل الآلي"، إذ إن التواصل ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتقليل التباينات بين المُرسِل والآخرين في المجموعة**

يتطلعون إلى مجموعتهم المرجعية لتأسيس الواقع الاجتماعي؛ وبالتالي فإن الرأي أو الموقف يكون صالحًا إلى الحد الذي يشبه فيه رأي المجموعة المرجعية. كما جادل أيضًا بأن ضغوط التواصل تنشأ عندما توجد تناقضات في الآراء أو المواقف بين أعضاء المجموعة، ووضع سلسلة من الفرضيات المتعلقة بمحددات متى يتواصل أعضاء المجموعة، ومع من يتواصلون، وكيف يتفاعل متلقي التواصل، مستشهدًا بالأدلة التجريبية الموجودة لدعم حججه.

وصف فستنغر الاتصالات الناتجة عن هذه الضغوط نحو التجانس بـ"التواصل الآلي"، إذ إن التواصل ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتقليل التباينات بين المُرسِل والآخرين في المجموعة. ويُقارن التواصل الآلي بـ"التواصل المُكمِّل" حيث يكون التواصل هو الغاية، كالتعبير العاطفي مثلاً.

نظرية المقارنة الاجتماعية

يمكن اعتبار نظرية المقارنة الاجتماعية المؤثرة لفستينغر (1954) امتدادًا لنظريته السابقة المتعلقة بالاعتماد على الواقع الاجتماعي لتقييم المواقف والآراء في مجال القدرات. بدءًا من فرضية أن البشر لديهم دافع فطري لتقييم آرائهم وقدراتهم بدقة، افترض فستنغر أن الناس سيسعون إلى تقييم آرائهم وقدراتهم من خلال مقارنتها بآراء وقدرات الآخرين. على وجه التحديد، سيبحث الناس عن الآخرين القريبين من آرائهم وقدراتهم للمقارنة لأن المقارنات الدقيقة صعبة عندما يكون الآخرون مختلفين جدًا عن آراء وقدرات المرء. لاستخدام مثال فستنغر، لا يقارن مبتدئ الشطرنج قدراته في الشطرنج بقدرات أساتذة الشطرنج المعترف بهم، ولا يقارن طالب جامعي قدراته الفكرية بقدرات طفل صغير.

علاوة على ذلك، سيتخذ الناس إجراءاتٍ لتقليل التباين في المواقف، سواءً بتغيير الآخرين لتقريبهم من أنفسهم، أو بتغيير مواقفهم الشخصية لتقريبهم من الآخرين. كما سيتخذون إجراءاتٍ لتقليل التباين في القدرات، وهو ما يدفع

**يمكن اعتبار نظرية المقارنة الاجتماعية المؤثرة لفستينغر (1954) امتدادًا لنظريته السابقة المتعلقة بالاعتماد على الواقع الاجتماعي لتقييم المواقف والآراء في مجال القدرات**

افترح فستنغر أن "عمليات التأثير الاجتماعي وبعض أنواع السلوك التنافسي هما مظهران لنفس العملية الاجتماعية النفسية...

الفرد إلى تحسينها. ولذلك، اقترح فستنغر أن "عمليات التأثير الاجتماعي وبعض أنواع السلوك التنافسي هما مظهران لنفس العملية الاجتماعية النفسية... [أي] الدافع إلى تقييم الذات وضرورة أن يكون هذا التقييم قائمًا على المقارنة مع الآخرين". ناقش فستنجر أيضًا آثار نظرية المقارنة الاجتماعية على المجتمع، مفترضًا أن ميل الناس إلى الانضمام إلى مجموعاتٍ تحمل آراءً تتفق مع آرائهم وقدراتهم، مما يؤدي إلى تجزئة المجتمع إلى مجموعاتٍ متشابهة نسبيًا.

بقدر ما تتوافر الوسائل الموضوعية غير الاجتماعية، يقوم الناس بتقييم آرائهم وقدراتهم بالمقارنة مع آراء وقدرات الآخرين على التوالي

في ورقته البحثية عام 1954، طرح فستنجر مجددًا وبشكل منهجي سلسلة من الفرضيات والنتائج والاستنتاجات، واستشهد بالأدلة التجريبية المتوفرة عند توفرها. وحدد فرضياته الرئيسية على النحو التالي:

1. يوجد في الكائن البشري دافع لتقييم رأيه وقدراته.
2. بقدر ما تتوافر الوسائل الموضوعية غير الاجتماعية، يقوم الناس بتقييم آرائهم وقدراتهم بالمقارنة مع آراء وقدرات الآخرين على التوالي.
3. تقل الرغبة في مقارنة النفس بشخص معين آخر كلما زاد الفارق بين رأيه أو قدرته ورأي الشخص نفسه.
4. هناك اتجاه أحادي الاتجاه نحو الأعلى في حالة القدرات وهو ما يكون غائبا إلى حد كبير في الآراء.
5. هناك قيود غير اجتماعية تجعل تغيير قدرة المرء صعبًا، بل مستحيلًا. هذه القيود غير الاجتماعية غائبة إلى حد كبير عن الآراء.
6. إن التوقف عن المقارنة مع الآخرين يصاحبه العداء أو الاستخفاف إلى الحد الذي يجعل الاستمرار في المقارنة مع هؤلاء الأشخاص ينطوي على عواقب غير سارة.
7. أية عوامل تزيد من أهمية مجموعة معينة كمجموعة مقارنة لبعض الآراء أو القدرات الخاصة سوف تزيد من الضغط نحو التوحيد فيما يتعلق بتلك القدرة أو الرأي داخل تلك المجموعة.

إن التوقف عن المقارنة مع الآخرين يصاحبه العداء أو الاستخفاف إلى الحد الذي يجعل الاستمرار في المقارنة مع هؤلاء الأشخاص ينطوي على عواقب غير سارة

.8إذا تم النظر إلى الأشخاص الذين يختلفون كثيرًا عن رأي المرء أو قدرته على أنهم مختلفون عنه في السمات المتسقة مع الاختلاف، فإن الميل إلى تضييق نطاق المقارنة يصبح أقوى.

.9عند وجود تباين في الآراء أو القدرات في مجموعة، فإن القوة النسبية لمظاهر الضغوط الثلاثة نحو التجانس ستختلف لدى المقربين من نمط المجموعة مقارنةً بمن هم بعيدون عنه. وتحديدًا، سيكون لدى المقربين من نمط المجموعة ميول أقوى لتغيير مواقف الآخرين، وميول أضعف نسبيًا لتضييق نطاق المقارنة، وميول أضعف بكثير لتغيير مواقفهم مقارنةً بمن هم بعيدون عن نمط المجموعة.

إذا تم النظر إلى الأشخاص الذين يختلفون كثيرًا عن رأي المرء أو قدرته على أنهم مختلفون عنه في السمات المتسقة مع الاختلاف، فإن الميل إلى تضييق نطاق المقارنة يصبح أقوى

عندما تفشل النبوءة

قام فستنغر وزملاؤه هنري ويليام ريكين – 1917) William Riecken (2012وستانلي شاختر (1997 –1922) Stanley Schachte ، بفحص الظروف التي يؤدي فيها دحض المعتقدات إلى زيادة الاقتناع بها في كتاب عام 1956 عندما تفشل النبوءة . درست المجموعة طائفة دينية صغيرة تؤمن بنهاية العالم بقيادة دوروثي مارتن (تحت الاسم المستعار ماريان كيتش في الكتاب)، وهي ربة منزل في الضواحي ادعى مارتن أنه تلقى رسائل من "الحراس"، وهي مجموعة من الكائنات المتفوقة من كوكب آخر يسمى "كلاريون". قالت الرسائل على ما يبدو أن فيضانًا ينتشر ليشكل بحرًا داخليًا يمتد من الدائرة القطبية الشمالية إلى خليج المكسيك سيدمر العالم في 21 ديسمبر 1954. انضم علماء النفس الثلاثة والعديد من المساعدين إلى المجموعة. لاحظ الفريق المجموعة بشكل مباشر لعدة أشهر قبل وبعد نهاية العالم المتوقعة. ترك العديد من أعضاء المجموعة وظائفهم وتخلصوا من ممتلكاتهم استعدادًا لنهاية العالم. وعندما حلَّ يوم القيامة، ادعى مارتن أن العالم قد نجا بفضل "قوة الخير والنور" التي نشرها أعضاء المجموعة.

دمج عمل فستنغر الرائد عام 1957 الأدبيات البحثية الموجودة حول التأثير والتواصل الاجتماعي تحت نظريته في التنافر المعرفي. استُوحيت هذه النظرية من دراسة الشائعات التي أعقبت زلزالًا عنيفًا في الهند عام 1934 مباشرةً

وبدلًا من التخلي عن معتقداتهم المشكوك في مصداقيتها، تشبث أعضاء المجموعة بها بقوة أكبر وبدأوا التبشير بها بحماس.

وخلص فستنجر وزملاؤه إلى أن الظروف التالية تؤدي إلى زيادة القناعة بالمعتقدات بعد رفضها:

1. يجب أن يكون الاعتقاد راسخًا وذا صلة بأفعال المؤمن أو سلوكه.
2. يجب أن يكون الاعتقاد قد أدى إلى حدوث أفعال من الصعب التراجع عنها.
3. يجب أن يكون الاعتقاد محددًا بدرجة كافية ومتعلقًا بالعالم الحقيقي بحيث يمكن تأكيده بوضوح.
4. يجب على المؤمن أن يعترف بالدليل النافي.
5. يجب على المؤمن أن يحظى بالدعم الاجتماعي من المؤمنين الآخرين.

إن وجود التنافر [أو عدم التناسق]، كونه يسبب إزعاجًا نفسيًا، سيحفز الشخص على محاولة تقليل التنافر وتحقيق التناغم [أو التناسق

كما وصف فستنغر لاحقًا الإدانة المتزايدة والتبشير من قبل أعضاء الطائفة بعد رفض التأكيد باعتباره تجسيدًا محددًا للتنافر المعرفي (أي أن التبشير المتزايد قلل من التنافر من خلال إنتاج المعرفة بأن الآخرين قبلوا معتقداتهم أيضًا) وتطبيقه على فهم الظواهر المعقدة والكتلية.

كانت الملاحظات المذكورة في كتاب " عندما تفشل النبوءة" أول دليل تجريبي على ثبات الإيمان.

يمكن تحقيق تقليل التنافر بتغيير الإدراك بتغيير الأفعال, واكتساب معلومات أو آراء جديدة بشكل انتقائي

**التنافر المعرفي**

دمج عمل فستنغر الرائد عام 1957 الأدبيات البحثية الموجودة حول التأثير والتواصل الاجتماعي تحت نظريته في التنافر المعرفي, استُوحيت هذه النظرية من دراسة الشائعات التي أعقبت زلزالًا عنيفًا في الهند عام 1934 مباشرةً. بين الأشخاص الذين شعروا بالصدمة ولم يُصابوا بأضرار من الزلزال، انتشرت الشائعات على نطاق واسع وقُبلت حول كوارث أسوأ قادمة .

على الرغم من أنه يبدو من غير المنطقي أن يختار الناس تصديق الشائعات "المثيرة للخوف"، فقد استنتج فستنفر أن هذه الشائعات كانت في

الواقع "مبررة للخوف". عملت الشائعات على تقليل تناقض مشاعر الخوف لدى الناس على الرغم من عدم تعرضهم المباشر لآثار الزلزال من خلال منحهم سببًا للخوف.

وصف الكثير من علماء النفس نظرية المقارنة الاجتماعية و نظرية التنافر المعرفي بأنهما "النظريتان الأكثر ثراءً في علم النفس الاجتماعي

وقد وصف فستنغر الفرضيات الأساسية للتنافر المعرفي على النحو التالي:

.1إن وجود التنافر [أو عدم التناسق]، كونه يسبب إزعاجًا نفسيًا، سيحفز الشخص على محاولة تقليل التنافر وتحقيق التناغم [أو التناسق.]

.2عندما يكون التنافر موجودًا، فبالإضافة إلى محاولة تقليله، سيتجنب الشخص بنشاط المواقف والمعلومات التي من المحتمل أن تزيد من التنافر.

يمكن تحقيق تقليل التنافر بتغيير الإدراك بتغيير الأفعال, واكتساب معلومات أو آراء جديدة بشكل انتقائي. ولنأخذ مثال فستنغر عن مدخن يعلم أن التدخين ضار بصحته، فقد يقلل المدخن من التنافر باختياره الإقلاع عن التدخين، أو بتغيير أفكاره حول آثار التدخين (مثلاً: التدخين ليس ضاراً بالصحة كما يدّعي الآخرون)، أو باكتساب معرفة تشير إلى الآثار الإيجابية للتدخين (مثلاً: التدخين يمنع زيادة الوزن)

وُصف التنافر المعرفي بأنه " الإنجاز الأبرز في علم النفس الاجتماعي"، و"أهم تطور في علم النفس الاجتماعي حتى الآن"، و لولاها لما "كان علم النفس الاجتماعي على ما هو عليه اليوم

نشر فستنغر وجيمس إم. كارل سميث تجربة التنافر المعرفي الكلاسيكية في عام 1959 .في التجربة، طُلب من المشاركين أداء ساعة من المهام المملة والرتيبة (أي ملء وإفراغ صينية تحتوي على 12 بكرة بشكل متكرر وتدوير 48 وتدًا مربعًا في لوحة في اتجاه عقارب الساعة). ثم طُلب من بعض المشاركين، الذين تم إيهامهم بأن مشاركتهم في التجربة قد انتهت، تقديم معروف للمجرب من خلال إخبار المشارك التالي، الذي كان في الواقع شريكًا، بأن المهمة كانت ممتعة للغاية .

تم إنشاء التنافر للمشاركين الذين قاموا بالمعروف، حيث كانت المهمة في الواقع مملة. تم منح نصف المشاركين المدفوع لهم دولارًا واحدًا مقابل المعروف، بينما تلقى النصف الآخر 20 $. وكما توقع فستنغر وكارلسميث،

أفاد أولئك الذين حصلوا على 1$ أن المهمة كانت أكثر متعة من أولئك الذين حصلوا على 20 $. أُجبر أولئك الذين حصلوا على 1$ على تقليل التنافر من خلال تغيير آرائهم حول المهمة لإحداث انسجام مع سلوكهم في الإبلاغ عن أن المهمة كانت ممتعة. لقد شعر الأشخاص الذين حصلوا على 20 $ بقدر أقل من التنافر، حيث أن الدفعة الكبيرة وفرت انسجامًا مع سلوكهم؛ وبالتالي قاموا بتقييم المهمة على أنها أقل متعة وكانت تقييماتهم مماثلة لأولئك الذين لم يُطلب منهم القيام بالمهمة المسببة للتنافر.

أفرز التنافر المعرفي عقودًا من الأبحاث ذات الصلة، بدءًا من الدراسات التي ركزت على مزيد من التطوير والتحسين النظري وصولًا إلى مجالات متنوعة مثل اتخاذ القرار، وتنشئة الأطفال اجتماعيًا، وتفضيل الألوان.

وصف الكثير من علماء النفس نظرية المقارنة الاجتماعية و نظرية التنافر المعرفي بأنهما "النظريتان الأكثر ثراءً في علم النفس الاجتماعي ". ووُصف التنافر المعرفي بأنه " الإنجاز الأبرز في علم النفس الاجتماعي"، و"أهم تطور في علم النفس الاجتماعي حتى الآن"، و لولاها لما "كان علم النفس الاجتماعي على ما هو عليه اليوم ". وقد أفرز التنافر المعرفي عقودًا من الأبحاث ذات الصلة، بدءًا من الدراسات التي ركزت على مزيد من التطوير والتحسين النظري وصولًا إلى مجالات متنوعة مثل اتخاذ القرار، وتنشئة الأطفال اجتماعيًا، وتفضيل الألوان .

بالإضافة إلى ذلك، يُنسب إلى فستنغر فضل هيمنة التجارب المعملية في علم النفس الاجتماعي، باعتباره من "حوّل التجربة إلى أداة علمية فعّالة ذات دور محوري في البحث عن المعرفة". وقد ذكر نعيٌ نشرته مجلة "علم النفس الأمريكي " أنه "من المشكوك فيه أن يكون علم النفس التجريبي موجودًا أصلًا" بدون فستنجر. ومع ذلك، يبدو أن فستنغر كان حذرًا من المتطلبات المُرهقة لدقة تجريبية أكبر. وحذر من مخاطر هذه المتطلبات عندما لا تكون المفاهيم النظرية قد تطورت بشكل كامل بعد، قائلاً: "يمكن أن يُركز البحث بشكل متزايد على الغموض الطفيف في الأبحاث السابقة بدلًا من القضايا الأكبر؛ فقد يغفل الناس عن المشكلات الأساسية لأن المجال يُحدده البحث الجاري ."كما أكد أن

التجارب المعملية "لا يمكن أن توجد بمفردها"، ولكن "يجب أن تكون هناك علاقة متبادلة نشطة بين التجارب المعملية ودراسة مواقف الحياة الواقعية ". بالإضافة إلى ذلك، في حين يُشاد بفستينغر لصلابته النظرية ونهجه التجريبي في علم النفس الاجتماعي، إلا أنه يُنظر إليه على أنه ساهم في "التباعد بين علم النفس الاجتماعي الأساسي والتطبيقي في الولايات المتحدة ."لقد "أصبح رمزًا للعالم التجريبي الصرف، المتشدد، والموجه نحو النظرية"، بينما أصبح رون ليبيت، زميل هيئة التدريس في مركز أبحاث لوين لديناميكيات المجموعة الذي كان فيستينغر يتعارض معه كثيرًا، "رمزًا للممارس غير المتحيز، والمحسن، لعلم النفس الاجتماعي التطبيقي.."

في حين يُشاد بفستينغر لصلابته النظرية ونهجه التجريبي في علم النفس الاجتماعي، إلا أنه يُنظر إليه على أنه ساهم في "التباعد بين علم النفس الاجتماعي الأساسي والتطبيقي في الولايات المتحدة

يكمن أحد أكبر تأثيرات دراسات فستنغر في "تصويرها للسلوك الاجتماعي كاستجابات كائن مفكر يسعى باستمرار لإضفاء النظام على عالمه، وليس كدوافع عمياء لمخلوق عاطفي وعادي"، كما ورد في جائزة المساهمة العلمية المتميزة التي نالها . وقد وصفت السلوكية ، التي سيطرت على علم النفس حتى ذلك الوقت، الإنسان بأنه كائن معتاد مشروط بعمليات تعزيز الاستجابة والمحفز. ركز السلوكيون فقط على ما يمكن ملاحظته، أي السلوك والمكافآت الخارجية، دون الإشارة إلى العمليات المعرفية أو العاطفية .ولا يمكن تفسير نظريات مثل التنافر المعرفي من منظور السلوكية. فعلى سبيل المثال، كان الإعجاب ببساطة دالة للمكافأة وفقًا للسلوكية، لذا فإن المكافأة الأكبر ستؤدي إلى إعجاب أكبر؛ وقد أظهرت تجربة فستنجر وكارل سميث بوضوح إعجابًا أكبر مع مكافأة أقل، وهي نتيجة تتطلب الاعتراف بالعمليات المعرفية. وبفضل نظريات فستنغر والأبحاث التي أنتجتها، "تم كسر القبضة المتماسكة التي فرضتها نظرية التعزيز على علم النفس الاجتماعي بشكل فعال ودائم."

شارك في المراجعة:

- د. هبة الكردي – المانيا
- د. ليلى الصوافة - فرنسا
- ا. د. صبا غلي- سوريا

إصـــدارات: مؤسسـة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2025

مؤسسة العلوم النفسية العربية
تكريم 2023
شبكة العلوم النفسية العربية
الأستاذ الدكتور عبد الرحمان ابراهيم
[ استاذ الطب النفساني، سوريا]
بلقب
الحاصد في علوم وطب النفس
بعد أن تشرف مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم النفسية إسناده لقب:
شخصية العام العربية 2023
في علوم وطب النفس
على هامش الأسبوع السنوي الثاني عشر لـ "شبكة العلوم النفسية العربية"
[الأسبوع الأول - جانفي 2023]
د.جمال التركي
رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية
2023/01/01